كلمة العدد

مركز عيسى الثقافي
درب بلا أفق

بقلم : سعادة الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة

وهكذا أصبح مركز عيسى الثقافي واقعاً ماثلاً للعيان بعد أن كان حلماً وأمنية تدور في وجدان المثقفين . . وأصبح علامة من العلامات الكثيرة التي تميز تطور دولتنا الفتية التي يرعاها ربابنة عظام يعلمون جيداً كيف يقودون سفينة الوطن وسط بحار العالم التي تموج بالعواصف وتضطرب بالأعاصير . . يقودونها بحنكة وبراعة وشجاعة وعلم وثقة ويتوقفون بها إن شاءوا على شواطئ آمنة يواصلون المسيرة دوماً ويحققون الطموحات دوماً ويأتون في كل يوم بجديد لصالح الوطن والمواطنين . . قيادة جمعت تراكمات من خبرات الماضي وحكمة الآباء والأجداد . . صاحب

الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة وصاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة وصاحب السمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة . . لقد ربطوا بهذا الصرح الجديد بين حلقات تراث تليد وأحيوا مجد الزبارة التي كانت عروس الخليج الثقافية إبان حكم آل خليفة ومنارة المثقفين من مختلف أرجاء المنطقة . . ربطوا بين هذه الحلقات ليأتي هذا الصرح الذي شرفني صاحب الجلالة بأن أكون رئيس مجلس أمنائه غرساً طيباً في أرض طيبة . . أرض تعطي للعقل والفكر نفس الاهتمام الذي تعطيه لمختلفمناحي الحياة . . أرض تصر قيادتها على أن تجعل منها منارة في الخليج تعالج كل ما يطرأ بصمت وصبر وتبذل الجهد وتصل الليل بالنهار فإذا الحلم حقيقة وإذا الأماني صروحاً سامقةً في سماء الوطن العزيز . . إن الصرح الجديد بكل ما توافر له نقطة انطلاق لدرب طويل . . فدرب المعرفة ليس له أفق وليس له نهاية . . وإذا كانت الدولة قد وفرت له كل ما وسعتها الطاقة، إلا أن الدعوة موجهة لكل قادر على أن يساهم بلبنة في البناء الجديد . . كثيرون لديهم كتب تراثية قيمة مخزنة يكاد يأكلها التراب . . وكثيرون لديهم وثائق هامة مهملة قد يأكلها البلى . . كل هؤلاء مدعوون لإيداعها في المركز الجديد لتساعد في بناء جيل على وعي كامل بعظمة ماضيه وبما قدمه الأجداد من عطاء ليس بالقليل وليساهموا في ربط حلقات التاريخ بعضها

ببعض ليكون لدينا سجل كامل لما دار فوق هذه الأرض الطيبة من أحداث .

والدارسون البحرينيون مدعوون للتردد على بيتهم الجديد والحديث فقد قربت الدولة لهم المشوار فلم يعودوا في حاجة لشد الرحال إلى الشرق أو الغرب . . فلديهم اليوم مركزهم يستطيعون من خلاله الحصول على ما كانوا ينفقون في سبيل الحصول عليه الكثير من الجهد والمال . . الجميع مدعوون لدعم المركز والمساهمة في إثرائه خدمة للأجيال القادمة ومشاركة في إعداد جيل مثقف واع وواعد يحاول من خلال تأصيل فكره وتراثه أن يحميه من هواء العصر الملوث والذي ينصب على أذنيه وعينيه عبر فضائيات هدفها تدمير الأجيال القادمة ودفعها إلى دنيا الضياع .

نحن لا ندّعي أننا حققنا الكمال فالكمال لله وحده . . ولكننا ندعي وبثقة أن البحرين شهدت في العقدين الأخيرين طفرة ثقافية غير مسبوقة في تاريخها كله . . فقد حرص صاحب الجلالة وهو ولي للعهد على إنشاء مركز الوثائق التاريخية بدعم كامل منه وبمتابعة دقيقة لكل خطوة من خطواته حتى تحول بفضل رعايته إلى مركز مرموق ومشهود له وسط المحافل الثقافية كلها، أجنبية و عربية، ووفر عدداً ضخماً من الوثائق التي كانت مبعثرة في مختلف أرجاء العالم والتي كان الباحث البحريني يذوق الأمرين في سبيل الاطلاع عليها أو العثور على إحداها . . كما حرص

جلالته وهو ولي للعهد على إصدار "مجلة الوثيقة" التي أصبحت اليوم وقد استمرت لأكثر من ربع قرن إحدى المجلات المتخصصة المشهورة في المنطقة وفي العالم والتي يلجأ إليها اليوم الكثير من الباحثين الأجانب الراغبين في معرفة التاريخ الموثق للبحرين وللمنطقة بعد أن عانوا طويلاً مما صدر من كتب شوهت هذا التاريخ عن جهل أو عن عمد . . عن سـوء نية أو حسن نية . . وأصبحت الوثيقة سوقاً لحوار الأفكار تطرح كل وجهات النظر بحيدة وموضوعية وبأسلوب علمي موثق ومحكم ودقيق وهي توالي صدورها برعاية ودعم من جلالة الملك تتتابع مسيرتها نحو الهدف المنشود في إعادة كتابة تاريخ المنطقة بأقلام نزيهة لا تستهدف إلا إبراز الحقيقة، والحقيقة وحدها . .

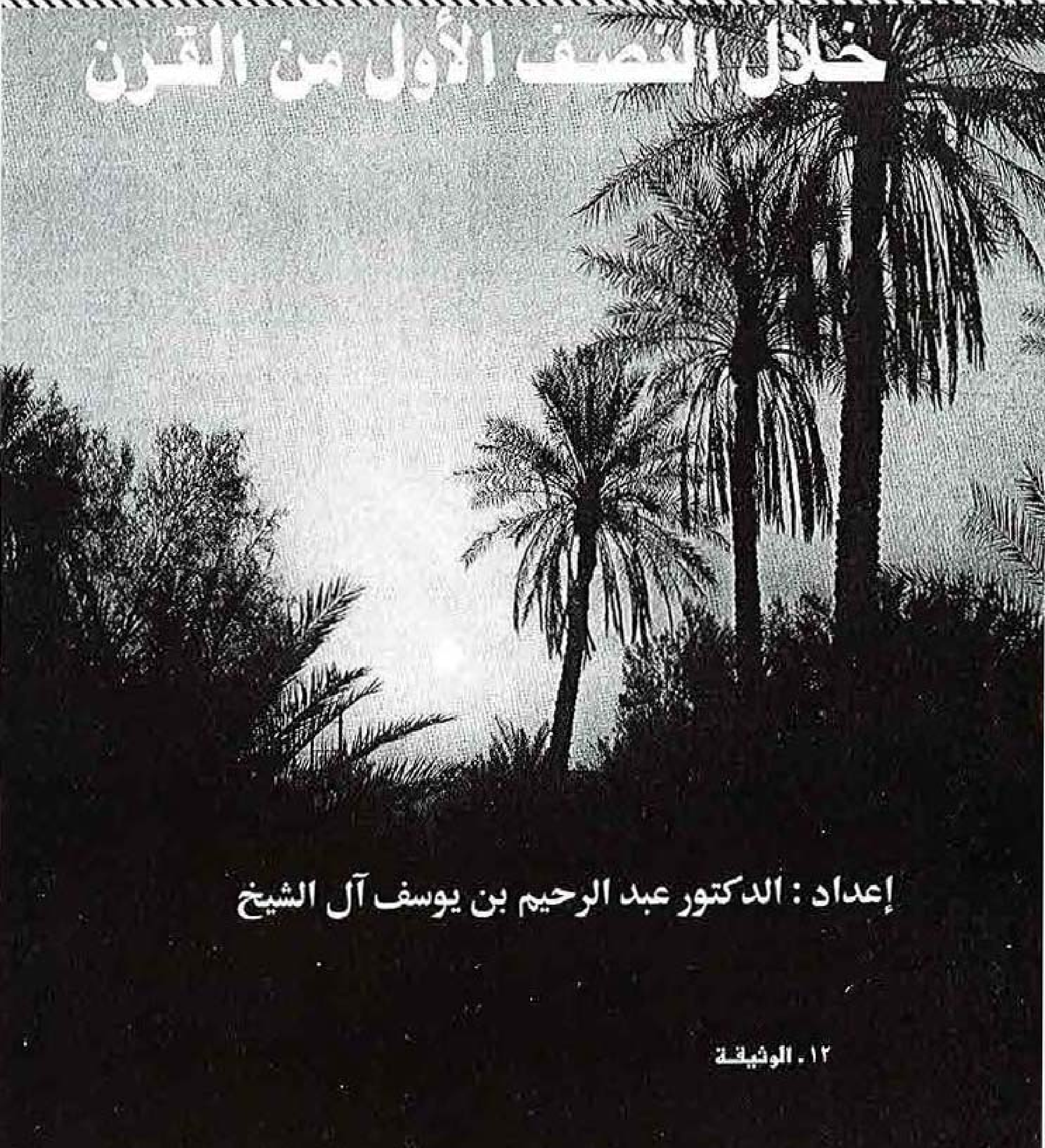
من هذا الثلاثي : مركز الوثائق، والوثيقة، ومركز عيسى الثقافي أصبح لبلادنا قطاع ثقافي نادر وقادر . . وأصبح للمثقفين البحرينيين وغير البحرينيين مرجعية ثقافية متطورة وحديثة وقادرة على تزويدهم بكل ما يحتاج إليه البحث التاريخي والثقافي بصفة عامة من مادة علمية ومن وسائل تقنية تتيح لهم الانطلاق نحو الغد المنشود الذي نرجوه لبلادنا ولشبابنا ولأمتنا

والله ولي التوفيق

عبد الله بن خالد آل خليفة

الحركة العلمية

خلال النصف الأول من القرن



إعداد : الدكتور عبد الرحيم بن يوسف آل الشيخ

١٢ ـ الوثيقة

في الأحساء

الرابع عشر الهجري

إن الحديث عن الحركة العلمية في الأحساء حديث ذو شجون، لأنه يعنى بالحديث عن العلم والعلماء سواءٌ كان ذلك في العلوم الشرعية أو العلوم الأدبية أو غيرهما من العلوم الأخرى، والأحساء التي سوف نتحدث عن الحياة العلمية فيها تعد من أبرز المناطق في جزيرة العرب قديماً وحديثاً، ويبدو أن من أهم الأسباب التي جعلتها كذلك هو ما حباها الله به من خيرات ونعم تمثلت في وفرة المياه والينابيع والأنهار فيها منذ القدم مما جعلها واحدة من كبرى الواحات الزراعية وأشهرها . أما أهميتها في الوقت الحاضر فلاشك أن ذلك راجع إلى أنها تضم في باطنها أكبر حقل نفط في العالم ألا وهو حقل الغوار، أضف إلى ذلك موقعها الاستراتيجي المتميز الذي جعلها مركزاً تجارياً هاماً فهي قريبة من الخليج العربي ولديها ميناء شهير عليه يعرف بميناء "العقير" الذي كانت تصل إليه البضائع من الشرق ثم تنقل منه براً إلى مختلفَ مناطق المملكة، كذلك هي واقعة على الطريق البري الذي يربط دول الخليج بالمملكة كقطر والإمارات وعمان .

وهنا لا أرى مزيد داعٍ من الاسترسال عن أهمية الأحساء قديماً وحديثاً لأني لا أشك في أن الباحثين وخصوصاً المؤرخين على علـم ودراية بتلك الأهمية . أما بالنسبة للحديث عن الحركة العلمية في الأحساء فهو موضوع واسع ومتشعب وهذا ما دفعني إلى وضع إطار زمني محددٍ أخصص فيه الحديث عن الحركة العلمية في الأحساء، ليكون نموذجاً لدراسات أخرى لفترات سابقة أو لاحقة لهذه الفترة . أما لماذا تم اختيار النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري ليكون نموذجاً في هذه الدراسة فلأن هذه الفترة تعد من الفترات التاريخية الخصبة التي تستحق الدراسة والتأمل، حيث برز ونبغ فيها علماء وأدباء أفاضل خلفوا لنا تراثاً علمياً متميزاً سـواءً كان ذلك التراث دينياً أو أدبياً .

وقد اعتمدت في هذا البحث على بعض المراجع المتاحة التي تحدثت عن هذا الموضوع وهي قليلة ومن أهمها كتاب "تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء القديم والجديد" للشيخ محمد آل عبد القادر، وكتاب "الحياة العلمية والثقافية والفكرية في المنطقة الشرقية" للدكتور عبد الله السبيعي الذي يعد بحق من أفضل الكتب التي تحدثت في هذا المجال .

وكتاب "شعراء هجر" الذي جمعه وحققه الأستاذ عبد الفتاح الحلو . وغيرها من المراجع الأخرى وكذلك بعض المعلومات المتناثرة في الصحف اليومية والمجلات والدوريات .

وقد بدأت البحث باعطاء لمحة موجزة عن الموقع الجغرافي لمدينة الأحساء . ثم تحدثت بشكل موجز عن الخلفية التاريخية للحركة العلمية في الأحساء منذ عهد الرسول ﷺ إلى وقتنا الحاضر .

وبعد ذلك انتقلت للحديث عن النشاط الديني في الأحساء خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري وجعلته في خمسة أقسام : الأول عن

المساجد، والثاني عن الكتاتيب، والثالث عن المدارس، والرابع عن الأربطة العلمية، والخامس خصصته للحديث عن العلماء وحلقات العلم ودورهم في نشر العلم .

ثم تلا ذلك الحديث عن النشاط الأدبي في الأحساء خلال هذه الفترة وجعلته في أربعة أقسام : القسم الأول عن المجالس العلمية المنتشرة في الأحساء، والثاني عن البساتين أو المتنزهات التي كانوا يجتمعون فيها، والثالث عن المكتبات الموجودة في الأحساء في ذلك الوقت، والقسم الأخير عن بعض الشخصيات الأدبية ونماذج مختارة من إنتاجهم الأدبي .

وختمت البحث بالحديث عن العلاقة التي كانت بين علماء الأحساء والمناطق المجاورة ودورها في دفع عجلة الحركة العلمية في المنطقة .

الموقع الجغرافي للأحساء

تقع الأحساء في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، وتمثل المنطقة الشرقية من المملكة القسم الأكبر مما عرف قديماً في المصادر العربية بإقليم البحرين، تلك المنطقة التي كانت تمتد بمحاذاة الساحل الغربي للخليج العربي وتشغل الأراضي الواقعة بين البصرة شمالاً وإقليم عمان جنوباً وإقليم اليمامة غرباً . أي أن إقليم البحرين كان يشمل ما يعرف حالياً بدولة الكويت ودولة البحرين ودولة قطر والجزء الشرقي من المملكة العربية السعودية والأجزاء الشمالية من دولة الإمارات العربية المتحدة[١] .

كما عرف إقليم البحرين في بعض المصادر العربية باسم هجر، نسبة إلى مدينة هجر التاريخية . ولما خرَّب الجنابيون هذه المدينة وبنوا إلى جوارها مدينة الأحساء التاريخية عمَّ هذا الاسم – الأحساء – ليشمل إقليم البحرين

إبان ازدهار هذه المدينة في القرن الرابع الهجري وما بعده، ثم انحسر مسمى الأحساء بعد ذلك واقتصر إطلاقه على الجزء الشرقي من المملكة وذلك حتى عام ١٣٧٠هـ حين أطلق على المنطقة مسمى المنطقة الشرقية. وأصبح اسم الأحساء محصوراً في قسمها الجنوبي إلى وقتنا الحاضر(٢).

وحالياً تقع الأحساء على مسافة ٣٢٠ كلم تقريباً من مدينة الرياض باتجاه الشرق ونحو ١٥٠ كلم عن مدينة الدمام باتجاه الجنوب منها، وبالرغم من كبر مساحة أراضي الأحساء إلا أن العمق الاستيطاني الحالي يتركز في واحتها الزراعية التي لا تتعدى مساحتها (٩٠٠) كلم٢ والمحصورة فلكياً داخل ثلث درجة فقط من درجات الطول والعرض حيث تقع بين ٢٠ َ ٢٥ ً و ٤٠ َ ٢٥ ً شمال خط الاستواء وبين ٣٠ َ ٤٩ ً و ٥٠ َ ٤٩ ً شرقي جرينتش. وتضم الواحة عدداً كبيراً من المدن والقرى أهمها مدينة الهفوف، المبرز، العيون، العمران ومجموعة من القرى الزراعية الكبيرة المساحة كقرية الشقيق، الشعبة، البطالية، الكلابية، القارة، الجفر، الطرف، الفضول(٣).

أما بالنسبة لتحديد موقع مدينة الأحساء القديم فإنه لم يحسم بعد، ويختلف المؤرخون في تحديد موقعها، فياقوت الحموي الذي يعد مرجعاً في تحديد المواضع لم يشر صراحة في كتابه معجم البلدان إلى تحديد موقعها وإنما قال ما نصه: "الأحساء مدينة بالبحرين معروفة مشهورة، كان أول من عمّرها وحصنها وجعلها قصبة هجر أبو طاهر سليمان ابن أبي سعيد الجنابي القرمطي، وهي إلى الآن مدينة مشهورة عامرة"(٤). وهذا التعريف المقتضب هو ما دعا بعض الباحثين المتأخرين إلى الاجتهاد في تحديد موقعها فبالنسبة للمستشرق الأمريكي "فيدال" فيرى من خلال زياراته المتعددة للمنطقة ومن خلال أبحاثه ودراساته التي ضمنها كتابه "واحة الأحساء" أنه كان على مقربة من مدينة هجر القديمة قرية صغيرة تدعى الأحساء، وهذه القرية نزل فيها أبو سعيد الجنابي أمير القرامطة في القرن العاشر الميلادي فعمرها وبناها وحصنها

وأقام فيها قصراً أو قلعة دعاها باسم "المؤمنية" ولكن الناس لم يستسيغوا هذه التسمية فأبقوا على القرية اسم الأحساء، وأخذت هذه القرية تنمو وتزدهر حتى طغت على اسم هجر، وبالتالي أصبحت المنطقة بأسرها تدعى باسم منطقة الأحساء . ويرجح فيدال أن مدينة الأحساء القديمة كانت قائمة بجوار قرية "البطالية"[٥] . ويؤيده في قوله هذا المؤرخ الشيخ يوسف بن راشد المبارك[٦] — رحمه الله، ويضيف أن من بناها هو أبو طاهر القرمطي سنة ٣١٤هـ، وقد دعيت فيما بعد باسم البطالية لأن عبد الله بن علي العيوني أقطعها عام ٤٧٠هـ لأخيه من أمه بطال بن مالك، وبذلك أصبحت تسمى باسم "بلاد بن بطال" ثم حرفت إلى البطالية[٧] . أما الباحث فهد الحسين وهو أحد المهتمين بدراسة آثار الأحساء فيرى أن مدينة الأحساء التاريخية تقع في البقعة المحصورة بين جبل الشعبة وبر المصلى والشراع وبهيتة والسليت وعلى ذلك فإن قرية البطالية تمثل جزءاً كبيراً منها . وقد سجل المسح الميداني الذي أجراه في المواقع القريبة من القرية عدداً من المواقع التاريخية والأثرية بالقرية، وهي مواقع ذات صلة بمدينة الأحساء ذكرتها المصادر كمواقع تمثل أجزاءً من تخطيط تلك المدينة، ومن أهمها عين الجوهرية، قصر قريمط، الرحل، حقل الخايس، القرحاء، الجريعاء[٨] .

الخلفية التاريخية للحركة العلمية في الأحساء

يرتبط تاريخ هذه المنطقة الفكري برباط وثيق بتاريخها الاقتصادي . وقد كان لموقعها الجغرافي وثرواتها الزراعية والمعدنية الأثر الكبير في لفت أنظار العالم إليها فكرياً واجتماعياً واقتصادياً . ولقرب الأحساء من الخليج العربي

فقد أعطاها هذا الموقع مكانة تجارية هامة، ويكفي القول بأن القوافل كانت تضرب في صحارى جزيرة العرب لتجد في الخليج بغيتها من تحف الشرق ولآلئه . وكانت الأساطيل تمخر عباب البحار والمحيطات لتستقر على شواطئ الخليج لتعرض ما تحمله من بضائع وعروض . هذه الشهرة العالمية كانت عاملا من عوامل ضمان استمرار تقدمها الفكري ورقيها الاجتماعي[٩] .

لقد ساعد هذا الموقع الاستراتيجي المتميز للأحساء على توفير الطمأنينة والاستقرار ورغد العيش مما كان له الأثر الإيجابي العميق في الحياة العقلية والحضارية لسكان المنطقة لكن هذا لم يحد من منغصات كدرت حياة الناس، الأمر الذي أشارت إليه دائرة المعارف العثمانية : التي ذكرت بأنه لولا تعديات الخارجين على القانون في البوادي لكانت الحياة أكثر ازدهاراً ورخاءً وعمراناً[١٠] .

في هذا السياق يحدثنا تاريخ هذه المنطقة — القريب منه والبعيد — عن وفرة العلماء في كل الميادين، من عمالقة البلاغة والفصاحة والشعر أمثال عمرو بن قميئة[١١] وأوس بن حجر[١٢] وطرفة بن العبد[١٣] وجرير بن عبد المسيح الملقب بالمتلمس[١٤] والمثقب العبدي[١٥] وزياد الأعجم[١٦] والجارود بن بشر[١٧] وصعصعة بن صوحان[١٨] وصحار بن عياش العبدي[١٩] .

ومن المعروف أنه كان لهم مواسم وأسواق أدبية عظيمة تعقد سنوياً —على غرار عكاظ والمجنة — كسوق هجر الذي كان يقام في ربيع الثاني من كل سنة، ومثله سوق المشقر الذي كان يقام في غرة جمادى الثانية . ولما بعث رسول الله ﷺ وانتشرت دعوته الكريمة في أنحاء الجزيرة العربية، وجد هذا الدين الحنيف طريقه سريعاً إلى قلوب سكان هذه البلاد وتشبعت به أفكارهم من خلال جذور ثابتة لدعوات الرسل. فأخذ الإسلام طريقه للقلوب فدانت له بغير حرب. وحديث وفد عبد القيس عن الرسول ﷺ في المدينة مشهور عند الإمام أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم من المحدثين والمؤرخين وأصحاب السير،

حتى أنه ليؤثر أن ثاني مسجد أقيمت فيه الجمعة في الإسلام بعد مسجد الرسول بالمدينة هو مسجد جواثي في الأحساء . أما في العهد العباسي الأول فقد كانت الأحساء تعج بالعلماء والفقهاء والمحدثين واحتلت علوم العربية والحديث مكان الصدارة بين العلوم[٢٠] .

كما شهدت الأحساء في عهد الدولة العيونية نشاطاً علمياً وأدبياً واسعاً، على الرغم من ندرة المعلومات المتعلقة بهذه الفترة إلا أن كثيراً من المؤشرات بينت المكانة التي وصلت إليها الأحساء في هذا العهد . حيث شجع أمراء الأسرة العيونية الأدباء والشعراء وأجزلوا لهم العطايا هذا في الوقت الذي كان يتردد فيه الكثير من شعراء العراق واليمامة على الإحساء[٢١] .

وفي أواخر القرن السادس الهجري نبغ في الأحساء شاعر عربي فحل، ذلك هو الأمير جمال الدين أبو عبد الله علي بن المقرب المتوفي سنة ٦٢٩هـ. صاحب الصيت الذائع والمواقف البطولية الرائعة، لقد كان بحق شاعراً مفلقاً، توقد كلماته نار الحرب، وتهز قصائده فؤاد الجبان[٢٢] .

لا ريب أن الحقبة الزمنية التي سبقت القرن الحادي عشر الهجري قد واجه فيها الباحثون صعوبات جمة للتعرف على الحركة العلمية خلالها بسبب شح المعلومات وتناثرها في المصادر التاريخية، غير أننا نجد أن هذه الصعوبات تقل شيئاً فشيئاً مع مطلع القرن الحادي عشر حتى يومنا هذا وإذا عدنا إلى المراجع التي تمكنا من العثور عليها سواء كانت مؤلفات مطبوعة أو مخطوطة أو عن طريق الرواة الثقاة فإننا نجد أن الحركة العلمية في الأحساء قد تدرجت في النمو حيث نجدها في القرن الثاني عشر، أوسع منها في القرن الحادي عشر، وهي في القرن الثالث عشر إلى العقد السادس من القرن الرابع عشر أوسع منها فيما سبق، حيث بلغت الحركة العلمية الدينية والأدبية في الأحساء ذروتها[٢٣] .

يجدر بنا هنا ونحن نتحدث عن الحركة العلمية في الأحساء قبل القرن الرابع عشر الهجري أن نستعرض بإيجاز بعض الشخصيات التي عاصرت هذه الحركة الكبرى في القرن الثالث عشر وكان لها تأثير كبير في رفع مستوى النشاط الثقافي عند علماء وأدباء القرن الرابع عشر. ولعل من أهم هذه الشخصيات الدينية والأدبية الأحسائية المعروفة الشيخ أبو بكر بن الشيخ محمد الملا الحنفي المذهب، الذي ولد في الأحساء سنة ثمان وتسعين ومائة وألف، وكان الشيخ الملا عالماً ضليعا في الفقه والنحو والفرائض والمنطق، ومن آثاره العلمية، إتحاف النواظر بمختصر الزواجر والأزهار الناضرة بتلخيص كتاب التذكرة (وهو مختصر لشرح ابن رجب على الأربعين النووية) . وتلخيص سماه هداية المحتذي في شرح شمائل الترمذي، لخصه من شرح العلامة المناوي . وله أيضاً منظومة سماها منهاج السلاك تحدث فيها عن شرائع الإسلام ومكارم الأخلاق وبغية الواعظ في الحكايات والمواعظ وغيرها من المصنفات والشروح المختصرة الأخرى . وقرأ على الشيخ الملا جماعة من أهل الأحساء ومن غير أهلها مثل الشيخ عبد الله المزروعي العماني، والشيخ سالم بن علي بن نوح العماني، والشيخ عبد اللطيف بن عبد المحسن الصحاف من أهل البحرين وآخرون كثر[٢٤] .

أما الشيخ أحمد بن علي بن حسين بن مشرف الوهبي التميمي، المالكي المذهب، فقد ولد بالأحساء في أوائل القرن الثاني عشر الهجري، وكان راسخا في الأدب، متفنناً في العلوم تتلمذ على الشيخ الجليل حسين بن غنام وغيره من شيوخ العصر، حتى بلغ درجة الأستاذية، واشتغل بالتدريس بالأحساء ومن آثاره الفكرية نظمٌ طريفٌ لرسالة أبي زيد القيرواني في فقه المالكية نظمه لكي يسهل على الطلاب حفظها . كما اختصر صحيح الإمام مسلم بن الحجاج اختصاراً جميلاً . وله ديوان مطبوع يحتوي على منظومات عديدة في الفقه والتوحيد والحديث والتاريخ[٢٥] .

أيضا الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن مانع الوهبي التميمي الحنبلي المذهب، الذي كان يعد عالماً فاضلاً كثير الاشتغال بالعلم وكتابته. وقد أخذ الشيخ عبد الرحمن العلم عن أبيه الشيخ محمد بن مانع والشيخ عبد الرحمن بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، هاجر من بلد شقراء إلى الأحساء واستوطنها وولاه الإمام عبد الله بن فيصل القضاء في القطيف[٢٦] .

وأخيراً وليس آخراً الشيخ عبد العزيز بن صالح آل موسى المالكي المذهب، الذي قرأ الأدب وهو ابن عشر سنين، وبرع فيه حتى ذاع صيته، وقد تأدب الشيخ آل موسى على يد الشيخ راشد بن خنين وغيره . من آثاره نظم جميل مشتمل على الحكم والأمثال، وتوفي رحمه الله في مطلع القرن الثالث عشر الهجري[٢٧] .

وسنتناول فيما سيأتي من هذا البحث مزيداً من أمثال هؤلاء العلماء المبدعين عند حديثنا عن النشاط الديني والأدبي في الأحساء .

التعليم الديني في الأحساء

(١٣٠٠ – ١٣٥٠هـ/١٨٨٢ – ١٩٣١م)

المراد بمفهوم التعليم الديني هنا، هو ما تناوله المسلمون في صدر الإسلام من علوم متصلة بالقرآن الكريم مثل التفسير والقراءات والحديث وأصول الفقه وغيرها، سواءً في مجالسهم العلمية أو مدارسهم ومساجدهم . وقد اهتم المسلمون بهذه العلوم وأولوها العناية التامة انطلاقاً من كتاب الله الذي حث الناس على القراءة وطلب العلم قال تعالى : "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات"[٢٨] . ويقول أيضاً عز من قائل : "وقل رب زدني علماً"[٢٩] .

أيضاً انصياعاً لأمر الرسول ﷺ حيث يقول : "لا خير فيمن كان من أمتي ليس بعالم ولا متعلم" وقوله ﷺ : "أقرب الناس لدرجة النبوة أهل العلم

والجهاد" ولقوله أيضاً : "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" ونتيجة للاهتمام الكبير الذي لقيته هذه العلوم من المسلمين في صدر الإسلام، فإنها بدأت تتطور وتتسع شيئاً فشيئاً فظهرت من هذه العلوم الأساسية علوم فرعية وثانوية .

وقد قيض الله لهذه العلوم الدينية علماءً نذروا أنفسهم لخدمتها فأبدعوا وبرعوا فيها . فكان لهم الفضل الأكبر بعد الله في إحياء هذه العلوم وبقائها منذ عهد الرسول ﷺ وحتى الآن .

لاغرو في أن الأحساء حظيت بجمهور من هؤلاء العلماء الذين نذروا حياتهم لطلب العلم وخدمته – تمت الإشارة إلى نخبة منهم فيما تقدم – وإذا ما انتقلنا إلى مطلع القرن الرابع عشر في الأحساء وجدنا أن هذه العلوم حاضرة بقوة، حيث برز فيها نخبة من العلماء أحيوا ما درس منها عن طريق التعلم والوعظ والإرشاد والحفظ والتأليف .

ومن المدارس الفقهية المعتبرة التي كانت تقوم بنشاطها العلمي الديني في هذه الحقبة التاريخية المدارس المالكية، والشافعية، والحنفية، والحنبلية .

وكان في كل مدرسة عالم أو أكثر يعلم الناس ويفقههم في أمور دينهم ودنياهم، وكذلك الحال بالنسبة للمساجد التي كانت تؤدي دورها التاريخي على أكمل وجه، حيث تولاها علماء مؤهلون للخطابة والوعظ والإرشاد . وسنتناول فيما يلي دور المسجد أولاً .

أولاً : دور المسجد

حقيقة لقد كان للمسجد دور بارز في نمو الحركة العلمية بالأحساء، من منطلق أن تاريخ التربية الإسلامية يرتبط بتاريخ المسجد ارتباطاً وثيقاً، حيث

قامت حلقات الدراسة في المسجد منذ نشأته، واستمرت كذلك على مر السنين والقرون ليس ذلك في الأحساء فحسب وإنما في معظم المدن الإسلامية .

ولعل السبب في جعل المسجد مركزاً ثقافياً هاماً، هو أن الدراسة في الأيام الأولى من الإسلام كانت دراسة دينية تشرح تعاليم الدين الجديد، ثم توسع المسلمون في عصورهم التالية في فهم مهمة المسجد ودوره فاتخذوه مكاناً للعبادة ومعهداً للتعليم ودارا للقضاء، وكانت تعقد في قباء أول مسجد أنشئ في الإسلام حلقات العلم، ثم ازداد عدد المساجد مع مضي الزمن شيئاً فشيئاً حتى أصبح من الصعوبة بمكان حصر عدد المساجد المتزايد في العالم الإسلامي (٣٠) .

لاشك أن المسجد في الإسلام ليس مكاناً للصلاة فحسب، بل هو مدرسة أيضاً، ومركز للتدريب على الانقياد للمبادئ الإسلامية، ومن أهم مزايا المسجد كمدرسة تكافؤ الفرص التعليمية للجميع . والمسجد مفتوح لجميع المسلمين لا فرق بين غني و فقير، صغير و كبير، لذا فإن أي مسلم يمكنه أن ينضم للحلقة التي يريد وفي الوقت الذي يريد دون قيد أو شرط (٣١) .

لقد كان معظم من يدرس في المساجد لا يتقاضى أجراً، وإنما كان يقوم بذلك احتساباً للأجر والثواب من الله ونشراً للعلم، على اعتبار أنه واجب ديني، وقد كان لمن يدرس بتلك المساجد مكانة رفيعة في المجتمع . وقد أدت مساجد الأحساء ومدارسها الدينية – في هذا السياق – دوراً مهما في سد الفراغ الناتج عن عدم وجود المدارس النظامية، فقد تخرج فيها مجموعة من العلماء ممن اشتغلوا في الوظائف الدينية كالقضاء والإمامة، والوعظ والإرشاد، والخطابة، والتدريس، وإجراء عقود الزواج .

وكان يطلق على من يتولى التدريس والوعظ في المساجد لقب "الشيخ" وكان مثل ذلك اللقب نابعاً من تقدير الناس وتبجيلهم لمن يقوم بتلك المهمة، إذ كان هذا اللقب لا يطلق إلا على من كان مؤهلاً لتولي وظائف التدريس والإمامة

والخطابة والإفتاء وإبرام العقود الشرعية، والفصل بين المتخاصمين. أما لقب المُلاَ أو المطوع فكان يطلق على من يقوم بتعليم الصبيان في الكتاتيب . من الجدير بالذكر أن الأغنياء وأهل الخير من سكان المنطقة كانوا يتسابقون في وقف جزء من أملاكهم لصرف ريعها على المساجد، ويتنافسون في الوقت نفسه في تأمين الأموال الكافية للإنفاق على من يقوم بالإمامة والتدريس والعناية بخدمة المساجد، وكذلك الإنفاق على الفقـراء من رواد حلقـات التدريس هذه[٣٢] .

بناءً عليه ربما يتعذر علينا حصر المساجد التي كانت موجودة في الأحساء لكثرتها وانتشارها، وسنكتفي بعرض بعضها والنشاطات المتعلقة بها على سبيل المثال لا الحصر .

١ – مسجد الإمام فيصل بن تركي [بحي النعاثل] .

أنشئ هذا المسجد الجامع في عهد الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد آل سعود في مطلع القرن الثالث عشر الهجري . وفي عهد الإمام فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد آل سعود أعيد بناء هذا المسجد، وجاء بناء المسجد وتوسعته ووقف بعض المنازل للإنفاق عليه باقتراح من الشيخ عبد اللطيف آل مبارك، وعُين عليه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل مبارك من قبل الإمام فيصل بن تركي وكان ذلك في سنة ١٢٧٨هـ .

وبعد وفاة الشيخ عبد الله توارث الإمامة فيه أبناؤه وأحفاده حتى يومنا الحاضر. ويعد هذا الجامع من أكبر الجوامع في محلة النعاثل وأقدمها. وكان من أهم النشاطات التي تمارس فيه الخطابة ودروس الوعظ والإرشاد. وفي رمضان كان يخصص درس ديني بعد صلاة العصر من كل يوم[٣٣] .

٢ – مسجد الحزم بالرفعة :

وكان هذا المسجد شبه مهجور، فالتفت إليه الشيخ عبد العزيز بن صالح العلجي رحمه الله، فاهتم به واتصل بأثرياء الكويت فتبرعوا ببنائه . ثم استلمه الشيخ بعد البناء فأقام الصلاة فيه احتساباً للأجر بدون مرتب وإن كانت عليه بعض الأوقاف الزهيدة . وقد درس الشيخ العلجي فيه الفقه المالكي صباحاً ومساءً، لمدة لا تقل عن ثلاثين عاماً . وكانت حلقاته في المسجد أوسع الحلقات في وقته . وبعد وفاته تولى الإمامة من بعده ابن ابنته الشيخ عبد الله بن محمد الرومي[٣٤] .

٣ – مسجد المويلحية بالرفعة :

أقدم مسجد لأسرة آل مبارك، والذي بناه زعيم محلة الرفعة محمد بن خليفة الحملي وأوقف بجانبه كذلك مدرسة للوعظ والإرشاد وتدريس العلوم الدينية، كما خصص فيه سكن لإمام المسجد، وكان يتولى نظارته الشيخ مبارك جد أسرة آل مبارك ثم تولى نظارته من بعده أبناؤه وأحفاده . ومن الأعلام الذين درسوا في هذا المسجد الشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف آل مبارك وقد تتلمذ على يديه فيه نخبة من الطلاب من أبرزهم الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل مبارك والشيخ مبارك بن عبد اللطيف آل مبارك[٣٥] .

٤ – مسجد الحبيشية بالرفعة :

كان يؤم الناس في هذا المسجد الشيخ أحمد بن محمد بن عبد اللطيف آل مبارك، وتولى الإمامة من بعده الشيخ أحمد بن سعد المهيني، وكان للشيخ المهيني دروس في المسجد وحلقات علمية وقد قرأ على يد الشيخ المهيني الشيخ عبد الله بن دهيش والشيخ أحمد بن علي آل مبارك[٣٦] .

هذه بعض المشاهد اليسيرة لمساجد الأحساء يومئذ وما كان يمارس فيها من نشاطات دينية وعلمية . ومن الجدير بالذكر، أن بعض دروس هذه المساجد

كانت وعظية باستثناء الدروس التي كانت تعقد لطلاب علم واعدين محددين[٣٧] .

ثانياً : الكتاتيب

تعد الكتاتيب من أكثر أماكن التعليم شيوعاً بين الناس لتلقي مبادئ العلم، وكان إقبال الناس عليها كبيراً جداً، وهذا النمط من المعاهد التعليمية عرفته جميع البلدان الإسلامية[٣٨] . وقد ظهرت مثل هذه الكتاتيب في فترة ما قبل الإسلام ولكنها كانت قليلة الانتشار . ولما ظهر الإسلام وعم نوره أرجاء المعمورة انتشرت هذه الكتاتيب وأصبحت المكان الرئيس للتعليم، وقد دعت إليها حاجات التوسع في نشر الدين وانتقال العرب من حال البداوة إلى حال الحضارة . وقد حظيت بمكانة كبيرة في الإسلام، لأنها المكان الرئيس لتعليم الصغار القرآن وتحفيظهم إياه، ولأن تعليم الأطفال القرآن بصفة خاصة كان أمرا عظيم الأهمية حتى أن كثيراً من العلماء اعتبروه فرضاً من فروض الكفاية[٣٩] . ويؤيد العلامة ابن خلدون تحفيظ الناشئة القرآن الكريم في الصغر لأنه كما يقول أشد رسوخاً وهو أصل لما بعده، ويرى أن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات، وعلى حسب الأسس وأساليبه يكون حال ما يبنى عليه[٤٠] . لذلك لا غرابة إن ركز سلفنا الصالح على تعليم القرآن الكريم وتحفيظه أبناءهم في الصغر ليكون أساساً لما بعده .

وأهل الأحساء كغيرهم من سكان العالم الإسلامي كانوا يرسلون أبناءهم إلى الكتاب في السابعة من أعمارهم بخاصة وكان يطلق على معلم الصبيان لقب "المطوع" أو "مُلاّ" ولم يكن في الكتاتيب مستويات دراسية متميزة أو مستقلة وكان "المطوع" هو المعلم الوحيد في الكتاب ويقوم بتدريس جميع المواد، وإن كان يستعين في بعض الأحيان ببعض طلابه البارزين لتدريس المستجدين

والضعفاء منهم. وكان المكان المعد للتدريس عبارة عن غرفة من غرف منزل "المطوع" يخصصها لهذا العمل . إلا أن بعض المعلمين المشهورين والذين يكثر طلابهم كانوا يقومون أحياناً باستئجار مبنى يستخدم خصيصاً للتدريس، من هؤلاء الشيخ عبد اللطيف بن عبد العزيز آل مبارك، الذي استأجر داراً سنة ١٣٥٥هـ وجعلها من الكتاتيب التي تقوم على تعليم الخط والحساب والإملاء وكانت رسوم الالتحاق بها لا تزيد عن ريالين شهريا . وكان وقت الدراسة في الغالب في الصباح ولمدة تقرب من الساعتين، ولا يعطل الكتاب إلا في أيام الجمع والأعياد .

كان الصبيان يهابون المطوع لأنه كان يتميز في الغالب بالشدة، حيث كان يحمل باستمرار عصاً لا يبخل في استخدامها عند الحاجة إليها . وكان لا يستخدم في الكتاتيب كتب أو دفاتر خاصة في المراحل الأولى من الدراسة فقد كان التدريس - عموماً - يركز على تعليم قراءة القرآن الكريم ومعرفة قراءته دون سواه من النصوص المكتوبة[٤١] .

وكان كل ما يلزم الملتحق بالكتاب هو إحضار لوح خشبي يعده النجارون خصيصاً لهذا الغرض، ويقوم المطوع بحفر حروف الهجاء عليه ليقوم الصبي بتهجيتها باستمرار ويحمله معه يومياً إلى منزله . وإذا أجاد الصبي معرفة قراءة الحروف الهجائية، طلب منه "المطوع" أن يحضر جزء عمَّ، ومن ثم يتدرج في تعليم الآية لهم كلمة كلمـة ثم يرددها الصبية من خلفه حتى يحفظوها . فإذا ختم الصبي السورة عاد وتلاها مرات عدة حتى يتأكد المطوع من أن الصبي حفظها . وغالباً ما كان الصبي يمكث في الكتاب ما بين سنة إلى أربع سنوات كل حسب قدرته واجتهاده، وكان في الأحساء وحدها ما يزيد على ثلاثين كتاباً .

بعدها يستمر الصبي الذي يختم القرآن الكريم - إذا كانت ظروف والده المادية جيدة ولديه رغبة أكيدة في تعلم القراءة والكتابة - في نفس الكتاب إذا

كان المطوع قادراً على ذلك أو ينتقل إلى الكتاب المتخصص في تعليم القراءة والكتابة .

وقد كان الأجر الأساسي الذي يعطى للمعلم أو المطوع هو الأجر الذي اتفق عليه مسبقاً بين والد الصبي وبين المعلم، ويكون الدفع بعد ختم القرآن، وأحياناً يدفع والد الصبي في البداية، مبلغ ريال واحد أو أقل يسمى "القعودة" أو "الدخالة" ثم تتوالى الهبات والمكافئات كل حسب قدرته، وكان مألوفاً أن يقوم أولياء أمور الصبيان بإهداء المطوع "عيدية" في الأعياد والمناسبات الدينية، وخاصة مناسبة الإسراء والمعراج والتي كان يطلق عليها "النافلة"(٤٢) .

وكان دور الكتاب التعليمي – كما تقدم – ينحصر في إجادة الصبيان لقراءة القرآن الكريم وتجويده والإلمام بمعرفة مبادئ القراءة والكتابة. كما يتم التركيز فيه على التربية الأخلاقية كالصدق وبر الوالدين واحترام الكبير، إلى آخر ذلك من مكارم الأخلاق وبالتأكيد كانوا يدربون فيه على الصلاة، والصوم، وغيرهما من العبادات(٤٣) .

ولم تكن هناك سن معينة للملتحقين أو سنوات محددة للبقاء في الكتاب، وكان بقاء الصبي فيه يعتمد على رغبة ولي أمره وعدم احتياجه له للمساعدة في شئون الحياة وطلب الرزق، ولعلنا لا نعدو الحقيقة إن قلنا أن معظم الآباء في تلك الفترة كانوا يكتفون بتعليم أبنائهم القرآن الكريم فقط . ولا يمهلونهم لإتمام دراسة القراءة والكتابة والعلوم الأخرى، وذلك نظراً لظروف حياتهم المعيشية الصعبة(٤٤) .

ولعل من أشهر الكتاتيب في هذه الفترة في الهفوف :

١ – النعاثل :

أ) كتاب ناصر العديل .

ب) كتاب ثابت بن سعد الثابت .

ج) كتاب أحمد بن عبد الرحمن المسلم .

د) كتاب محمد بن عبد العزيز المتين .

٢ – الرفعة :

أ) كتاب محمد بن عبد الرحمن الربيش "الخثلان" .

ب) كتاب محمد الخليفة .

ج) كتاب علي العاشور .

د) كتاب محمد باشعلان .

٣ – الكوت :

أ) كتاب عبد الرحمن بن مصطفى .

ب) كتاب أحمد بن عبد اللطيف العسعوس .

ج) كتاب سلطان اليماني .

د) كتاب محمد بن تميم .

٤ – الصالحية :

أ) كتاب عبد الله بن سلطان القحطاني .

ب) كتاب عبد الله بن عبد الرحمن بن غيث

ج) كتاب محمد دحيم الدوسري .

ثانياً : المبرز :

أ) كتاب محمد بن جندل .

ب) كتاب محمد بن عبد الله العبد القادر .

ج) كتاب علي بن دهام[٤٥] .

ثالثاً : المدارس

قامت المدارس في المجتمعات الإسلامية إلى جانب المساجد والكتاتيب بدور رئيس في مجال التربية والتعليم حالها – إلى حد كبير – كحال المدارس الثانوية أو الجامعات في وقتنا الحاضر . ويربط المؤرخون بين نظام الملك الوزير السلجوقي وبين نشوء المدارس في الإسلام مع أن بعض المدارس وجد قبل نظام الملك نفسه، ولعل سبب شهرة نظام الملك ومدارسه كونه أول من جعل التعليم مجانياً وفرض للطلاب الأرزاق والأموال[٤٦] .

على نفس هذا التوجه كان انتشار مدارس الوعظ والإرشاد الديني في الأحساء، وهو إحدى السمات نفسها التي تميز بها التعليم في الأحساء . حيث كانت أغلب هذه المدارس عبارة عن أبنية قام بتشييدها أحد الولاة أو الأعيان أو الأثرياء من أهل المنطقة، وأوقف عليها أوقافاً تخصص للصرف على من يدرس فيها . وينتقل ريع هذا الوقف إلى أبناء ذلك المعلم وأقاربه القادرين على ممارسة التعليم بها من بعده . كما أن أهل الخير كانوا يتسابقون في إضافة أوقاف جديدة تيسر الإنفاق على طلاب العلم وتسهل أمور دراستهم[٤٧] .

وكانت الدراسة في هذه المدارس، تتم على فترتين صباحية ومسائية طوال أيام الأسبوع ما عدا الثلاثاء والجمعة، وكانت الدراسة فيها تتركز بشكل مباشر على تدريس الحديث والتفسير والفقه . وكان التوقف عن التدريس في اليومين المذكورين سببه الرغبة في أن يكرس يوم الجمعة للعبادة وقضاء الشئون الخاصة، أما يوم الثلاثاء فقد كان يوماً خاصاً ينتقل فيه العلماء وطلابهم، لاسيما الوافدين من خارج المنطقة، إلى البساتين والعيون للتنزه والترفيه[٤٨] .

أما طريقة التدريس في هذه المدارس فهي أن يحضر المدرس ومعه كتب الوعظ، كمختصر التبصرة للشيخ أبي بكر وغيره، أو تفسير البغوي، أو صحيح البخاري ويقرأ على مستمعيه (من العامة والخاصة) صفحات قليلة من كل

واحد من تلك الكتب، ثم يختم الواعظ بالدعاء، وبعد أن ينصرف عامة الناس يبقى طلاب العلم الخاصون والمرتبطون بحلقة الشيخ لمواصلة الدرس، وللطلاب الحرية في أن يقرأوا في شكل مجموعة أو أفراداً . وكان حضور الناس عادة في المساء أكثر منه في الصباح وذلك لانشغالهم في أعمالهم الخاصة . ويسري هذا النظام طوال أيام السنة ماعدا شهر رمضان حيث تغلق المدارس خلاله ويُكتفَى بالتدريس والوعظ في المساجد(٤٩) .

وقد بلغ عدد هذه المدارس حوالي ثمانية عشر مدرسة أو أكثر موزعة على أحياء مدينتي الهفوف والمبرز، ويعود تاريخ بنائها إلى أزمان مختلفة فبعضها بني في القرن الثالث عشر الهجري والبعض الآخر في القرن الرابع عشر الهجري، ولكن التدريس في هذه المدارس استمر فترة طويلة، أي أن بعض هذه المدارس ظلت فاتحة أبوابها أكثر من ثلاثة قرون مثل مدرسة "علي باشا" التي أنشئت في الهفوف عام ١٠١٩هـ واستمرت إلى سبعينات القرن الرابع عشر . ولعل أشهر تلك المدارس في الأحساء وأكثرها إقبالاً من جانب الأهالي المدارس الآتية :

أولاً : مدارس حي الكوت :

١ — مدرسة علي باشا وهو أحد الولاة العثمانيين، أنشئت في الهفوف عام ١٠١٩هـ وأسند التدريس فيها لعلماء أسرة آل "مُلاَ" . وكان آخر من درس بها في سبعينات القرن الرابع عشر الهجري الشيخ أحمد بن عبد اللطيف الملا(٥٠) .

٢ — مدرسة مصطفى باشا بن علي باشا، وكان يقوم بالتدريس فيها عام ١٣٧٣هـ الشيخ عبد الرحمن بن حمد بن عثمان(٥١) .

٣ — مدرسة آل عمير، وكان آخر من تولى التدريس بها الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف العمير(٥٢) .

٤ — مدرسة الشلهوبية. افتتحت عام ١١٨٣هـ، بإشراف ونظارة فضيلة الشيخ محمد بن علي الملا آل واعظ والذي أوقفها الشيخ أبو بكر بن أحمد بن عبد الله المُلاَ لتدريس الفقه وما تيسر من سائر العلوم الشرعية . وحدد في هذه الوقفية الإجازات بيومي الجمعة والثلاثاء من كل أسبوع وأيام الأعياد وشهر رمضان المبارك في كل عام . في عام ١٢٣٢هـ تولاها الشيخ الفقيه أبي بكر بن محمد بن عمر المُلاّ حيث عين ناظراً عليها . وبعد وفاته تولى نظارتها ابنه الشيخ عبد الله ومن بعده ابنه الشيخ أبو بكر . وقد تخرج على أيديهم الكثير من علماء المنطقة والمناطق المجاورة[٥٣] .

٥ — المدرسة العمرية، ويدرس فيها آل الشيخ أبي بكر المُلاَ[٥٤] .

٦ — مدرسة راشد بن دهنين العماني والتي أسسها عام ١٢٩٢هـ وأوقفها على طلاب العلم . وكان التدريس بها مسنداً لآل أبي بكر المُلا[٥٥] .

٧ — مدرسة آل عبد اللطيف وكان آخر من درس فيها الشيخ محمد بن أحمد بن عبد اللطيف وهو من أسرة معروفة بالعلم والورع[٥٦] .

٨ — مدرسة محمد بن حسن بن خاطر والتي شيدها عام ١٢٧٢هـ وأوكل التدريس والوعظ فيها للسادة الهاشميين من الذين نزحوا إلى الهفوف من المغرب منذ وقت طويل[٥٧] .

ثانياً : مدارس محلة النعاثل :

وبها خمس مدارس : اثنتان تولى التدريس فيهما "آل مبارك" واثنتان درس فيهما "آل عمير" وواحدة تابعة لأسرة "آل نعيم"[٥٨] .

ثالثاً : مدارس حي الرفعة :

وكان بها ثلاث مدارس لآل مبارك :

١ — مدرسة الشريفة : تأسست هذه المدرسة عام ١٣٠٥هـ، حيث أوقف هذه المدرسة المحسنان عبد الله بن سليمان بن دهنين وراشد بن محمد القاسمي

على يد الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف آل مبارك، وقد استمرت تؤدي رسالتها التعليمية في تدريس العلوم مع التركيز على دروس التوعية الإسلامية من خلال الحصص المخصصة للوعظ والإرشاد التي كان يحضرها الخاصة والعامة من أهل الحي . وكان يقوم بإلقاء الدروس فيها فضيلة الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف آل مبارك ومن بعده أبناؤه الصالحون[٥٩] .

٢ — مدرسة الشهارنة : وهي أول مدرسة لأسرة آل مبارك أنشئت عام ١٢٠٠هـ . وقد أوقف هذه المدرسة الوجيه محمد بن خليفة الحملي زعيم أهل الرفعة وعمدتها، على يد جد أسرة آل مبارك الشيخ مبارك حمد بن علي بن قاسم، ثم من بعده أبناؤه، وأوقف عليها مزارع على أن يدرس فيها العلم الشريف من تفسير وحديث وفقه وسائر العلوم الدينية . وفي سنة ١٢٣٠هـ توفي الشيخ مبارك ليتولى النظارة والتدريس من بعده الشيخ عبد اللطيف بن مبارك الذي كان يشغل إلى جانب مهمته العلمية منصب القضاء في الأحساء . ومنذ وفاته سنة ١٢٨٥هـ تولى النظارة عليها ابنه الشيخ عبد الله ثم أخوه الشيخ إبراهيم سنة ١٢٩٩هـ فاستمر ناظراً عليها حتى وفاته سنة ١٣٥١هـ ثم انتقلت النظارة عليها لأبنائه من بعده[٦٠] .

٣ — مدرسة الرفعة الجنوبية (حي آل زايد) : كان يتولى التدريس فيها الشيخ راشد بن عبد اللطيف المبارك ثم خلفه من بعده أبناؤه الشيخ عبد الرحمن بن راشد والشيخ يوسف بن راشد، كما درس فيها أيضاً حفيده الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن راشد آل مبارك[٦١] .

رابعاً : مدارس حي الصالحية :

كان به مدرسة واحدة لآل مبارك، أمر ببنائها الشيخ ناصر بن لوتاه أحد أثرياء دبي، وكان أول ناظر لهذه المدرسة فضيلة الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف

آل مبارك وجاء بعده ابنه الشيخ أحمد بن إبراهيم ثم أخوه الشيخ محمد بن إبراهيم، واستمرت النظارة عليها في ذرية الشيخ إبراهيم حتى يومنا هذا(٦٢).

خامساً : مدارس بلدة المبرز :

من أهم مدارسها الدينية المعروفة :

مدرسة حي العتبان الشمالية ومدرسة الحضر الشرقية وكان يتولى التدريس فيهما منذ عام ١٣٤٣هـ الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد المحسن آل عبد القادر، أما الدراسة فكانت في الأولى مساءً وفي الثانية صباحاً(٦٣).

رابعاً : الأربطة العلمية

الرباط اسم من رابط مرابطة إذا لازم ثغر العدو . وقد أطلق لفظ الرباط على نوع من الثكنات العسكرية التي كانت تبنى على الحدود الإسلامية ويرابط فيها المجاهدون، وعلى مر الأزمنة تطور معنى هذه الكلمة فأصبحت تطلق على الأمكنة التي يرابط فيها العلماء الذين فرغوا أنفسهم لطلب العلم، فأضحت الأربطة أشبه بالملاجئ التي يأوي إليها طلاب العلم الذين يتنقلون في أرجاء العالم الإسلامي(٦٤).

والحديث عن الحركة العلمية في الأحساء لا يمكن أن يكون ذا قيمة علمية دون تثمين دور هذه الأربطة العلمية لما لها من أهمية تعليمية كبرى، وقد عرفت الأحساء مثل هذه الأربطة التي قامت بتوفير السكن والمأكل والتعليم لطلاب العلم من الفقراء والطلبة الأجانب، وكان الملتحقون بالأربطة أكبر سناً وأعلى مستوىً من طلاب الكتاتيب، إذ أن معظمهم كان قد ألمّ في وقت سابق بمبادئ القراءة والكتابة، وكانت الدراسة في الأربطة تشبه إلى حد كبير النظام

الدراسي الحديث . ومن أشهر الأربطة وأكثرها طلاباً ومقيمين رباط آل أبي بكر المُلاّ في حي الكوت بالهفوف(٦٥) .

وقد أسس هذا الرباط في القرن الثالث عشر الهجري ومن أسباب تأسيسه ازدياد إقبال الوافدين من طلاب العلم إلى الأحساء من المناطق الأخرى بعامة وأقطار الخليج العربي بخاصة بهدف طلب المزيد من العلم في مدارس الأحساء وحلقات مساجدها، ولم يكن باستطاعة جميع الطلاب الوافدين تأمين المسكن والمأكل طيلة الدراسة مما كان يضطر بعضهم إلى العودة إلى بلادهم قبل إتمام المهمة التي جاءوا من أجلها، لذلك قام الشيخ عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمر الملا عن نفسه وبوكالته عن بعض رجال الخير ببناء الرباط في محلة الرويضة بالكوت، وفي موقع مناسب قريب من المدارس والمساجد التي تقام فيها دروس العلم . وكان المبنى مكوناً من طابقين وكل طابق يتكون من عدة حجرات من الجهات الأربع أمامها أروقة، وتتوسطها ساحة مكشوفة وجناح شرقي يشتمل على بئر الماء والمطابخ والمرافق الأخرى(٦٦) .

تولى الشيخ عبد الله بن أبي بكر سنة ١٣٠٩هـ بنفسه أول نظارة على الرباط وقام بالتدريس فيه . ومن ثم تولى النظارة عليه ابنه الشيخ أبو بكر وفي عهدهما شهد الرباط نشاطاً علمياً مكثفاً فكانت تقام فيه المساجلات الشعرية والمسامرات الثقافية بين الطلاب ليلاً . كما كانت هناك عناية فائقة بقاطنيه من طلبة العلم سواء من الوافدين أو الدارسين من أبناء الأحساء . وكان بعض العلماء الأفاضل من أمثال الشيخ عبد العزيز بن صالح العلجي والشيخ عبد العزيز بن عمر العكاس يزورونهم في هذا الرباط ويشاركون في التدريس والمناقشات العلمية والثقافية . وكان للشيخ عبد الله بن أبي شبيب والشيخ عبد الله أبي بكر الملا دور متميز في المساجلات الأدبية والمسامرات الشعرية والطرائف الفكاهية في ليالي الرباط(٦٧) .

وقد كان الطلاب في الرباط يركزون على حفظ المتون ثم تشرح لهم وتفسر فترسخ في أذهانهم وتكون لهم بمثابة الأساس للعلوم الأخرى(٦٨) .

ومع أن الأربطة الأخرى للأسف الشديد اندثرت وأهملت ولا نعرف الشيء الكثير عنها، إلا أن هذا الرباط ظل بحمد الله قائماً إلى يومنا هذا في حي الكوت بمدينة الهفوف .

خامساً : العلماء وحلقات العلم

أشرنا فيما تقدم إلى أهمية دُور العلم في المنطقة، ودورها في جمع المتعلمين في أماكن خصصت لذلك، نتج عنها وعي في الدين واهتمام به وحرص على طلبه، وقد أدى هذا إلى تنافس شريف بين طلبة العلم . والحديث هنا مخصص عن أولئك الطلبة والعلماء الذين نهضوا بالمستوى الديني والثقافي في المنطقة، ولو أننا أردنا تناول جميع الشخصيات من العلماء المشهود لهم لطال بنا الحديث، ولكن حسبنا التركيز على بعض العلماء المشهورين منهم خاصة من ذاع صيتهم في المنطقة وخارجها وكان لهم الأثر الباقي في تعليم وتثقيف الجيل الذي أتى بعدهم، من هؤلاء المشاهير :

أولاً : الشيخ عبد الله بن علي آل عبد القادر (ت ١٣٤٤هـ) :

ولد الشيخ عبد الله في المبرز من الأحساء سنة ١٢٧٠هـ، وقد منّ الله عليه بحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، وهو ابن اثنتي عشرة سنة وقرأ على جده ووالده علم التفسير والحديث والفقه واللغة العربية، وقرأ على الشيخ محمد بن غنام في علم الفرائض، ثم انتقل إلى حي الكوت في الهفوف ليقرأ على عدة مشايخ منهم الشيخ حسين بن فلاح، والعلامة الشيخ محمد بن أحمد بن عمير ثم رجع إلى المبرز وعكف على العلم والتعليم . من المعروف أن والد الشيخ عبد

الله كان يشغل منصب القضاء في مدينة المبرز (حسبة بغير مقابل) وبعد وفاته تسلم ابنه الشيخ عبد الله وظيفة القضاء، حسبة تأسياً بأبيه حتى وفاته، وقد أخذ العلم عنه كثيرون من أهل الأحساء وغيرهم[٦٩] .

للشيخ عبد الله رحمه الله قصائد شعرية في غاية الجمال والروعة، كما طرق كثيراً من الموضوعات وأجاد في فن المراسلة والمدح أيما إجادة[٧٠] . ولم يكن الشعر في يوم من الأيام غاية في حد ذاته بالنسبة للشيخ عبد الله، وإنما كان إحدى وسائل التعبير الفني التي يقف معها الشيخ الجليل ويتفاعل معها صياغة وتعبيراً فلا ذكر للسياسة ولا ذكر للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية لأن هذه الطبقة من الناس فرغت نفسها تفرغاً كاملاً للأعمال الدينية[٧١] .

دروسه وحلقاته :

عرف عن الشيخ رحمه الله أنه كان يصلي الفجر، ويجلس في مصلاه حتى تطلع الشمس وترتفع فيقوم ويصلي ركعتين وينصرف إلى بيته، وبعد قليل يخرج إلى المدرسة الشرقية الكائنة بحي "السياسب" فيقرأ درساً في تفسير البغوي رحمه الله، وكلما ختمه أعاده، ثم يذهب إلى المدرسة الثانية في حي العتبان بالمبرز ويقرأ فيها شرح الإمام القسطلاني على صحيح البخاري، وكلما ختمه أعاده، وبعد الفراغ من الدرس يقرأ التلاميذ عنده في الفقه والعربية، ويفصل في الخصومات بين الناس، ويوقع على الوثائق المحررة في الأحكام والبيوع وسائر المعاملات .

وكان ورعاً كثير الاشتغال بالعبادة والذكر، من جيد شعره :

ولولا ثلاث هـن من لذة الفتى   وحقك لم أحفل متى قام عـودي
سياحة قلبي في رياض أريضة   من العـلم مجتازاً على كل مـورد
وتسبيحنـا لله جــل جلالــه   عشياً وبالأبكـار في كل مسجـد
وترتيل آيات الكتاب منـوراً   بها جوف ليلي في قيام تهجدي[٧٢]

ثانياً : الشيخ عبد العزيز العلجي (ت ١٣٦١هـ) :

يرجع أصل ونسب الشيخ عبد العزيز بن صالح بن عبد العزيز العلجي إلى قريش، ولا يعرف تاريخ مولده بالضبط، إنما يرجح وفق أقوال الثقاة من تلاميذه أنه ولد بالأحساء في الفترة ما بين ١٢٨٥ – ١٢٩٠هـ، وقد أكرمه الله بحفظ القرآن الكريم في وقت مبكر، وتعلم في الوقت نفسه الكتابة والقراءة ومبادئ العربية، ويذكر أنه في بداية حياته كان مشتغلاً بالتجارة، لكن الله هداه إلى العلم وتوجه إليه بنفس مشوقة وهمة فتية، فتتلمذ على يد عدد من علماء الأحساء البارزين كالشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف آل مبارك، والشيخ عيسى بن عكاس، والشيخ البشاوري .

بعد فترة من تفرغه للدراسة والطلب، وجد مسجداً ليس عليه وقف يعرف بمسجد آل بداح في حي الرفعة بالهفوف فأصبح يؤم الناس فيه، ثم سعى له في بعض الأوقاف، واتخذه له مأوى طيلة النهار من الظهر إلى المغرب .

يتحدث علماء الأحساء عنه فيقولون : كان الشيخ العلجي (المالكي) صادق اللهجة، تقياً صادقاً، عظيم المراقبة لله، شديد الغيرة، ناصراً للحق لا تأخذه في الله لومة لائم .

كما كان الشيخ متجرداً من الدنيا، مشتغلاً بالعلم والتعليم، يصوم يوماً ويفطر يوماً من صغره، وكان يختم القرآن الكريم في قيامه بالليل كل جمعة[٧٣] .

مؤلفاته :

١ – منظومة شعرية في فقه الإمام مالك جعله كالمقدمة للعاصمية المعروفة بتحفة الحكام فيما يجري بين أيديهم من الأقضية والأحكام لأبي بكر محمد

بن محمد بن عاصم الأندلسي الغرناطي، وتقع هذه المنظومة في أربعة آلاف بيت أولها :

تعريف أهل العلم بالطهـــارة قد عرفت بالصفة الحكميـــة

٢ – منظومة شعرية لمتن عزية الزنجاني في الصرف أسماها مياسم الغواني في تقريب عزية الزنجاني وتحتوي على ٤٥٠ بيتاً ومطلعها :

الحمد لله الحكيم المانح مصرف السحاب واللواقح

صرفها بأحسن المقاصد من أجل أن يمن بالفوائد[٧٤]

هذا بالإضافة إلى جملة منظومات في مكارم الأخلاق، وآداب السنة، وله شعر جيد، فمن جيد شعره ما قاله في مدح السيد طالب النقيب، يستعطفه للتوسط لدى الباب العالي (السلطان العثماني) لإسقاط رسوم قررتها الدولة العثمانية على أهالي الأحساء[٧٥] .

ثالثاً : الشيخ عبد العزيز بن حمد آل مبارك (ت ١٣٥٩هـ) :

الشيخ عبد العزيز بن حمد رحمه الله من مواليد سنة ١٢٧٩هـ بحي الرفعة من مدينة الهفوف، وينتهي نسبه إلى بني تميم . بدأ حياته العلمية بالقرآن الكريم فحفظه في سن مبكرة ثم توجه مع والده الشيخ حمد بن عبد اللطيف إلى مكة المكرمة، فأقام بها سنوات تلقى خلالها قسطاً من مبادئ العلوم الشرعية على يد بعض علماء مكة، ثم عاد إلى بلاده وعكف على الدرس والتحصيل وسنه لم تتجاوز الخامسة عشرة، ثم أكمل دراسته على بعض مشايخ أسرته بخاصة عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ووالده الشيخ حمد وتلقى أيضاً قسطاً من علومه على الشيخ عبد الله بن أبي بكر الملا، وفي سنة ١٣٠٨هـ توجه بصحبة عمه الشيخ راشد وبعض أفراد الأسرة إلى مكة للحج وكان قفولهم عن طريق حائل مقر ولاية الأمير محمد العبد الله الرشيد، وقد

نزلوا ضيوفاً عنده وظهر نبوغ الشيخ في مجالس الأمير وتجلى ما تنطوي عليه نفسه من قوة العارضة وورود الحجة وحسن الرأي .

في سنة ١٣١٦هـ توجه إلى البحرين مع عمه الشيخ راشد ونزلوا ضيوفاً عند حاكمها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، وقد قاموا بالدعوة إلى الله عز وجل وتدريس العلوم الشرعية، ومحاربة البدع والخرافات، والأوهام التي تفد على بلاد الإسلام في غفلة الرقيب ومن ثم سافروا إلى أبو ظبي وعموم مدن الساحل وبعدها توجهوا إلى العراق[٧٦] حيث لاقوا من حسن الاستقبال ما يفوق التصور[٧٧] .

يقول عنه ابنه الشيخ أحمد بن عبد العزيز المبارك في مقدمة كتاب "تبيين المسالك لتدريب السالك" الذي قام بتأليفه الشيخ عبد العزيز بن حمد وشرحه وحققه الشيخ الشيباني : لقد كان الشيخ رحمه الله مثالاً كريماً في هديه وخلقه، لا يفتر عن تلاوة القرآن الكريم، ذو سكينة ووقار، رائعاً في مظهره وملبسه والزينة التي أحلها الله إلى جانب بره بأهله والأقربين من عشيرته يبذل لهم نفسه ونفيسه غير مدخر عنهم ولا ضان بشي، عن محتاج إلى عونه ومساعدته مما حمل الشعراء على مدحه والثناء عليه في عدد من القصائد الشعرية .

في سنة ١٣٥٢هـ ظهرت عليه عوارض المرض، حيث اشتد به في الأول من شهر ذي الحجة، وفي ليلة عرفة من عام ١٣٥٩هـ استدعاني وأخبرني بدنو منيته وزادني وصيته وتنهد قائلاً لم آسف على شيء من هذه الدنيا أسفي على علم بين جوانحي لم أستطع منحه أحدكم، ثم أجهش بالبكاء وقال إني أخشى أن يقال لي : "يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون" فكم أمرت ونهيت وخوفت وأرشدت على المنابر وغيرها، ولكنني أرجو رحمته، ثم أمرني بقراءة سورة الأنعام، وقبل الفجر فاضت روحه إلى بارئها بعد أن تشهد طيب الله

ثراه[٧٨] . وقد رثي بقصائد يزيد عددها على عشرين قصيدة . ومما ألفه رسالة تدريب السالك إلى أقرب المسالك على مذهب الإمام مالك ﷺ .

رابعاً : الشيخ عبد الله بن عمر بن دهيش :

من مواليد ١٣٢٢هـ بمحلة النعاثل من مدينة الهفوف، حنبلي المذهب، عرف بسعة الاطلاع في فقه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وكان كثير المطالعة شغوفاً بجمع كتب العلم بجميع أنواعها، عالماً بالفرائض والحساب، يحفظ جملة من أحاديث الأحكام، فطناً ذكياً، قرأ القرآن وتعلم مبادئ الكتابة على يد عبد الله بن غيث، وأخذ مبادئ علم العقيدة السلفية عن الشيخ عيسى بن عبد الله بن عكاس المالكي السلفي، ثم قرأ على الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن بشر لما كان قاضياً في الأحساء جملة من الكتب المطولة في فقه الإمام أحمد كالمغني والشرح الكبير والإقناع والمنتهى وقرأ علم الفرائض على الشيخ أحمد بن علي عرفج، والشيخ محمد بن حسين بن عرفج من علماء الأحساء، ثم انتقل إلى الرياض وأخذ عن مشايخها، ثم عين في شعبان سنة ١٣٥٢هـ على قضاء حائل وبقي فيها حتى سنة ١٣٦١هـ ثم انتقل إلى هيئة التمييز بمكة المكرمة معاوناً لرئيسها الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع[٧٩] .

يتضح مما تقدم أن الحركة العلمية في هذا البلد حركة نشطة، متجددة، خاصة في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، ويبدو أن ذلك راجع إلى انفتاح منطقة الأحساء على المناطق المجاورة لها من ناحية، ووفرة أماكن التعليم من ناحية أخرى . ولاشك أن هذا الانفتاح جعل علماء الأحساء يتطلعون إلى مسايرة الركب العلمي في المناطق المجاورة مثل العراق ودول الخليج العربية الأخرى . فسارعوا إلى إنشاء المدارس والأربطة العلمية . وقاموا بتشجيع التجار والمحسنين على بناء هذه الصروح العلمية وإيقاف العقارات المناسبة التي تساعد على انتعاشها واستمراريتها مثل مزارع النخيل والمساكن وغيرها .

ومن الأشياء التي امتازت بها الأحساء عن غيرها من الناحية الدينية، هو انتشار المدارس الفقهية الأربعة الشافعية والمالكية والحنفية والحنبلية، ولكل مذهب من هذه المذاهب مدارسه الخاصة به وعلماؤه المتخصصون فيه . ولاشك أن هذه المدارس بأنواعها ساعدت على تنشيط الحركة العلمية والثقافية وذلك بزرع روح التنافس بين أبناء الأسر العلمية وجعلهم يتطلعون إلى الاستزادة من العلوم وذلك بالتحلق حول العلماء المتخصصين في كل علم وفي كل فن، سواء في العلوم الشرعية أو غيرها من العلوم الأخرى .

وبالرغم من اختلاف المذاهب الفقهية ، واختلاف المشارب والآراء، إلا أن صدور علماء الأحساء اتسعت لمثل هذه الخلافات لكونها خلافات في الفروع وليست في الأصول .

النشاط الأدبي في الأحساء
خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري

إن النشاط الأدبي في الأحساء كان مسايراً للتعليم الديني فيها، وكان للأدب عند الأحسائيين شأن عظيم، حيث كانوا يروحون عن أنفسهم باستذكاره بما فيه من أشعار وقصص ونوادر وطرائف، فكانوا يمزجون العلوم الدينية بالأدب، في دروسهم ومواعظهم ومجالسهم لكي يسهلوا على العامة فهمها، وتحاشياً من إدخال الملل والسأم على قلوب سامعيهم .

فنجد العالم في الأحساء، فقيهاً وخطيباً وواعظاً ومدرساً ومع ذلك لا يغفل المراسلات الأدبية ، والقصائد الشعرية ، والنوادر الفكاهية ، ومن حسن الحظ أن جزءاً يسيراً من هذا التراث قد جمع في ديوان شعراء هجر وأن القصائد التي وردت والمراسلات ما هي إلا غيض من فيض، ذلك أن علماء الأحساء للأسف

الشديد لم يهتموا كثيراً بالتأليف، ولا أدل على ذلك من أنه بالرغم من وجود هذا الأدب وهذا الشعر إلا أن علماء الأحساء وأدباءها لم يهتموا بجمعه وتوثيقه، وإخراجه على شكل كتب، أو دواوين، وإنما اكتفوا بحفظه في الصدور وروايته في المناسبات .

في هذا السياق يقول عبد الفتاح الحلو في مقدمة كتابه شعراء هجر : "إن لهذا الكتاب قصة بدأت حينما وطئت رجليّ أرض الأحساء، وعشت بين أهلها، والتقيت بعلمائها وفضلائها، فقد كانت تطرق سمعي أبيات كثيرة لم أسمع بها من قبل، كنت أسمعها في كثير من المناسبات حينما تعرض فكرة، أو يقع حادث، أو يلم من الأمور ما يدعو إلى التمثل والاستشهاد، وبدأت أسأل وأستفسر، وأخيراً علمت أن هذه الأبيات لشعراء مضوا وخلفوا وراءهم نتاجاً شعرياً رائعاً يعتز به أهل البلاد، ويكثرون من ترديده والتمثل به . ثم دعيت إلى محافل كثيرة، وسرني من هذه المحافل أنها كانت تزين بالقصائد الرنانة، والنغم الجميل، يقوم بإلقائها رجال عرفوا بعذوبة الصوت وقوة الذاكرة كأمثال الشيخ عبد الله بن أبي شبيب[٨٠] الذي يعد بحق راوية لشعراء هجر، ويحفظ من هذا الشعر أجوده وأنقاه، وسألت عن هذا التراث الأدبي الحافل ودهشت حينما علمت أن القليل منه محفوظ في الصدور، وأن الكثير منه تحويه الأوراق القديمة عند بعض المعنيين بالشعر والأدب، وأن أكثر هذا التراث قد ذهب وضاع، إما بسبب الأعراب وتخريبهم للأحساء أكثر من مرة في أواخر حكم العثمانيين، أو لإهمال الورثة أمره، وقد ضاع كثير من الإنتاج الأدبي والشعري عن هذا الطريق، فقد أخبرت أن بعض الناس كان يرث من المؤلفات والكتب الخطية الشيء الكثير، ثم يغلق عليها الباب ويتركها للسوس والتراب، أو يضعها على سطح بيته للرياح والمطر والشمس"[٨١] .

نتيجة لهذا وللأسف الشديد فإن الكثير من تراث الأحساء الأدبي قد فقد، وبالرغم من ذلك فإن ما وصلنا عن أدب الأحساء يعد كبيراً، لا من حيث

الكثرة، وإنما من حيث القيمة الأدبية، عليه سنحاول أن نستعرض بعض النماذج لكي يتضح لنا إلى أي حد بلغ الأدب في الأحساء، وكما كان للتعليم الديني أماكن مخصصة له، فقد كان للأدب أيضاً أماكن مماثلة يمارس فيها بشتى أنواعه، وأهم هذه الأماكن المجالس الأدبية، والبساتين، والمكتبات. وسنتطرق بالحديث فيما يلي لبعض هذه المنابر الأدبية لما لها من أهمية كبرى في دفع الحركة الأدبية في المنطقة إلى الأمام.

١ - المجالس الأدبية

المقصود بها تلك المجالس التي يجتمع فيها نخبة من العلماء والأدباء والمثقفين، فتدور بينهم مناقشات فقهية وأدبية وثقافية، فتكون مجالاً لاستعراض الأفكار والآراء مدعومة بالحجج والبراهين العقلية منها والنقلية.

في الحقيقة لقد كان لهذه المجالس الأدبية دور كبير في دفع النشاط العلمي والأدبي إلى الأمام، لأنها كانت تزرع في النفوس روح التنافس والتسابق إلى القراءة والحفظ والمراجعة، وكانت مناخاً طيباً لتلاقح العقول وتبادل المعرفة والمعلومات الجديدة، حيث كان يدور ويثار في المجلس الواحد عدة قضايا ومسائل فكرية جادة وغالباً ما يتميز فيها الشخص الذي يقرأ كثيراً ويحفظ أشياء قيمة من الآداب العربية ونوادر التراث العربي الإسلامي.

وبالإضافة إلى المناقشات العلمية المفيدة التي كانت تدور في هذه المجالس، فإنها أيضاً كانت تشهد أجواء أنس وسرور بحضور الرواة والمنشدين المتميزين الذين يحفظون من الشعر أجوده وينشدون بأصوات ندية شجية مؤثرة.

ومن الذين كانوا يهتمون بهذه المجالس وبنائها أبناء الذوات ووجهاء الأسر العلمية المعروفة في الأحساء مثل أسرة آل عبد القادر وأسرة آل عمير

وأسرة آل غنام وأسرة آل ملحم وأسرة آل مبارك وأسرة آل المُلاَ وغيرها من الأسر الأخرى .

وصاحب المجلس غالباً ما كان يهتم بأمره ويعتبره صالة استقبال ووجه البيت المعبر عن حسن الذوق، فيبنيه أحسن البناء، ويؤثثه بأفخر الأثاث ويزوده بالكتب الفقهية والأدبية إن كان من أهل الثراء والوجاهة فإنه يهتم بمسائل الثقافة ويشجعها . ولقد ارتبطت هذه المجالس بمظاهر الجود والكرم فكان أهل الحي في المناسبات والأعياد وفي كثير من الأوقات العادية يجتمعون فيها فيجدون خيرا كثيرا(٨٢) .

٢ - البساتين والمتنزهات

تعد البساتين أو حدائق النخيل المكان المفضل الذي يروّح فيه أهل الأحساء عن أنفسهم، بعد المعاناة اليومية التي يجدونها من ضغوط العمل والحياة، حيث يهرعون إلى أنهارها الجارية وعيونها الفياضة مستمتعين متفيئين ظلال الأغصان المتشابكة، والأشجار المثمرة فيرجعون إلى منازلهم وقد صفت أذهانهم وارتاحت نفوسهم وأبدانهم .

هذا بالنسبة لعامة الناس أما إذا نظرنا إلى العلماء والأدباء فقد استفادوا من هذه الأجواء حيث خصصوا الثلاثاء من كل أسبوع عطلة يذهبون فيها إلى البساتين الغناء بالأشجار الوارفة، وثمار الفواكه اليانعة المتنوعة، فضلاً لما لهذا اليوم من بهجة ومرح وتباسط من نفوس الجميع، خاصة الطلاب الوافدين لما يجدونه فيه من الانطلاق والمرح ولما يلمسونه من شيوخهم من التبسط في الحديث مع إلقاء النوادر والطرائف الأدبية المشوقة، ثم يعودون عند غروب ذلك اليوم وقد امتلأت نفوسهم حيوية ونشاطاً، وقد جرت العادة ألا تكون

هناك دروس علمية في هذا اليوم، وفي نفس الوقت لا يخلو طبعاً من الفوائد والحكم التي تسهم بدورها في تنمية الثقافة الأدبية[٨٣] .

لاشك أن هذه كانت من الميزات الفريدة للحياة العلمية والأدبية والثقافية في الأحساء، ويمكن القول بأن أكثر الأشعار المدونة والمنشورة لأدباء الأحساء خلال هذه الفترة التي نتحدث عنها قد نظمت في تلك الجلسات الخاصة أو نتيجة لها[٨٤] .

ولعل من الأهمية أن نشير هنا إلى بعض من هذه البساتين التي ورد ذكرها في "ديوان شعراء هجر" فمن أهمها بستان عجيبة لآل مبارك، وبستان الفدا لآل عبد القادر، وهو بقرب حديقة القليبات وبه مجلس واسع جميل . وغالباً ما يأتي هذان البستانان مرتبطان ببعضهما، ولا نعرف سببا واضحاً لذلك ولكن ربما لأن أغلب الاجتماعات كانت تعقد فيهما . ولنستمع إلى ما قاله الشيخ عبد الله بن علي آل عبد القادر وهو يذكر هذين البستانين : "هذه نفحة من نفحات الزمان، سعى مرة بين الأصحاب بداعية الاجتماع، وتم منهم شمل عافاه الله من الانصداع، ودارت بينهم للشمول أقداح، وتخللت أرواحهم نسمات السرور والأفراح، وكان في شرع الهوى ومذهب أهل الورى أن النهار للندامى، والليل للبيض الدمى، شراعاً مضى ومذهب عدل رضا فخالف هذا الشرع أقوام فوجهنا إليهم الملام، وقلنا ما سمحت به القريحة، وجرت به الأقلام :

يا نسمة الأصباح سيري بلغي ... أهل العجائب فالفدا تسليما

وتلقفي أخبارهم وتعرفي ... من بات منهم للغرام كليما

قولي له وفي الهوى أربابه ... يا سيدي إذ كنت إبراهيما

أوَ ما علمت وأنت عالم وقته ... أن الدجى حق لهن قديما[٨٥]

فأجابه الشيخ عبد العزيز بن حمد آل مبارك بقصيدة مماثلة خالفه فيها وقدح في حكمه فأنشد قائلاً :

أنسيم فجر الوصل طبت نسيمـا ... أحييت صبـاً للغرام غريـما
يا حاكمـاً بالليـل للبيض الدمى ... مهلاً بحكمك وارقب التحكيما
من أين تنصف في الحكومة بعدما ... صادت حبائلهن منك حليمـا
ورمين قلبك من قسي حواجـب ... بسهام فتك أعقبتـه سـهوما[٨٦]

أيضاً هناك مكان يعرف باسم ناظرة، عبارة عن كثبان رملية تقع شرق الهفوف، كانوا يلتقون به ويسمرون فيه، وفي أيام عرس الشيخ عبد الله بن علي آل عبد القادر اجتمع عدد من العلماء والأدباء للنزهة هناك، ودعوه للانضمام إليهم فكتب إليهم مداعباً :

يا نازلين على أنقـاء ناظـرة ... إنا نزلنا على كثبان يبرينـا
لسنا سواءً نظرتم والهوى قذف ... وقد جنينا ثمار الوصل دانينا
فإن شربتم على نـار يمانيـة ... فقد شربنا على نور أمانينـا
وإن تناولتـم بالكأس لذتهـا ... فقد كرعنا فيهنيكم ويهنينـا[٨٧]

وفي قصيدة جميلة للشيخ عبد العزيز بن حمد آل مبارك، أرسلها إلى ابن عمه الشيخ صالح وأخيه الشيخ أحمد بن محمد بن عبد اللطيف آل مبارك يبدو معتذراً فيها ويتغنى بالأحساء وما فيها من بساتين وعيون مشهورة بقوله :

فيوماً على شاطي الخدود مقيله ... له في بساتين الضواحي مسـارح[٨٨]
ويوما يفادي حومة من برابـر ... حكت ماءها بعد الصقال الصفائح[٨٩]
يقيل عريشاً بالجزيرة والهوى ... لزاهي عريش بالغراريف جـامح
ويوماً لسفح الجوهريـة مبكـر ... وفي مائها الفضي ما شـاء سابـح[٩٠]
ويضحي بربع في عجيبة حوله ... ثـمار تدلـى أو حـمام صـوادح[٩١]

ومن فوائد هذه الأشعار أنها حفظت لنا أسماء بعض البساتين المشهورة مثل بستان الضواحي، وبستان الغراريف وهو بستان صغير شرق الهفوف، وبستان عجيبة الذي مر ذكره ، وهذه البساتين الثلاثة كانت تشهد بعض اللقاءات العلمية والأدبية الرائعة .

كما حفظت لنا أيضاً هذه الأشعار أسماء بعض العيون المشهورة في الأحساء مثل عين الخدود وهي أكبر عين في الأحساء ويسقي ماؤها عامة نخيل الأحساء، وعين برابر المشهورة بصفاء مائها وعذوبته، والجوهرية التي تعد من أشهر عيون الأحساء القديمة . وهذه العيون لم تكن خاصة لأحد معين أو أسرة معينة وإنما كانت لعامة الناس يجتمعون فيها ويستمتعون بمائها العذب ومنظرها الخلاب .

لاشك أن هذه المناظر الرائعة تثير القرائح وتفتقها، وفي أحد هذه البساتين الجميلة مد الشيخ عبد العزيز بن حمد المبارك يده – وكان في نزهة مع أصحابه – ليقطف أترجة زاهية فقال له صاحبه لا تأخذها حتى تصدقها أربعة أبيات، فقال من فيض اللحظة والخاطر هذه الأبيات الرائعة :

وأترجة خضراء ماست غصونها ... بها ثمر قيد النواظر أصفر
لها الله أغصاناً كأن ثمارها ... قناديل لاحت في دجى الليل تزهر
تذكرت لما أبصرتها نواظري ... وهل ينفع الصب الكئيب التذكر
عروساً تهادى بيننا في حليها ... عليها رداء مذهب الوشي أخضر(٩٢)

٣ – المكتبات

الحديث عن المكتبات لا معنى له إلا في إطار الحديث عن الحركة العلمية والأدبية، ذلك أن المكتبات كانت طريقة القدماء في نشر العلم، ولما كان يتعذر

على غير الأغنياء اقتناء الكتب، لجأ بعض ممن أحب تعليم الناس من موسرين وغيرهم إلى إنشاء مكتبات يجمعون فيها الكتب القيمة ويفتحون أبوابها أمام طلاب العلم وأئمته وغيرهم من القراء والمثقفين عموماً(٩٣) .

في الأحساء حرص العلماء على جمع الكتب واقتنائها(٩٤) وما من شك أن هذا الحرص لا يدل على المكانة العلمية فحسب، بل كان دليلاً على الاهتمام بالعلم وتوفير المصادر التي تحفظ هذا العلم لأجيال المستقبل(٩٥) .

وقد كانت تحتوي هذه المكتبات على مجموعة من الكتب النفيسة من مراجع قيمة وموسوعات متنوعة ومخطوطات نادرة . ولعل مكتبة آل عبد القادر واحدة من هذه المكتبات النفيسة التي عرفتها الأحساء، حيث كانت منبعاً لرواد العلم من كل مكان وكانت تضم أكثر من ثمانية وثلاثين مخطوطاً، ولشهرتها ومكانتها فقد زارها وفد من جامعة الدول العربية وصوروا مخطوطاتها وقد أكد رئيس الوفد بأن هذه المكتبة من أكبر المكتبات الأهلية الموجودة في المملكة من حيث القيمة العلمية ووفرة الكتب فيها(٩٦) .

ومثلها مكتبة آل مبارك التي أسسها جدهم الأكبر مبارك المتوفى سنة (١٢٣٠هـ) وقد وزعت مكتبته على أولاده بالتساوي، كما آلت كتب جدهم عبد اللطيف آل مبارك المتوفى سنة(١٢٩١هـ) إلى أولاده الستة أيضاً، وقد فقد الكثير من كتبها القديمة ومخطوطاتها النادرة نتيجة لتعرض المنطقة في تلك السنة لحوادث نهب وسلب . ولعل أهم المكتبات التي كانت في حوزة آل مبارك مكتبة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل مبارك إمام وخطيب مسجد الإمام فيصل بن تركي في الهفوف سابقاً، وبعد وفاته انتقلت إلى ابنه الشيخ محمد المتوفى سنة (١٤٢٥هـ) وهي ما تزال موجودة في بيته تحت نظارة ابنه الشيخ محمود، كذلك مكتبة الشيخ يوسف بن راشد آل مبارك التي تتميز بمحتوياتها ومخطوطاتها النادرة، حيث يوجد بها تسعة مخطوطات أشهرها جزء لابن خلكان من كتابه "وفيات الأعيان" و "تحفة المشتاق في أخبار نجد

والحجاز والعراق"، لمؤلفه عبد الرحمن البسام، ومخطوط شرح رائية ابن عبدون، والتي يرجع تاريخها إلى ٧٠٠ سنة مضت، ونسخة من شرح العلامة الجليل خليل المعروف بمختصر خليل، وكذلك مخطوطة شرح ديوان بن المقرب، بالإضافة إلى كثير من الكتب وخاصة كتب التفسير والحديث والتوحيد والفقه . أيضاً هناك مكتبات لا تقل أهمية عن هذه المكتبات كمكتبة الشيخ محمد بن إبراهيم المبارك ومكتبة الشيخ أحمد بن علي المبارك[٩٧] .

كما نافست هذه المكتبات مكتبة آل عكاس الدينية المتخصصة، حيث تحتوي على ما يقرب من الألفي كتاب جلها في العلوم الدينية والكتب وثيقة الصلة بها، ويبدو أن ذلك راجع لاهتمام آل عكاس بدراسة العلوم الدينية[٩٨] .

هذا بالإضافة إلى بعض المكتبات الأخرى في الأحساء، مثل مكتبة أسرة آل مُلاّ، والعفالق والموسى والغنام والعمير والرومي وغيرهم[٩٩] .

٤ – الأدب والأدباء في الأحساء خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري

إن حياة أهل الأحساء في عمومها تميل إلى البساطة وعدم الكلفة فهم ميالون إلى الطبيعة في كل صورها وألوانها يعشقونها في مظاهر خلقتها ويسيرون على نهجها في حياتهم، لا يغيرون من ميولهم إلا بما يقتضيه العرف والواجب والدين، لأنها خالية من التعقيد باعثة على صفاء الأذهان والقرائح . ويكفي أن هذه الطبيعة الساحرة ألهمت أهل هذه البلاد الشعر والأدب وحببت إلى نفوسهم القريض، فهم عاشقون للشعر يحبون أن يقرأوه ويرددوه في مجالسهم، ويهرعون إلى استماعه ممن يلقيه، ويحرصـــون على اقتناء القصائد بعد سماعها[١٠٠] .

أما عن أكثر الموضوعات التي طرقها الشعراء في الأحساء فقد تمثلت في شعر المراسلة والمساجلة، وخصوصاً بين الآباء والأبناء والإخوان والأصدقاء، ومما يؤيد هذا ويدعمه كثرة شعر المراسلة والمساجلة والارتجال المجود في شعر أهل الأحساء . وربما كان من أسباب شيوع هذا النوع من الرسائل الشعرية حب القوم للسفر، فقل أن تجد عالماً منهم لم يشغله السفر إلى البحرين، والكويت، والعراق، وعمان، ونجد، والحجاز وغيرها من البلدان الإسلامية بأهداف مختلفة إما بغرض السياحة، أو طلب العلم، أو طلب لقمة العيش، أو للتجارة، أو لغرض الدعوة والوعظ، أو للاتصال بحكام تلك المناطق والبلدان .

وكان شعر الوصف أهم ما يميز أهل الأحساء عن غيرهم، خاصة وصف الطبيعة وجمالها بما فيها من أنهار جارية، وبساتين خضراء مورقة . أما شعرهم السياسي فكان يصور الحالة السياسية السائدة في منطقتهم والمناطق المجاورة لها . وكثيراً ما عانت الأحساء من فقدان الأمن بسبب الأعراب الذين كانوا يهددونها من حين لآخر قبل قيام الدولة السعودية الثالثة وتوحيدها، لذا نجد أن شعر أهل الأحساء السياسي غالباً ما يأتي مصوراً لهذه الظاهرة التي كانت تهدد الأحساء والمناطق المحيطة بها . هذا بالإضافة إلى أغراض أخرى من شعر تربوي، ومديح جيد، ورثاء صادق(١٠١) .

أيضاً مما يلاحظ على الشعراء في الأحساء أنهم ارتبطوا بالتراث العربي القديم، وتمردوا على عصور التخلف وتجاوزوها إلى المصادر الأولى النقية، كذلك يلاحظ عليهم تمردهم على النماذج المتأخرة التي كانت تتجه إلى الزلفى، وغايتها النهائية التقرب والعطاء، فقد عادوا إلى ربط الشعر قدر الجهد بالصدق، والنبل، والقيم السامية، فصفة العلم والفضل والأخلاق الرفيعة في المتوفى من أهم البواعث على رثائه عندهم(١٠٢) .

وإذا ما انتقلنا من دوحة الشعر إلى دوحة النثر، فإننا سنجد الكثير من الرسائل البلاغية الفصيحة، التي جاد بها أدباء الأحساء، ولكن من الصعب

علينا هنا استعراضها خشية الإطالة، وعلى أية حال سنعرف فيما يلي ببعض أدباء الإحساء مع إيراد شيء من إنتاجهم الأدبي في هذه الفترة، وسنستثني منهم العلماء الأدباء الذين تقدم ذكرهم .

١ – الشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف المبارك :

هو الذي يقول عنه عبد الله الحامد في كتابه الشعر في الجزيرة العربية : "أحسب أن عبد العزيز هذا أجود شاعر جادت به الأحساء على امتداد قرنين، وقد ولد في الهفوف عام ١٣١١هـ، وقرأ علوم الدين على جده الشيخ إبراهيم، وعلوم اللغة على الشيخ عبد العزيز العلجي، وما إن شب عن الطوق حتى أغرم بالتجوال فأقام بالبحرين، مفيداً ومستفيداً، ثم ذهب إلى الهند لعلاج مرض داهمه، وكان يجمع في رحلاته بين الدعوة والإرشاد، والتدريس والاستفادة، وتوفى سنة ١٣٤٣هـ وهو في زهرة الشباب لم يتجاوز الثالثة والثلاثين . وكان ذكياً فطناً سريع الحفظ سريع البديهة، يقول الشعر متى أراد، ولذلك عرف بشاعر الارتجال، وقد طرق كثيراً من أغراض الشعر فأجادها"[١٠٣] ومن شعره في المديح قوله في الشيخ عيسى بن علي آل خليفة :

أوال سقاك وسمي الغوادي   فأنت أحق بالوسمي الموالي
تسميها الورى البحرين عدلاً   وفي الأسماء وصف للمعالي
حوت بحرين بحر الجود عيسى   وبحراً فاض بالدرر الغوالي[١٠٤]

وطرق الشاعر غرض الرثاء فأجاده، ولعل لذلك صلة بإحساسه بالألم القوي، نتيجة ما ابتلي به من أسقام وشجى، وتمتاز قصائده في الرثاء بالطول، واستيعاب المعاني وعمقها وترتيب الأفكار إلى حد ما، شأنها في ذلك شأن قصائده السياسية، وإن كانت هذه الميزات في شعر السياسة أدق وأفصح، وللشاعر قصيدتان في الشعر السياسي الأولى عينية مطلعها :

هل من يجيب إذا ما دعاه الداعي   ويعي الخطاب وأين منه الواعي

ذهب الرجال وخلفوا أشباههم والماء يخلفه سراب القاع
كم ذا أنادي غير مسموع النِدا وأحث للإصلاح غير مطاع(١٠٥)

ولهذه القصيدة قيمة كبيرة في الشعر السياسي، حيث صورت القصيدة الوضع السياسي في الخليج وهي أول قصيدة من الشعر السياسي تشير إلى خطر الاستعمار، وقد بلغت القصيدة ٨٠ بيتاً وفيها أوكل الشيخ عيسى بن علي آل خليفة إلى ابنه الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة القيام بمهام الحكم وذلك لكبر سنه، وله أيضاً غزل لطيف ومراسلات شعرية لطيفة يقول في إحداها :

وميض البرق من ومض العيوني أفاض الدمع من غرب العيون
ونوح الورق أورى دار وجدي وأذكى لوعة القلب الحزين(١٠٦)

٢ – السيد الشاعر عبد الله بن السيد أحمد الهاشم :

ولد السيد عبد الله عام ١٣٢٦هـ وتتلمذ على يد مشايخ من آل عبد القادر وآل عمير وآل عرفج، كما رابط في رباط آل أبي بكر . وقد عرف عنه طموحه وتطلعه إلى الأسفار خارج محيط بلدته. حيث سافر إلى أبو ظبي وعمان، وتوفي يرحمه الله سنة (١٣٩١هـ)، وقد طرق هذا الشاعر أغراض الشعر، من مدح، وهجاء، ورثاء، وغزل وغيره وقد برع في المساجلات وأدب المراسلات وكان يكثر من نظم الشعر الشعبي "النبطي" وكان من أبرز قضاياه التي تطرق إليها في شعره هي حفز الهمم على التعلم والدعوة إلى السفر وطرح الجلوس في البلدة فهو يرى الاستقرار للشجرة والجدار، أما الإنسان فعليه ركوب الخيل وموج البحر وأن يجوب الآفاق . وإذا هجا فإنه يصف خصمه بالخمول والخيبة لا أكثر من ذلك ولا يلجأ إليه إلا في مظلمة عندئذ يتحول هذا الشيخ الظريف إلى بحر هائج يستمطر السماء ويدعو الله دعاءً حاراً يربك خصمه ويخيفه .

وفي غزله لا يذهب بعيداً عن مجرد الوصف السريع، وذلك تحرزاً من الوقوع في المحظور . ومن شعره في المديح :

ما أومض البرق بالجرعـاء مبتسماً ... إلا وزودني الأشجان والسقما[١٠٧]

ولا تغنت بأعلى الدوح صادحـة ... إلا وجاوبتها بالدمع منسجما

فهل درى النفر الغادون عن دنف ... مستحكم الشوق يدمي كفه ندما[١٠٨]

٣ – الشيخ الشاعر عبد الله بن عبد اللطيف آل عمير :

ولد الشيخ عبد الله بمحلة "النعاثل" من مدينة الهفوف عام (١٢٩٣هـ)، وتعلم العلوم الدينية في مدارس آل عمير، وتفوق على أقرانه في إجادة النحو وله منظومة في قواعد الإعراب من ١٦٤ بيتاً، وأخرى في عدد سور القرآن. وهو متعلق بالتشطير والتخميس تعلقاً ملك عليه كل شيء، حتى أنه كان ينظم القصيدة ثم يعود فيشطرها . وله قصيدتان تستحقان الوقوف الأولى قالها في رثاء ابنة أخيه، وهي الوحيدة في شعر الأحسائيين التي رثيت بها المرأة، والثانية قصيدة قالها حينما تخلف عن رفاقه في السفر إلى الحج، ويبدو أنه وكما ذكر الحامد قد نهج فيها نهج الشعر العامي ذي القافيتين، وإن كان هذا النهج معروفاً في اللغة الفصحى لكن شعراء النبط أكثروا منه، وقصيدته وإن كانت تلتزم بالنحو العربي، إلا أن أسلوبها يشبه الشعر النبطي يقول فيها :

ناحت الورقاء يوماً في فنـن ... تندب الأحزان في ماضي السنين

هيجت قلبي بنوح ما سكن ... ذكرتني سـادة لي بعـد حين

فقسمت النوح شطرين معـاً ... فلهـا الشطـر ولي الشطـريين

إئذنوا لي يا رعابيب الوطن ... ألثم الميسـن منكـم والجبيـن

وتمتد القصيدة في ثلاثين بيتاً على هذا النسق[١٠٩] .

٤ – الشيخ الشاعر عبد الرحمن بن أبي بكر الملا :

عالم وفقيه أحسائي يتبين ذلك جلياً فيما تركه من تراث علمي، ولكن الشعر غلب عليه، فأكثر منه وطرق جميع أبوابه من مدح، ووصف، وغزل، وهجاء، ورثاء، وزهد، وفكاهة . . . الخ . وهو يكثر من الفخر بأبيه وعشيرته وله قصائد في النخيل وأنواعها . وله قصيدة أسماها "التشوقات الجلية إلى مكة العلية" وتبلغ هذه القصيدة نيفاً وثمانين بيتاً، يقول في مطلعها :

إلى الحـرم المكي نفسـي لتنزع   ومالي بأرض غير ذلك مقنـع
تحيط به الأنوار من كل جانب   وبدر السما أنواره فيه تسطـع[١١٠]

ويتغنى بالقهوة والشاي وكذلك البخور قائلاً :

كان لـي في الشاذليـة نشـوة   تعبر عن سر السرور لمن حضر
ومن بعدها الشاهي أديرت كئوسه   بلون عقيق قد تكـرر واستمر
ومن بعده دار البخور بعبقه من   العود ما بين الحضور على الأثـر[١١١]

مما سبق عرضه لبعض النماذج الأدبية في الأحساء يتأكد لنا وبشكل جلي أن الأدب في الأحساء قد خطا خطوات إيجابية في مطلع القرن الرابع عشر، وقد حظي الأدب باهتمام كبير من قبل طلاب العلم إلى جانب اهتمامهم بالعلوم الشرعية .

ومما ساعد على ازدهار الحركة الأدبية في المنطقة وجود المجالس الأدبية والمنتزهات التي كان يجتمع فيها الأدباء والشعراء بصفة دورية . ولانعدام النوادي الثقافية في ذلك الوقت في الأحساء وفي غيرها من مدن المملكة نجد أن هذه المجالس كانت تؤدي نفس الدور الذي كانت تقوم به النوادي الثقافية قديماً وحديثاً، حيث خصصت أيام معينة في الأسبوع يجتمعون فيها عند أحد العلماء أو الأدباء، وتطرح فيها مناقشات متنوعة ويقرأ فيها بعض الكتب ويعلق

عليها، وفي آخر المجلس يقوم أحد المنشدين بإنشاد إحدى القصائد الشعرية، وعادة ما تختار القصائد المفيدة التي تحتوي على حكم ونصائح وإرشادات ليستفيد منها الجميع، أما يوم الثلاثاء كما أسلفنا فإن المجالس تنتقل إلى البساتين ويغلب عليها الأدب وإيراد القصص والنوادر والحكايات .

علاقة علماء الأحساء بالمناطق المجاورة

لقد كانت الأحساء بحكم موقعها الجغرافي المطل على الخليج العربي همزة وصل وواسطة عقد بين الهند وباقي دول الخليج كقطر ، والإمارات العربية المتحدة، والبحرين، والكويت، والعراق، وإيران، وهو موقع هيأ لها الفرصة للاختلاط عن طريق التجارة والتعامل والتزاوج والإفادة من كل ذلك في الأدب والثقافة وشتى فنون الحياة . وإشرافها على شاطئ الخليج العربي جعلها تحس بجمال البحر وروعته وأسراره وفوائده في استخراج اللؤلؤ وصيد الأسماك وتذليله للملاحة إلى غير ذلك من الفوائد التي منها أيضاً أنها تستقبل عن طريقه الوافدين إليها من البلاد الكثيرة فتحدثهم وتمتزج بهم فكراً ورأياً[١١٢] .

ولأن الأحساء غنية بمنتوجاتها الزراعية والصناعية فإن ذلك جعلها محط أنظار المناطق المجاورة، وأهم المنتجات التي غالباً ما يحرص عليها أبناء تلك المناطق هي "التمور" حيث يعتبرها عرب الخليج الأفضل من نوعها في العالم ويفضلونها على تمور البصرة وعُمان، كذلك المنتوجات المتعلقة بها وهي كثيرة، هذا فضلاً عن أرزها وسمنها وجلودها وعباءاتها وغيرها من الخيرات[١١٣] .

هذا وبالإضافة إلى كونها مركزاً تجارياً نشطاً يأتيه التجار من كل حدب وصوب، فإنها أيضاً تعتبر محطة لاستراحة المسافرين من الخليج إلى نجد وبالعكس، والمثقفون من المسافرين كانوا لا يكتفون بالاستراحة فيها فحسب بل يحاولون التعرف عليها وعلى أهلها والاتصال بعلمائها . ومن هنا يكون

الاتصال الحضاري والثقافي حيث يتم تبادل المعلومات ومناقشتها وكذلك تبادل الكتب والوثائق والمعلومات النادرة ولا تنتهي العلاقة غالباً عند هذا الحد بل تكون بداية يليها تواصل من مراسلات وزيارات متبادلة من وقت لآخر .

ولعله من حسن الحظ أن بعض كتب الأدب والتاريخ، قد ذكرت لنا شيئاً من هذه المراسلات العلمية والأدبية، والتي إن دلت في الحقيقة على شيء فإنما تدل على مدى الترابط الذي كان يربط بين أهل الأحساء وغيرهم من أبناء المناطق المجاورة، وأن هذه العلاقات ليست وليدة هذه الفترة التي نتحدث عنها بل تعود إلى ما قبل ذلك ببضعة قرون .

وخير مثال يوضح لنا هذه العلاقة التي نشأت بين علماء الأحساء وغيرهم من أبناء المناطق المجاورة، هو مجيء الشيخ محمد بن عبد الوهاب الغني عن التعريف إلى الأحساء، ودراسته على يد الشيخ عبد الله بن محمد آل عبد اللطيف الأحسائي الشافعي، أحد علماء الأحساء المشهورين والملقب بالشافعي الصغير وقتذاك[١٦٤] وإن كان هناك من يشكك بدراسته على يد الشيخ العبد اللطيف وقال بأن الشيخ ما قدم للأحساء إلا بغرض الزيارة ومقابلة العلماء ومناقشتهم في بعض المسائل الفقهية، وعلى أية حال سواء درس الشيخ في الأحساء أو زار علماءها فإن هذا يؤكد لنا بأن الأحساء كانت في ذلك الوقت مركزاً علمياً وثقافياً مرموقاً يغذي المناطق المجاورة ويتغذى منها .

كذلك تشير المصادر إلى مجيء بعض علماء آل فيروز إلى الأحساء واستقرارهم فيها، فبرز منهم الشيخ محمد بن عبد الله بن فيروز المولود في الأحساء سنة ١١٤٢هـ، والذي كان يعد بحق عالماً وفقيهاً حيث حفظ كثيراً من المتون والمنظومات منها : مختصر المقنع، وألفية العراقي في الحديث، وألفية ابن مالك في النحو، وألفية السيوطي، وغيرها من المنظومات الأخرى . ومن أشهر شيوخه : والده الشيخ عبد الله بن محمد بن فيروز، والشيخ سعد بن كليب بن غردقة الأحسائي المالكي، والشيخ العلامة عبد الله بن عبد اللطيف

الأنصاري الأحسائي . ومن تلامذته الشيخ عبد العزيز بن صالح آل موسى الأحسائي المالكي، والشيخ محمد بن حمد الهديبي النجدي أصلاً الزبيري مولداً(١١٥) .

وأيضاً ارتحال الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق من الأحساء وتوجهه إلى مكة والمدينة حيث جاور بهما، وطلب العلم هناك، ثم رحل إلى دمشق، ورحل إلى بغداد، والبصرة، والزبير، وأخذ عن علماء هذه الأقطار واستفاد منهم العلوم الكثيرة المختلفة . ومن أبرز تلامذته العلامة الشيخ محمد بن فيروز والسيد عبد الرحمن الزواوي المالكي والشيخ الفقيه أحمد بن محمد بن عبد الله التويجري قاضي بلدة المجمعة(١١٦) .

كذلك زيارة الشيخ عبد الله بن محمد البيتوشي الكردي الذي زار الأحساء، وأقام بها في نهاية القرن الثاني عشر وأول القرن الثالث عشر الهجريين، وله أشعار كثيرة في المديح لعلماء آل عبد القادر حيث نزل في ضيافتهم في مدينة المبرز، وله رسائل في غاية البلاغة، يقول في إحداها وكان قد أرسلها إلى شيخه عبد الله بن صبغة الله أحد علماء بغداد في ذلك الوقت يذكر مقامه في الأحساء : "وحال التاريخ أني في الأحساء أتقلب في روض من العيش أريض، وأتبختر في برد من العافية طويل عريض، بين سادة سمحاء، يُكرمون ولا يمكرون، ويطعمون ولا يطمعون، وفصحاء يبتكرون ولا يرتكبون، ويبهرون ولا يرهبون، لا تمل مناجاتهم، ولا تخشى مداجاتهم، إلى أخلاق في رقة النسيم، وعذوبة التسنيم، ولا تكبوا في حلبة الفخار جيادهم، ولا تصلد في مشاهد النوادي زنادهم، ثابت لديهم فيما ابتغى قدمي وفيهم ما نفثه فمي ورقمه قلبي :

لا عيب فيهم سوى أن النزيل بهم　　　يسلو عن الأهل والأوطان والحشم"(١١٧)

وللبيتوشي آثار علمية كثيرة ألفها في الأحساء لا يتسع المقام لذكرها هنا .

وفي إطار هذا التلاقح الفكري، كان رحيل الشيخ حسين بن أبي بكر بن غنام التميمي الأحسائي المالكي إلى الدرعية، ليدرس فيها النحو حيث أخذ عنه جملة من علماء دعوة التوحيد من أهل الدرعية، وصنف مصنفات عديدة في العلوم النافعة إلى جانب درايته في الشعر والنثر وفنونهما[١١٨].

مثال أخير نسوقه على قوة العلاقة بين علماء الأحساء وعلماء قطر، يتمثل في الشيخ أحمد بن محمد آل ماجد، الذي كان مولعاً بالعلم والأدب، ولما سمع عنه حكام قطر طلبوه للتعليم والتثقيف، وكان ممن اختص بصحبة الشيخ أحمد رجل يقال له راشد بن محمد آل خاطر وتوثقت الصلة بينهما، فقرض فيه الشيخ أحمد الشعر. وبعد فترة من الزمن اضطر الشيخ أحمد إلى ممارسة التجارة، وأخذ يستورد الكماليات من الهند ويبيعها فيها وكان له مسجد في "الهند" يصلي فيه بالناس يعرف "بباي رون"[١١٩].

هذه بعض الأمثلة اليسيرة لفترة ما قبل القرن الرابع عشر الهجري، أما إذا ما انتقلنا إلى مطلع القرن الرابع عشر الهجري وجدناه أيضاً حافلاً بنماذج عديدة تصور العلاقة العلمية والأدبية بين الأحساء والمناطق المجاورة لها، وسأختار هنا بعضاً من هذه النماذج لرصد هذه العلاقة ومفهومها.

أول مثال عن هذه العلاقة مجيء المتصرف من قبل الدولة العثمانية الشاعر الأديب أحمد عزت العمري إلى الأحساء، وإيقاظه للحركة الأدبية فيها بمراسلاته الشعرية مع أدباء عصره أمثال الشيخ راشد بن عبد اللطيف المبارك والشيخ عبد الله بن علي آل عبد القادر والشيخ عبد اللطيف آل عمير[١٢٠] وقد أورد صاحب ديوان شعراء هجر بعضاً من هذه المراسلات الظريفة التي شهدتها فترة ولاية المتصرف العثماني الأديب طوال العقد الأخير من القرن الثالث عشر الهجري.

كما تجدر الإشارة هنا إلى العلاقة الوطيدة التي كانت تربط آل خليفة في البحرين بعلماء الأحساء، من أبرز هؤلاء العلماء الذين كانت لهم صلة بآل خليفة الشيخ عبد الله

بن علي آل عبد القادر الذي كتب جواباً رداً على كتاب بعث به إليه خاله خالد بن عبد العزيز وهو في جزيرة أوال عند آل خليفة، وقد تضمن الكتاب سلاماً إلى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة مع قصيدة نونية رقيقة قال في مطلعها :

ورد الكتاب فيـاله من وارد   بل الصدى من قلبي الـحران
قد قمت إجلالاً له لما أتـى   وجعلته يا صاح نصب عياني(١٢١)

إلى أن يقول :

قـوم لهم فـي كل حي نعمـة   كالغيث يسقي سائر البلدان
مسح الإله على النواصي منهـم   فهم الملوك بمسحـة الرحمن
وإذا مدحت وليدهـم في مهـده   أعطى التمائم ضاحك الأسنان
والله لـولا أن يقولـوا شـاعر   والشعر يزري بالفتى الربـاني
سرحت طرفي في رياض مديحهم   وتركته يجري بغـير عنـان(١٢٢)

إلى آخر قصيدته .

وقال أيضاً معرضاً بشاعر من البحرين، ومادحاً لآل خليفة في قصيدة تقارب الثلاثين بيتاً ومطلعها :

ياليت شعري والهوى أبلانـي   كيف السبيل إلى عريب البـان
إن يبعدوا عني ففي قلبي لهم   يـا صـاحبيّ مراتـع ومغـان(١٢٣)

إلى أن يختمها بقوله :

دار بها البحران عيسى المرتجى   يـوم العطـاء لرمل ولعـان
وأبو المعالي أحمد أسد الشرى،   بـحران بالخيرات يلتقيـان
مني السلام عليهما ما رجعـت   ورق الحمائم في ذرى الأغصان(١٢٤)

وهناك نموذج آخر عن هذه العلاقة الأدبية بين علماء الأحساء والمناطق المجاورة يمثلها الشيخ عبد العزيز بن حمد آل مبارك، الذي كانت له مراسلات وصلات وثيقة

بينه وبين الكثير من الشخصيات البارزة في المناطق المجاورة، حيث أن الشيخ توجه في سنة ١٣٠٨هـ إلى مكة برفقة بعض أفراد أسرته، وكان قفولهم عن طريق مدينة "حائل" مقر ولاية الأمير محمد العبد الله الرشيد، فنزلوا حينها ضيوفاً عنده، ونالوا من إكرام الأمير وملاطفته وحسن مجالسته ما جعل الشيخ عبد العزيز بن حمد ينشد فيه شعراً قائلاً :

تحيرت الأفكار في كنه مجلس   يضمك منه جانب ولها العذر
فذا هالة أم غابة أم سحابة   بها قد أقام الغيث والليث والبدر(١٢٥)

وفي سنة ١٣١٦هـ توجه الشيخ عبد العزيز بن حمد مع عمه الشيخ راشد إلى البحرين ونزلا ضيفين على أميرها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، واشتغلا هناك بالدعوة إلى الله عز وجل وتدريس العلوم الشرعية ومحاربة البدع والخرافات، ولذيوع صيتهما أرسل الشيخ زايد بوفلاح حاكم أبو ظبي في طلبهما فلبيا دعوته للاشتغال بالتدريس والإرشاد في أبو ظبي، وبعدها توجها إلى دبي بدعوة من حاكمها الشيخ مكتوم بن راشد، ومن ثم إلى العراق عن طريق الزبير ونزلا لدى فالح باشا بن ناصر السعدون، وأخيه مزعل رئيسي قبيلة آل منتفق المعروفة بمكانتها بالعراق وعموم الجزيرة، حيث حظيا بمكانة عالية بين أهل العراق، وهذا ما جعل أحد شعراء العراق ينشد في الشيخ عبد العزيز بن حمد شعراً يمدح فيه علمه وأسلوبه في الخطابة حيث قال :

حبر متى صعد المنابر أطرقت   عظماء أهل الأرض من أعظامه
تأبى العقول بأن زاخر علمه   من كسبه وتقول من إلهامه
شهد العفاة وليله ونهاره   بصلاته وصلاته وصيامه(١٢٦)

ومن العراق توجه الشيخ عبد العزيز بن حمد إلى الكويت بدعوة من أميرها الشيخ مبارك الصباح، ومن بعض أعيانها، حيث لبث فيها زمناً ليعود بعدها إلى الأحساء .

أيضاً من هذه النماذج العلمية الفريدة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل عمير المولود في الأحساء، عام ١٢٣٩هـ، الذي اشتهر بمراسلاته ومدائحه الشعرية الرفيعة ومنها مديحه للملك عبد العزيز آل سعود والشيخ حمد بن عيسى آل خليفة، وجاء في مديحه للملك عبد العزيز قوله :

نور الأقاحي بوبل المزن انفتحا والبان أورق في أغصانــه السمحــا

عبد العزيز إمام العرب طـائره بروضة السعد غنّى حيثما صدحــا(١٢٧)

وفي مدحه للشيخ حمد بن عيسى آل خليفة يقول من قصيدة مطولة :

قف يا خيال حبيب في الكرا زارا فإن لي فيك أشــواقاً وأســرارا

ذكرتني حسن ليلى حينما سفرت عنها اللثــام وأبدت منه نــوارا(١٢٨)

مما تقدم من أمثلة وما أوردناه من نماذج موجزة جداً، يتضح أن العلاقة بين علماء الأحساء وعلماء المناطق المجاورة كانت علاقة وثيقة ومتينة . وقد تمثلت هذه العلاقة في النواحي العلمية والأدبية، ولا غرو أن الأحساء استفادت من العلماء الذين وفدوا إليها وعلموا فيها، وأفادت هي من جانبها أولئك الطلاب الذين وفدوا إليها طلباً للعلم ثم عادوا إلى مناطقهم وبلادهم متسلحين بالعلم ليعملوا في سلك القضاء والدعوة والإفتاء . كما كان لاتصال علماء الأحساء بالميسورين والأثرياء من أبناء المنطقة أثراً كبيراً في بناء المساجد والمدارس في الأحساء مثل "مسجد الحزم" للشيخ العلجي الذي قام ببنائه أحد تجار الكويت . و"مسجد الجامع" في الصالحية الذي جمعت له تبرعات من أبو ظبي وكان سعيد بن لوتاه أكثرهم سخاءً وبذلاً .

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة الموجزة عن الحركة العلمية في الأحساء خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، يستطيع المرء أن يخرج برؤية واضحة وعامة عن الحياة العلمية والثقافية التي كان يعيشها أهل الأحساء في هذه الفترة، وعن المستوى العلمي والثقافي والأدبي الذي وصلوا إليه مع ملاحظة أن هذه الفترة الزمنية تعد من الفترات غير المستقرة من الناحية السياسية، فهي فترة شهدت صراعات بين الدولة السعودية الثالثة وبين معارضيها، وشهدت دخول الملك عبد العزيز للأحساء وخروج العثمانيين منها، كذلك هي تعد مرحلة انتقالية من الوضع السياسي غير المستقر والمضطرب أمنياً، إلى وضع أكثر استقراراً وأكثر أمناً وخاصة بعد أن تم للملك عبد العزيز – رحمه الله – توحيد المملكة العربية السعودية في عام ١٣٥١هـ، وبسط النفوذ على جميع مناطق المملكة وربطها ببعضها البعض من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب .

وبالرغم من كل هذه الظروف القاسية التي مرت على الأحساء وعلى غيرها من مناطق المملكة فإن الأحساء استطاعت أن تتغلب على هذه المشاكل وأن توفر لأبنائها لقمة العيش الهانئة التي ربما عجزت بعض المناطق الأخرى عن توفيرها، فعاش أبناؤها في حالة كفاف من العيش واكتفاء ذاتي بسبب خصوبة أراضيها ووفرة مياهها وتنوع محاصيلها الزراعية . ففي الوقت الذي اشتغل فيه أبناء المناطق الأخرى بالبحث عن سبل العيش فإن أبناء الأحساء توجهوا للعلم والتعليم فبرز منهم علماء في الدين واللغة وبرز منهم شعراء وأدباء قد أوردنا نماذج من إنتاجهم العلمي والثقافي .

كذلك أظهرت هذه الدراسة جملة من الحقائق الهامة التي يمكن إيجازها في النقاط التالية :

أولاً : قلة المصادر العلمية التي يمكن الاعتماد عليها في مثل هذه الدراسات، ولعل السبب راجع إلى عدم اهتمام الباحثين والمؤرخين من أهل المنطقة بخاصة، وأبناء المملكة بعامة، بتاريخ هذه المنطقة العلمي والأدبي .

ثانياً : هناك الكثير من المخطوطات المتعلقة بهذه الفترة لدى عدد من المهتمين بتاريخ هذه المنطقة بعامة، ومازالت مع الأسف الشديد حبيسة الأدراج والأرفف وتتطلع إلى أن ترى النور قريباً لتعم الفائدة .

ثالثاً : إن الحركة العلمية في الأحساء خاصة في الفترة التي تتناولها الدراسة تميزت بالوضوح وخير الشواهد الدالة عليها تلك الآثار الباقية منها حتى الآن مثل المدارس والأربطة العلمية، فبعض هذه الأماكن هُجر بعد أن دخلت المدارس النظامية إلى المنطقة، وبعضها جدد بناؤه ومازال قائماً حتى الآن، ويا حبذا لو عادت هذه المدارس والأربطة العلمية إلى سيرتها الأولى ليكون لها دورها الريادي جنباً إلى جنب مع المدارس الحديثة .

رابعاً : هناك أسر قديمة هاجرت إلى الأحساء من جهات مختلفة منذ مطلع القرن الحادي عشر الهجري ولأسباب عديدة، وكان لها الأثر البارز والبصمات الواضحة في إنماء الحركة العلمية في الأحساء مثل أسرة آل عبد القادر وآل مُلاً وآل مبارك وآل جعفر الطيار وآل عمير وآل النعيم وغيرهم من الأسر العريقة الأخرى .

خامساً : ما يميز علماء هذه الفترة دعوتهم الصادقة في حث الناس بالرجوع إلى الدين الحنيف والتمسك بأهدابه، لأنه هو أساس السعادة في الدنيا والآخرة، ولأنه يبني الأمم ويوقظ الهمم، ولعل في بعض القصائد المشار إليها في هذا البحث إشارات واضحة

لهذا التوجه والمقصد النبيل كعينية الشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف آل مبارك وغيرها من القصائد الأخرى .

إجمالاً لقد حاولت هذه الدراسة إبراز شيء يسير عن الدور العلمي والثقافي الذي اضطلع به علماء الأحساء خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، وأن تلفت النظر إلى أن هناك تراثاً علمياً كبيراً خلّفه علماء الأحساء لنا يستحق الاهتمام والعناية من قبل الباحثين، ويستحق أن ينشر وأن يرى النور وألا يظل حبيس الأدراج والأرفف . والله الموفق .

د. عبد الرحيم بن يوسف آل الشيخ مبارك

رئيس قسم الدراسات الاجتماعية

كلية التربية – جامعة الملك فيصل – الأحساء

الهوامش

١ – الجاسر، المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية، القسم الأول، ص٣١ ؛ الحسين، الآثار الإسلامية بقرية البطالية، ص٣١–٣٣ .

٢ – الحسين، المرجع نفسه، ص٣٣ .

٣ – الحسين، المرجع نفسه، ص٣ ؛ شاكر، البحرين، ص١١ ؛ الملا، تاريخ الإمارة العيونية في شرق الجزيرة العربية، ص٣٩ .

٤ – الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص١١٢ .

٥ – فيدال، واحة الأحساء، ص٢٧ .

٦ – الشيخ يوسف بن راشد المبارك علم بارز ومؤرخ معروف في الأحساء، توفي عام ١٤١٦هـ له مقالات مخطوطة عن تاريخ الأحساء، لم تر النور بعد، كان أميناً على المكتبة القطرية في الأحساء، ثم عين أستاذاً غير متفرغ في جامعة الملك فيصل .

٧ – الغريب، منطقة الأحساء عبر أطوار التاريخ، ص٢٢–٢٣ .

٨ – الحسين، المرجع السابق، ص١٧٩–١٨٠ .

٩ – العبيد، الأدب في الخليج العربي، ص١٠–١١ .

١٠ – المبارك، علماء الأحساء ومكانتهم العلمية، ص١١٩ .

١١ – هو عمرو بن قميئه من قيس بن ثعلبة بن مالك من أقدم شعراء الجاهلية، تزعم قبيلة بكر بن وائل التي استوطنت منطقة البحرين الكبرى (ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص٨٤) .

١٢ – هو أوس بن حجربن عتاب شاعر جاهلي كثير الوصف لمكارم الأخلاق (ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص٢٥)

١٣ – من شعراء المعلقات المشهورين، توفي شاباً سنة ٥٥٢م ديوانه مطبوع، وقد اهتم المستشرقون والباحثون العرب بشعره وحياته، (ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص٢٦) .

١٤ – هو جرير بن عبد المسيح من بني ضبه وأخواله بنو بشر، وهو خال الشاعر طرفة، له ديوان مخطوط ومنتقيات منشورة في كتب الأدب (ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص٢٨) .

١٥ – هو محصن بن ثعلبة، كان معاصرا لعمرو بن هند ملك الحيرة، ينتسب إلى قبيلة عبد القيس له شعر قوي جزل توفي سنة ٥٢٠م، (ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص٨٨) .

١٦ – من موالي عبد القيس، تهاجى مع الفرزدق كما مدح المغيرة بن المهلب ويستشهد النحويون بشعره لجزالته وقوته، (ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص٩٩) .

١٧ – من زعماء عبد القيس الذين ثبتوا على الإسلام عند حدوث الردة في البحرين . وكان الجارود قد ترأس وفداً إلى المدينة المنورة لمقابلة النبي ﷺ وإبلاغه قبول عرب البحرين للدعوة الإسلامية في السنة التاسعة من الهجرة (ابن سعد في الطبقات، ج ٥، ص٥٦١) .

١٨ — من أدباء عبد القيس ومن رواة الحديث، ذكره ابن الأثير في كتابه أسد الغابة وقال عنه بأنه ثقة ولكنه قليل الحديث (ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص٢٠) .

١٩ — المبارك، المرجع السابق، ص٥١٩–٥٢٠ .

٢٠ — الباز، قصة الحياة الفكرية والأدبية في الأحساء، ص١٧٥ .

٢١ — الديرس، إقليم البحرين في العصر العباسي، ص١٧٥ .

٢٢ — ابن المقرب، ديوان ابن المقرب، ص٤ .

٢٣ — المبارك، المرجع السابق، ص٢٧–٢٨ .

٢٤ — آل عبد القادر، تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء القديم والجديد، ص٣٩٩ .

٢٥ — ابن مشرف، ديوان ابن مشرف، ص٨ .

٢٦ — آل عبد القادر، المرجع السابق، ص٣٩٧–٤٠٣ .

٢٧ — آل عبد القادر، المرجع السابق، ص٣٩٧ .

٢٨ — المجادلة، آية ١١ .

٢٩ — طه، آية ١١٤ .

٣٠ — الدائم، التربية عبر التاريخ، ص١٥٢–١٥٣ .

٣١ — عبد الله، تاريخ العلم في مكة المكرمة، ص٣٨ .

٣٢ — السبيعي، الحياة العلمية والثقافية في المنطقة الشرقية، ص٤٠–٤١ .

٣٣ — مقابلة مع الشيخ أحمد بن علي آل مبارك، السفير السابق بوزارة الخارجية السعودية، ومن أدباء المنطقة الشرقية والبلاد السعودية .

٣٤ — المصدر نفسه .

٣٥ — المصدر نفسه .

٣٦ — المصدر نفسه .

٣٧ — أنظر ما يلي من تفاصيل عن هذه المدارس الشرعية .

٣٨ — أمين، الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، ص١٤٣ .

٣٩ — الدائم، المرجع السابق، ص١٤٦ .

٤٠ — ابن خلدون، المقدمة ص٤٣٠ .

٤١ — السبيعي، المرجع السابق، ص٢٧ .

٤٢ — السبيعي، المرجع السابق، ص٣١ .

٤٣ — أحمد، تاريخ التربية والتعليم، ص١١٢ .

٤٤ — السبيعي، المرجع السابق، ص٣٢ .

٤٥ — السبيعي، المرجع السابق، ص٣٢–٣٣ .

٤٦ — زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، جـ ٣، ص٢٠٢ .

٤٧ — المبارك، المصدر السابق، ص٥٢٨ .

٤٨ – المبارك، المصدر السابق، ص٥٢٨ .
٤٩ – السبيعي، المرجع السابق، ص٣٥ .
٥٠ – السبيعي، المرجع السابق، ص٣٧ .
٥١ – السبيعي، المرجع السابق، ص٣٧ .
٥٢ – السبيعي، المرجع السابق، ص٣٧ .
٥٣ – الملا، مدرسة الشلهوبية، مقال في جريدة اليوم، ١٤٠٧/٦/٢٥هـ، العدد ٥٠٠١ .
٥٤ – السبيعي، المرجع السابق، ص٣٧ .
٥٥ – السبيعي، المرجع السابق، ص٣٧ .
٥٦ – السبيعي، المرجع السابق، ص٣٧ .
٥٧ – السبيعي، المرجع السابق، ص٣٧ .
٥٨ – الجاسر، المرجع السابق، ص١٩ .
٥٩ – الملا، لمحات من الحياة التعليمية بالأحساء في الماضي، "مدرسة الشريفة". جريدة اليوم، العدد ٢٨٧٧، ١٤٠٧/٢/١هـ .
٦٠ – الملا، "مدرسة الشهارنة أولى مدارس أسرة آل مبارك"، جريدة اليوم، العدد ٥٠٦٩، ١٤٠٧/٩/٤هـ .
٦١ – إفادة من الأستاذ / نعمان بن إبراهيم آل مبارك .
٦٢ – الملا، مدرسة الصالحية، جريدة اليوم، العدد ٥٢٤٧، ١٤٠٨/٣/٥هـ .
٦٣ – السبيعي، المرجع السابق، ص٣٨ .
٦٤ – الدائم، المرجع السابق، ص١٦١ .
٦٥ – السبيعي، المرجع السابق، ص٣٩ .
٦٦ – عبد اللطيف الملا، لمحات من الحياة التعليمية بالأحساء في الماضي، جريدة اليوم، العدد ٥٠١٥، ٩/٧/١٤٠٧هـ .
٦٧ – عبد اللطيف الملا، لمحات من الحياة التعليمية بالأحساء في الماضي، جريدة اليوم العدد ٥٠١٥، ٩/٧/١٤٠٧هـ .
٦٨ – عبد اللطيف الملا، إضافة أخرى على موضع رباط الشيخ أبو بكر الملا، جريدة اليوم، العدد ٥١٠٤، ١٠/١٠/١٤٠٧هـ .
٦٩ – آل عبد القادر، المرجع السابق، ص٤٠٤ .
٧٠ – الحلو، شعراء هجر، ص٣١٢ .
٧١ – الشباط، أدباء من الخليج العربي، ص١٩٦ .
٧٢ – آل عبد القادر، المرجع السابق، ص٤٠٦ .
٧٣ – الحلو، المرجع السابق، ص٤٢٥ .
٧٤ – المرجع نفسه، ص٤٢٧ .
٧٥ – آل عبد القادر، المرجع السابق، ص٤٢٢ .

٧٦ — سيتم إيضاح ذلك عند الحديث عن "علاقة علماء الأحساء بالمناطق المجاورة" .

٧٧ — الحلو، المرجع السابق، ص٢٩٣-٢٩٤ .

٧٨ — آل مبارك، تبيين المسالك لتدريب السالك إلى أقرب المسالك، ص٤٥-٤٧ .

٧٩ — آل عبد القادر، المرجع السابق، ص٤٣٠-٤٣١ .

٨٠ — عبد الله بن فهد أبو شيبب، ولد في الأحساء عام ١٣١٧هـ . عرف عنه حبه للعلم والعلماء وكان يحفظ الشيء الكثير من أشعار العرب بعامة والأحسائيين بخاصة على وجهيه الفصيح والنبطي، وكان دائماً يتحف زملاءه ومجالسيه مما يحفظه من جيد الشعر العربي والنبطي، توفي في الأحساء سنة ١٤٠٣هـ (محمد بن عبد اللطيف آل ملحم ، هزار الأحساء وبلبلها الغريد، ص٢٨) .

٨١ — الحلو، المرجع السابق، ص ك – ل من المقدمة .

٨٢ — الأنصاري، لمحات من الخليج العربي، ص١١٦-١١٧ .

٨٣ — الحلو، المرجع السابق، ص ك – ل .

٨٤ — السبيعي، المرجع السابق، ص٤١ .

٨٥ — الحلو، المرجع السابق، ص٢٣١ .

٨٦ — الحلو، المرجع السابق، ص٢٣١-٢٣٢ .

٨٧ — الحلو، المرجع السابق، ص٢٥٨ .

٨٨ — الخدود : أكبر عين في الأحساء وماؤها يسقي عامة نخيل الأحساء .

٨٩ — برابر : عين تقع شمال غرب الخدود .

٩٠ — الجوهرية : تقع شرق البرز، وهي من أشهر عيون الأحساء القديمة وبالقرب منها بنيت مدينة هجر التاريخية .

٩١ — الحلو، المرجع السابق، ص٣٢٣ .

٩٢ — الحلو، المرجع السابق، ص٣٥٩ .

٩٣ — الدائم، المرجع السابق، ص١٥٧ .

٩٤ — الجاسر، التعليم في الأحساء، ص١٩ .

٩٥ — السبيعي، المرجع السابق، ص٩٦ .

٩٦ — الرئاسة العامة لرعاية الشباب، مكتب الرئاسة بالأحساء، لمحات أدبية لشباب الأحساء، الموسم الثقافي ٩٧ /١٣٩٨هـ، الرياض، ص٣٨ .

٩٧ — السبيعي، المرجع السابق، ص١٧ .

٩٨ — الرئاسة العامة لرعاية الشباب، المرجع السابق، ص٥٠.

٩٩ — السبيعي، المرجع السابق، ص٥٨ .

١٠٠ — جماعة الخطابة "الأدب الحديث في الأحساء" مجلة المدرسة الثانوية بالأحساء، ألوان من النشاط المدرسي، القاهرة، دار الفكر الحديث، ١٣٧٨هـ، ص٤٢ .

١٠١ — الحامد، الشعر في الجزيرة العربية، ص٢٥٧-٢٩٨ .

١٠٢ — المبارك، الأدب العربي المعاصر في الجزيرة العربية، ص٧٣-٧٤ .
١٠٣ — الحامد، المرجع السابق، ص٣١٤ .
١٠٤ — الحامد، المرجع السابق، ص٣١٤ .
١٠٥ — الحامد، المرجع السابق، ص٣١٤ .
١٠٦ — الحامد، المرجع السابق، ص٣١٤ .
١٠٧ — الجرعاء : هي مدينة هامة في الخليج العربي خلال العصر الهلنستي (اليوناني) ومنها كانوا يحملون البخور والأفاويه . ويذكر "سترابون" أن الجرعاء مدينة هامة على خليج عميق في الخليج العربي سكنها الكلدانيون الذين سكنوا بابل .
١٠٨ — الهاشم، المنحى الأخلاقي في الشعر الأحسائي، ص١٤٢-١٤٤ .
١٠٩ — الحلو، شعراء هجر، ص٥١١ ؛ وانظر : الحامد، المرجع السابق، ص٣٢٤ .
١١٠ — الوحيدي، هديل من بلد النخيل، ص٢٥-٢٨ .
١١١ — الوحيدي، المرجع السابق، ص٢٥-٢٨ .
١١٢ — جماعة الخطابة بالمدرسة الثانوية بالأحساء، المرجع السابق، ص٤٣ .
١١٣ — ج. ج. لوريمر، دليل الخليج العربي، القسم الجغرافي، ج ٢، ص٨٣٦ .
١١٤ — الحطيبي، نبذة مختصرة عن حياة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، ص١٥ .
١١٥ — البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج ٣، ص٨٨٢-٨٨٣ .
١١٦ — البسام، المصدر السابق، ص٨٨٣ .
١١٧ — آل مبارك، المرجع السابق، ص٥٣٠ .
١١٨ — ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج ١، ص٣٨١ .
١١٩ — الحلو، المرجع السابق، ص٨١ .
١٢٠ — آل مبارك، المرجع السابق، ص٥٣١ .
١٢١ — الحلو، المرجع السابق، ص٢٣٣ .
١٢٢ — الحلو، المرجع السابق، ص٢٣٤ .
١٢٣ — الحلو، المرجع السابق، ص٢٣٤ .
١٢٥ — الحلو، المرجع السابق، ص٢٩٣ .
١٢٦ — الحلو، المرجع السابق، ص٢٩٥ .
١٢٧ — الحلو، المرجع السابق، ص٥١٩-٥٢٧ .
١٢٨ — الحلو، المرجع السابق، ص٥٢٧ .

المصادر والمراجع

١ – ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد، "أسد الغابة في معرفة الصحابة"، ج ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

٢ – أحمد، سعد مرسي، "تاريخ التربية والتعليم"، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٤م .

٣ – أمين، بكري شيخ، "الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية"، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

٤ – الأنصاري، محمد جابر، "لمحات من الخليج العربي"، ط ١، المنامة، ١٩٧٠م .

٥ – الباز، عبد الله، "قصة الحياة الفكرية والأدبية في الأحساء"، مجلة المدرسة الثانوية بالأحساء، دار الفكر الحديث، القاهرة، ١٣٧٥هـ .

٦ – البسام، عبد الله بن عبد الرحمن، "علماء نجد خلال ستة قرون"، في ٣ أجزاء، ط ١، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٣٩٨هـ .

٧ – البستاني، فؤاد أفرام، "دائرة المعارف"، بيروت، ١٩٦٧م .

٨ – ابن بشر، عثمان، "عنوان المجد في تاريخ نجد"، تحقيق : عبد الرحمن آل الشيخ، في جزأين، ط ٤، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٠٢هـ .

٩ – الجاسر، حمد، "المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية – المنطقة الشرقية"، في ٤ أقسام، ط ١، منشورات دار اليمامة، الرياض، ١٣٩٩هـ .

١٠ – جماعة الخطابة، "الأدب الحديث في الأحساء" مجلة المدرسة الثانوية بالأحساء، دار الفكر الحديث، القاهرة، ١٣٧٨هـ .

١١ – الحامد، عبد الله، "الشعر في الجزيرة العربية"، ط ١، دار الكتاب السعودي، الرياض، ١٤٠٦هـ .

١٢ – الحسين، فهد بن علي، "الآثار الإسلامية بقرية البطالية – المنطقة الشرقية – دراسة آثارها وعلاقتها بمدينة الأحساء"، وزارة المعارف، الرياض، ١٤٢٢هـ .

١٣ – الحطيبي، عبد الرحمن، "نبذة مختصرة عن حياة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب"، ط ١، ١٣٩٢هـ

١٤ – الحلو، عبد الفتاح، "شعراء هجر"، ط ٢، دار القلم، بيروت، ١٣٩٩هـ .

١٥ – الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، "معجم البلدان"، ج ١، دار صادر، بيروت، (د. ت.) .

١٦ – ابن خلدون، عبد الرحمن، "مقدمة ابن خلدون"، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت.) .

١٧ — الدائم، عبد الله، "التربية عبر التاريخ"، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨م .
١٨ — زيدان، جورجي، "تاريخ التمدن الإسلامي"، في ٤ أجزاء، ط ٤، مطبعة الهلال .
١٩ — السبيعي، عبد الله، "الحياة العلمية والثقافية في المنطقة الشرقية"، ط ١، ١٤٠٧هـ .
٢٠ — ابن سعد، "الطبقات الكبرى"، ج ٥، دار صادر، بيروت، (د.ت.) .
٢١ — شاكر، محمود، "البحرين : الأحساء — الكويت — البحرين — قطر"، ط ١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١هـ .
٢٢ — الشباط، عبد الله أحمد، "أدباء من الخليج العربي"، ط ١، الدار الوطنية، الخبر، ١٤٠٦هـ .
٢٣ — صحيفة اليمامة، العدد الأول، ١٣٧٤هـ .
٢٤ — صحيفة اليوم، الأعداد (٢٨٧٧) و (٥٠٠١) و (٥٠١٥) و (٥٠٦٩) و (٥١٠٤) و (٥٢٤٧) عامي ١٤٠٧ — ١٤٠٨هـ .
٢٥ — آل عبد القادر، محمد، "تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد"، ط ١، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٢هـ .
٢٦ — عبد الله، عبد الرحمن صالح، "تاريخ التعليم في مكة المكرمة"، ط ١، دار الفكر، ١٣٩٢هـ .
٢٧ — العبيد، عبد الرحمن، "الأدب في الخليج العربي"، مكتبة النشاط الثقافي، ١٣٧٧هـ .
٢٨ — الغريب، خالد، "منطقة الأحساء عبر أطوار التاريخ"، ط ١، الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، الخبر، ١٤٠٧هـ .
٢٩ — فيدال، فيدريكو شمد، "واحة الأحساء"، ترجمة : عبد الله ناصر السبيعي، ط ١، مطابع الجمعة الإلكترونية، الرياض، ١٤١٠هـ .
٣٠ — ابن قتيبة، "الشعر والشعراء"، عالم الكتب، بيروت، (د. ت.) .
٣١ — لوريمر، ج. ج.، "دليل الخليج العربي — القسم الجغرافي"، ترجمة : مكتب أمير دولة قطر، الدوحة، ١٣٩٥هـ .
٣٢ — آل مبارك، أحمد علي، "علماء الأحساء ومكانتهم العلمية والأدبية"، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء، العدد الأول، السنة الأولى ١٤٠١هـ .
٣٣ — آل مبارك، عبد العزيز بن حمد، "تبيين المسالك لتدريب السالك إلى أقرب المسالك"، شرح : محمد الشيباني، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .
٣٤ — آل مبارك، عبد الله بن علي، "الأدب العربي المعاصر في الجزيرة العربية"، ط ٢، مطبعة الجيلاوي، القاهرة، ١٣٩٢هـ .

٣٥ – المديرس، عبد الرحمن، "إقليم البحرين في العصر العباسي"، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٤هـ .

٣٦ – ابن مشرف، أحمد بن علي، "ديوان ابن مشرف"، ط ٤، مكتبة الفلاح، الأحساء .

٣٧ – ابن المقرب، جمال الدين، "ديوان ابن المقرب"، تحقيق : عبد الفتاح الحلو، ط ١، مكتبة التعاون الثقافي، الأحساء، ١٤٠٨هـ .

٣٨ – مكتب الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالأحساء، "لمحات أدبية لشباب الأحساء"، الرياض ١٣٩٨هـ .

٣٩ – الملا، عبد الرحمن بن عثمان، "تاريخ الإمارة العيونية في شرق الجزيرة العربية"، مؤسسة عبد العزيز بن سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ١٤٢٣هـ .

٤٠ – اللحم، محمد عبد اللطيف، "هزار الأحساء وبلبلها الغريد"، ط ١، ١٤٢٠هـ .

٤١ – الهاشم، فاطمة أحمد، "المنحى الأخلاقي في الشعر الأحسائي"، رسالة قصيرة مقدمة لقسم اللغة العربية بكلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض (د. ت.) .

٤٢ – الوحيدي، كمال عبد الكريم، "هديل من بلد النخيل"، ط ١، الدوحة، ١٤٠٨هـ .

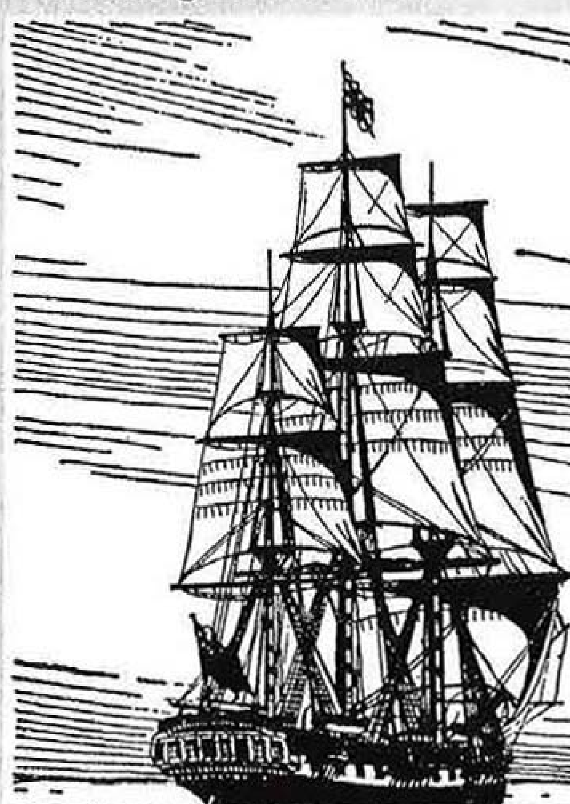
الاهتمام البريطاني

بقلم : الدكتور صبري فالح الحمدي



بالبحرين (حتى عام ١٨٤٠م)

ظهر الإنجليز لأول مرة في الخليج العربي منذ بداية القرن السادس عشر بعد وصول سفن شركة الهند الشرقية التي تأسست عام ١٦٠٠م والتي تعاملت بالتجارة مع موانئ ومدن المنطقة .



وخلال القرن الثامن عشر انهمك الإنجليز في صراع مكشوف ضد القوى الأوروبية المنافسة لهم كالهولنديين والفرنسيين لأجل المحافظة على مصالحهم المتنامية في الخليج العربي . وقد زادت بريطانيا من نشاطها العسكري والسياسي والاقتصادي في نهاية القرن المذكور عندما قام نابليون بالاستيلاء على مصر عام ١٧٩٨م وأخذ يعد العدة للاتجاه نحو الشرق والتفاهم مع قيصر روسيا ومع أمير ميسور الهندي تيبو صاحب وسعيد بن سلطان حاكم مسقط، ومن جهة أخرى عدت بريطانيا المشروع الفرنسي بأنه يشكل تهديداً خطيرا لمصالحها المتزايدة في الخليج العربي ولوجودها في الهند .

الوثيقة ـ ٧٥

وبينما كانت بريطانيا تسعى جاهدة لإبعاد أي منافس دولي آخر يزاحمها للسيطرة على مناطق النفوذ بالمنطقة، وعلى الرغم من فشل المخططات الفرنسية تلك، فقد كانت الحكومة البريطانية تعمل من جهة أخرى على دعم سيطرتها على عموم الخليج العربي وحمل شيوخ الإمارات العربية على الانصياع للمطالب والإرادة البريطانية . ولأجل تحقيق ذلك حاولت بريطانيا ربط شيوخ المنطقة بعدة معاهدات تضمن من خلالها الحفاظ على مصالحها التجارية، ومع ذلك فإن السلطات البريطانية كثيراً ما لجأت إلى استخدام القوة ضد مقاومة القبائل العربية التي عارضت وبشدة الوجود الأجنبي، وبرز ذلك واضحاً في الحرب التي شنتها بريطانيا ضد القواسم والتي انتهت كما هو معروف في معركة رأس الخيمة عام ١٨١٩م لصالح البريطانيين . وهكذا تم تثبيت دعائم النفوذ البريطاني هناك، وأعقب ذلك إجبار بريطانيا الشيوخ العرب على توقيع معاهدة عام ١٨٢٠م التي أطلق عليها اتفاقية السلم البحري وتعهد فيها الشيوخ بعدم التعرض للتجارة البريطانية والحفاظ على الأمن في مياه الخليج العربي .

احتلت البحرين أهمية في توجهات حكومة الهند البريطانية لفرض سيادتها على موانئ ومدن الخليج العربي الشرقية والغربية بسبب أهميتها الاقتصادية والاستراتيجية للمصالح البريطانية باعتبارها تمثل ميناءً ونقطة عبور للأحساء والقطيف، وقد اتخذت العلاقات البريطانية مع البحرين والتي ابتدأت منذ عام ١٨٠٥م طابعاً تجارياً وتطورت بمرور الوقت بسبب اشتهار الأخيرة بمغاصات اللؤلؤ ومصايد السمك إضافة إلى ثروتها الزراعية وموقعها الجغرافي وامتلاكها لجزر كثيرة،

وللدلالة على تعاظم الاهتمام البريطاني بالبحرين الزيارات العديدة التي قام بها المسئولون البريطانيون لشيخ البحرين، والتباحث معه في الأمور المتعلقة بتوطيد علاقات بلاده مع السلطات البريطانية وفي مقدمتهم المقيم العام في الخليج العربي . وتعاون الجانبين فيما أطلق عليه بمحاربة تجارة الرقيق والامتناع عن أعمال القرصنة على حد وصف المسئولين البريطانيين واستغرق ذلك العقود الثلاثة من القرن التاسع عشر .

ولم تقتصر أهمية البحرين بدورها في الحفاظ على المصالح التجارية البريطانية وإنما تعدى ذلك إلى اتساع مكانتها الاستراتيجية، خاصة بعد بروز تطلعات حكام مسقط للسيطرة على جزر البحرين، وتزامن ذلك مع ظهور السعوديين كقوة سياسية انطلقت من قلب الجزيرة العربية صوب سواحل الخليج العربي . ثم جاء عقد الثلاثينيات من القرن التاسع عشر الذي شهد توغل قوات محمد علي باشا عام ١٨٣٦ م، ثم اندفاع تلك القوات نحو سواحل الخليج العربي بوصولها إلى الأحساء والقطيف، وأعقب ذلك نجاح محمد رفعت أفندي ممثل محمد علي باشا في توقيع اتفاقية مع الشيخ عبد الله بن أحمد آل خليفة عام ١٨٣٩م، ليهدد المصالح البريطانية في الصميم ويدفع بحكومة الهند إلى اتخاذ إجراءات حاسمة بما فيها التهديد باستخدام القوة العسكرية للحيلولة دون اتساع نفوذ محمد علي باشا، فيما راحت الدبلوماسية البريطانية تعمل وبشتى السبل على تحريض الدول الأوروبية لوقف توسع نفوذ محمد علي باشا وهذا ما سيحاول البحث متابعته مستشهداً بالأمثلة والأحداث التاريخية .

البحرين في السياسة البريطانية
حتى عام ١٨٢٠م

دخلت بريطانيا إلى منطقة الخليج العربي نتيجة استعمارها للهند إذ عدتها إحدى الخطوط الأمامية للدفاع عن مستعمراتها الكبرى، وقد استغل الاستعمار البريطاني أوضاع المنطقة في تحقيق أغراضه فرسخ التجزئة بعد أن قسمها إلى كيانات سياسية ضعيفة، ثم لجأ إلى تغذية وتشجيع الحروب القبلية والخلافات العائلية بين حكام هذه الأجزاء تدعيما منه لهذه التجزئة . ولكي يحول البريطانيون بين تلك المشيخات وبين الاتصال بأية دولة أخرى عمدوا إلى فصل التعهدات الثنائية والجماعية التي مكنتهم من تثبيت هذا الواقع المجزأ، وحتى يحكموا قبضتهم على المنطقة، اتخذوا لأنفسهم شعارات ومبادئ إنسانية سامية كرغبتهم في القضاء على ما أسموه القرصنة ومحاربة تجارة الرقيق، وكانت نفس تلك الشعارات سبيلاً سلكته السلطات البريطانية للوصول إلى فرض حمايتها على المشيخات العربية لاحقاً[١] .

كانت البحرين من أولى المناطق التي جلبت إليها اهتمام ممثلي شركة الهند الشرقية الإنجليزية التي وصلت سفنها التجارية إلى مياه الخليج العربي منذ مطلع القرن السادس عشر، فقد كان توماس إلدورث

الذي عين رئيساً لوكالة سورات لدى إنشائها بداية عام ١٦١٣م منهمكاً في البحث عن أسواق جديدة خارج الهند، وكتب عن البحرين في السنة الأولى من توليه العمل يقول : "أقترح أن تأتي إلى البحرين سفينة تتراوح حمولتها بين (٢٠٠ و٣٠٠) طن، وأعتقد أن هذه المنطقة ستستهلك الحمولة كلها، فأهل البندقية يوردون لها الثياب عن طريق البر ويرجعون محملين بحرير فارس، وأعتقد أيضاً أنه خلال زمن قصير سيصبح استهلاك البحرين من الثياب يعادل استهلاك سورات تماماً" . وأعقب ذلك تزايد اهتمام الشركة الإنجليزية بإقامة وكالة تجارية لها في بلاد فارس، إلا أن سجلات الشركة كانت قد أشارت إلى أهمية البحرين منذ عام ١٦٢٥م للحفاظ على المصالح الإنجليزية المتنامية في منطقة الخليج العربي بسبب اشتهارها بمغاصات اللؤلؤ ذات المردودات المالية(٢) .

واجهت شركة الهند الشرقية الإنجليزية في محاولاتها إيجاد موطئ قدم لها في جزر البحرين منافسة القوى المجاورة للأخيرة وفي وقت مبكر من التاريخ الحديث وفي مقدمتها أطماع بعض الدول الأخرى فقد حاولوا استغلال التحالف الإنجليزي الموجه ضد البرتغاليين كي تأمرهم بريطانيا وتساعدهم لتحقيق ذلك، غير أن مسئولي حكومة الهند كانوا يقابلون تلك المساعي بالرفض القاطع(٣) .

وعقب تولي آل خليفة الحكم في البحرين عقب تحريرها من السيطرة الأجنبية عام ١٧٨٣م، فقد تزامن ذلك مع اشتداد التنافس

البريطاني الفرنسي للسيطرة على مناطق النفوذ في الخليج العربي وبلاد الشرق أواخر القرن الثامن عشر . وخلال تلك الحقبة كان عتوب البحرين بحاجة إلى دولة قوية تساندهم في مواجهة مخاطر القوى المحلية الطامعة في بلادهم، مقابل امتيازات اقتصادية يقدمونها ودون أن يكون لتلك الدولة أطماع في الحلول محلهم في إدارة البحرين، لذلك عندما ظهرت بريطانيا ذات النفوذ القوي في الخليج العربي كانت سياستها تتفق مع هذه الأهداف، لذلك رحب سكان البحرين منذ البداية بضرورة توثيق علاقاتهم مع السلطات البريطانية في المنطقة(٤) .

مقابل ذلك استطاعت بريطانيا أن تنشئ لها وكالات تجارية في بلاد الشام والعراق وفارس في الربع الأخير من القرن الثامن عشر من أجل حماية المواصلات بين بريطانيا ومستعمراتها في الهند متبعة في ذلك الطرق الدبلوماسية، لكن مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر عام ١٧٩٨م قد بدل خطط شركة الهند الشرقية .

فمع اقتناع إدارة الشركة في لندن باستبعاد غزو نابليون لمنطقة الخليج العربي والوصول إلى الهند، إلا أنها اتخذت خطوة إيجابية لتدعيم الموقف لصالحها في عموم المنطقة وضد الفرنسيين، ومن ذلك توقيع معاهدة مع سلطان بن أحمد (١٧٩٢ – ١٨٠٤م) حاكم مسقط في الثاني من تشرين الأول عام ١٧٩٨م تعهد فيها بعدم السماح للفرنسيين بدخول بلاده مقابل أن يدفع البريطانيون مبلغ (٢٨٢٠) روبية(٥)، ويرسلوا مبعوثين إلى العراق وفارس وجدة وتوجيه قوة بحرية استطاعت احتلال جزيرة بريم الواقعة عند مدخل البحر الأحمر عند باب المندب

التي اتخذتها بريطانيا قاعدة ومركز وثوب على جنوب الجزيرة العربية كما استطاعت أن تؤمن الطريق إلى الهند(٦) .

وبسبب انشغال بريطانيا خلال العقدين الأولين من القرن التاسع عشر في محاربة القواسم الذين هددوا مصالحها السياسية والاقتصادية في الخليج العربي، فقد اتسمت السياسة البريطانية تجاه البحرين حينذاك بأنها لم تتضح بعد، إذ رفض البريطانيون تقديم المساعدة للبحرين حين تعرضت بلادهم إلى توسع عماني في عهد السيد سعيد بن سلطان (١٨٠٦ — ١٨٥٦م) سلطان مسقط، لما قد يجر عليهم ذلك من عداء مباشر مع القوى المحلية المجاورة لجزر البحرين، وعلى الرغم من نجاح عتوب البحرين وبمساعدة السعوديين في طرد القوات الأجنبية من البحرين، غير أنهم تعرضوا عام ١٨١٠م إلى هجوم شنته قوة أخرى والتي سرعان ما أجبرت على التراجع هي الأخرى بسبب مقاومة العتوب لها، وطيلة هذه الحقبة تمثل موقف بريطانيا بالابتعاد عن التدخل بين القوى المتنازعة(٧) .

أدى تعرض البحرين إلى مخاطر حقيقية جراء توالي هجمات القوى المحلية على أراضيها إلى إدراك شيوخها عام ١٨١٣م بضرورة تلقيهم دعماً بريطانياً لمواجهة الأخطار المحدقة بهم . وطبقاً لما أوردته المصادر البريطانية، فقد أعربت سلطات حكومة بومباي عن استعدادها لإمداد حكام البحرين بالعون اللازم الذي يمكنهم من العيش بسلام في بلادهم بما في ذلك وضع سفينة بريطانية أو أكثر تحت تصرفهم(٨) .

وتوافق هذا الموقف البريطاني مع أخبار روّجها سلطان عمان مفادها بأنه قد تحالف مع أمير شيراز لمهاجمة البحرين، ولكي يبث الخوف في نفوس عتوب البحرين، مما دفع بآل خليفة للكتابة إلى بروس Bruce (المقيم البريطاني في الخليج العربي) يسألونه عن مدى صحة تلك الأخبار، فبادر الأخير بإخبار حكومة بومباي عما يراود عتوب البحرين من مخاوف أثارتها التحركات العمانية الأخيرة، ومقترحاً اتخاذ موقف بريطاني يظهر الدعم والمساندة للبحرين في مواجهة تلك الأخطار . وجاء رد حكومة بومباي بالإيعاز إلى بروس بزيارة البحرين لطمأنة الشيخ عبد الله بن أحمد آل خليفة أن لا أساس لتلك الشائعة من الصحة، والتباحث مع الشيخ في بعض الأمور المتعلقة بضمان أمن الملاحة وحركة التجارة في المنطقة .

وقد استقبل الشيخ في تموز عام ١٨١٤م ضيفه استقبالاً ودياً مقابل حمايته من التهديدات الأجنبية التي كثيرا ما كان يتعرض لها، كما رحب بقدوم السفن البريطانية والتعامل مع تجارها، وهو يأمل في أن تعامل بريطانيا سفنه بنفس المعاملة التي يعامل بها سفنها في موانئ البحرين، فيما جدد بروس للشيخ عبد الله بن أحمد استعداده للاتفاق على صيغة معاهدة تقرر صداقة حكومته له وتضمن دخول سفن أهالي البحرين لموانئ الهند البريطانية وأخبره بأنه مستعد أن يوقع على تلك الاتفاقية لكي يزيل مخاوف الشيخ، فوعده الأخير بأنه سيصدر أوامره الصارمة للتشديد على سفنه بضرورة احترام العلم البريطاني حتى في أشد الأوقات حرجاً[٩] . وللدلالة على النتائج الإيجابية التي تمخضت

عن الزيارة ما قاله بروس عن تلك الزيارة بقوله إنها كانت موفقة ومفيدة جداً[١٠] .

وبصدد ذلك كتب المقيم البريطاني تقريراً إلى رؤسائه شارحاً فيه الفوائد التي يمكن أن تعود على شركة الهند الشرقية من علاقاتها بشيوخ آل خليفة وأهمية توقيع اتفاقية معهم، وكان مما جاء في تقريره : "إن البحرين أصبحت الآن هي السوق الرئيسية في الساحل العماني، كذلك أصبحت قاعدتهم التي يمونون فيها بالأرز والتمور وخاصة أن عدداً كبيراً من سكانها اعتادوا أن يبحروا إلى رأس الخيمة وهناك يغيرون طاقم سفنهم وكان من المعتاد أن ينقل القواسم أسلابهم مباشرة إلى البحرين ومن هناك تحمل أجزاء منها إلى كنجون وغيرها من الموانئ المطلة على الساحل الشرقي للخليج العربي بواسطة سفن الكويت وغيرها" . وحين عرض تقرير بروس على حكومة بومباي لم تتخذ الحكومة أية بادرة بشأن تنفيذ ما جاء بمقترحاته، إذ كان أهم ما يعني حكومة بومباي في ذلك الوقت هو التخلص من النشاط البحري للقواسم الذي وصل إلى ذروته[١١] .

على أن تعرّض البحرين لهجمات السفن الأجنبية شكل الهاجس الذي ظل يراود حكام البحرين ودفعهم باستمرار إلى البحث عن الحليف الذي يحول دون تعرض بلادهم للأخطار الخارجية، وفي خضم تلك الأحداث استمرت الاتصالات البريطانية البحرينية . فحين أقدم السلطان عام ١٨١٦م بالاستيلاء على (١٥) سفينة تابعة للبحرين

بالقرب من مسقط، بادر المقيم البريطاني بطمأنة شيخ البحرين مؤكداً له حياد بلاده في النزاع وعدم انحيازها لسلطان عمان(١٢).

ويبدو أن بريطانيا كانت ميالة إلى التعاون مع سلطان مسقط وكان من الممكن أن تلاقي مطالبه هوىً في نفس الحكومة البريطانية التي كانت تعمل في ذلك الوقت على إنشاء مركز لها في الخليج العربي بغية الحفاظ على مصالحها عن طريق تقديم المساعدات الكافية لحلفائها. كما تستطيع في الوقت نفسه أن تقضي على أية خطط توسعية أخرى يحتمل أن يقوم بها محمد علي باشا في مناطق الخليج العربي. والحكومة البريطانية لم تنظر بعين الرضا إلى احتمال أي تدخل في شئون المشيخات العربية، لذلك وافقت على خطة بموجبها أن يكون سلطان عمان مسئولاً عن مستقبل الساحل العماني بالمقابل أن يسمح بإقامة مركز بريطاني في جزيرة قشم يدفع هو نفقات صيانته، على أن حكومة بومباي لم تلبث أن عدلت عن خطتها هذه ورأت أن سلطان مسقط أقل الزعماء جدارة أن تعهد لحكومة بومباي بالنفوذ بالخليج العربي نظراً لضعفه وعدم استقراره، وأنه غير جدير بسبب ذلك أن يمنح أي نوع من أنواع السيادة على أي من إمارات الخليج العربي، وعلى ذلك رأت الحكومة البريطانية أنه من الأجدى أن تقوم بنفسها بالإشراف على شئون الخليج العربي(١٣).

وعلى الرغم من استيلاء قوات بقيادة خورشيد باشا عام ١٨١٨م على الدرعية إلا أن ذلك لم يثر مخاوف السلطات البريطانية إزاء توسع خورشيد باشا، وعلى ما يبدو فإن هناك توافقاً قد حصل بين الجانبين

في هذه المرحلة على الأقل للقضاء على قوة القواسم البحرية في مياه الخليج العربي، إذ أدرك البريطانيون أن هناك عدواً مشتركاً لهما يتمثل في القواسم وحلفائهم مع ضرورة الإشارة إلى حقيقة أن النفوذ البريطاني لم يكن قد تدعم وجوده بعد، إضافة إلى أن وصول القوات إلى سواحل الخليج العربي كان مقتصراً على تأمين العمليات العسكرية في نجد، فاقتصر الموقف البريطاني على الإفادة من ذلك لمحاربة القواسم(١٤).

وبخصوص وضع البحرين من العمليات الحربية التي شنتها القوات البريطانية على معاقل القواسم على الساحل الغربي من الخليج العربي والتي استغرقت معظم العقدين الأولين من القرن التاسع عشر، لم تورد التعليمات الرسمية الصادرة من السلطات البريطانية أي ذكر للقيام بعمليات مشابهة ضد البحرين والامتناع عن توفير الدعم والمساندة لسلطان مسقط وقد أوضح طبيعة تلك السياسة ألفينستون Alphinstone حاكم بومباي بقوله : "إن علينا أن نكف عن كل تدخل في الادعاءات المقدمة ضد البحرين، مع القيام بشرح واضح لشيخ تلك الجزيرة بأن موانئ الهند ستبقى مفتوحة لمراكبه طالما بقي رادعاً قبيلته عن متابعة أعمال المضايقة في أعالي البحار ويقومون بأعمال التجارة، وأنه يمكنه الاعتماد على مساعدة وصداقة الحكومة البريطانية، وعلى العكس إذا ظهرت أية روح للقرصنة، فسنكون مضطرين لتبني تلك الإجراءات القهرية التي نتابعها ضد القواسم"(١٥).

ولاشك فإن الانتصار العسكري الذي حققه البريطانيون في هجومهم على القواسم واحتلالهم رأس الخيمة عام ١٨١٩م، قد أدى إلى دخول مشيخات أبو ظبي وأم القيوين والعجمان والشارقة ورأس الخيمة في معاهدة الصلح البحري لعام ١٨٢٠م[١٦]، مع الحكومة البريطانية والتي أصبحت بموجبها الأخيرة صاحبة السلطة الفعلية على تلك المشيخات، ولعل مما ساعد البريطانيين على تحقيق ذلك ما تعرضت له المشيخات العربية من نزاعات فيما بينها، إلى جانب الخلافات الأسرية داخل كل مشيخة . وتأسيساً على ذلك راحت بريطانيا وبحجة نكث هذه المعاهدة وعدم التزام الشيوخ بتنفيذ البنود الواردة فيها وخاصة ما روجت له حكومة بومباي والسلطات البريطانية في الخليج العربي، من عدم التزامهم بالامتناع عن (تجارة الرقيق) و (عمليات القرصنة)، تتدخل بشئون المنطقة التي سرعان ما تحولت إلى بحيرة بريطانية في السنوات اللاحقة[١٧] .

التوجه البريطاني نحو البحرين
(١٨٢٠ - ١٨٤٠م)

أسرع عتوب البحرين بالانضمام إلى معاهدة ١٨٢٠م والتي عدت بداية لسلسلة من المعاهدات التي عقدها المسئولون البريطانيون مع شيوخها في السنوات اللاحقة، وهو ما يشير إلى استعداد شيوخ البحرين لإقامة علاقات صداقة مع الحكومة البريطانية إبان عقد العشرينيات

من القرن التاسع عشر، الأمر الذي يعزز من دعم حكمهم في مواجهة الأطماع الأخرى[١٨]، ومن ثم بدا واضحاً للبحرين أن بريطانيا هي القوة الوحيدة التي يمكنها أن تحميهم من الخطر الذي يشكله تهديد جيرانهم. وبهذا الخصوص يرى الدكتور جمال زكريا قاسم أن انضمام البحرين لمعاهدة الصلح البحري، كونها تتضمن اعترافاً باستقلال الأطراف المتعاقدة عليها، وبالتالي فإن على بريطانيا ووفقاً لبنود المعاهدة أن تقف أمام القوى المتطلعة للسيطرة على البحرين.

لذلك وجد شيوخ البحرين في انضمامهم لتلك المعاهدة الفرصة للتخلص من أطماع سلطان مسقط وحكام فارس أو كليهما، ومن ثم الفائدة التي عادت إليهم من جراء انضمامهم إلى تلك المعاهدة هي أنهم استطاعوا أن يضعوا بريطانيا وجهاً لوجه أمام المحاولات الأخرى للاستيلاء عليها بعد أن كانت المقاومة من آل خليفة وحدهم وهؤلاء كان لا يمكنهم بطبيعة الحال أن يتصدوا لهجوم أجنبي عليهم.

وبالمقابل تتعامل بريطانيا وفق المعاهدة مع الشيوخ بصفتهم الاستقلالية لا مجرد كونهم أتباعاً لحكومة أخرى، وأن السيادة عليها قد سقطت نهائياً منذ وصول آل خليفة إلى حكم البحرين عام ١٧٨٣م، فيما تحولت المعاهدة إلى السند (القانوني) للوجود البريطاني في الخليج العربي خلال حقبة تاريخية طويلة جاوزت القرن ونصف القرن، ومهدت في الوقت نفسه السبيل إلى اتفاقيات لاحقة وأصبح البريطانيون من هذا التاريخ القيمين على حفظ الأمن بالمنطقة مما وفر لهم إمكانية تثبيت أقدامهم في البحرين[١٩].

واصل البريطانيون سياستهم القائمة على إبعاد أي نفوذ خارجي عن البحرين متذرعين بمعاهدة عام ١٨٢٠م[٢٠]، فحينما طالبت فارس في كانون الأول عام ١٨٢٠م من بعض حكام السواحل كعبد الرسول حاكم منطقة بوشهر أن يجمعوا كل ما يقع في أيديهم من سفن لاستخدامها في حملة لغزو البحرين . ورغم ما كان يتوقع لهذه المحاولة من فشل، فقد قام (بروس) المقيم البريطاني بزيارة خاصة لشيخ البحرين وطمأنه إلى أن بريطانيا تعترف باستقلال حكومة البحرين كما أرسل من هناك مذكرة إلى السيد سعيد يطلب فيها التعهد باحترام استقلال هذه الجزر[٢١] .

من جانب آخر وقفت السلطات البريطانية في الخليج العربي ضد أي حملة عسكرية ضد البحرين وتم ذلك بعد اتفاق كل من (بروس) المقيم البريطاني وميرزا خان أمير شيراز على عقد معاهدة عام ١٨٢٢م[٢٢] .

لكن حكومة بومباي وطبقاً لما أورده لوريمر لم تكن تقر المقيم العام على تصرفاته ولا توافق على الاتفاقية، لذا قامت بنقل (بروس) من منصبه في الخليج العربي إلى الهند[٢٣] . وفي ظل تلك الأوضاع المضطربة، تمكن آل خليفة وسط هذه الأخطار المحدقة بهم من كل جانب من المحافظة على ملكهم متخذين أسلوب الدهاء والمناورة تارة ومحاولة دفع مبلغ من المال تارة أخرى لتفادي مخاطر قوى مجاورة لهم[٢٤] .

ومع ذلك تجددت الأطماع الأجنبية في البحرين، إذ شهد عام ١٨٢٣م محاولة غزو البحرين مما أثار رد فعل بريطاني تمثل في دعوة السلطات البريطانية في الخليج العربي إلى التفاوض معها، وقد أشارت بريطانيا على زعيم القواسم بالامتناع عن تقديم المساعدة لأية دولة تحاول في ضمها لجزر البحرين، وإزاء ذلك لم يسع الشيخ إلا الائتمار بأمر المسئولين البريطانيين[٢٥].

وإذا تناولنا موقف بريطانيا من طموحات سلطان مسقط تجاه البحرين فسنلحظ اتباع السلطات البريطانية في المنطقة لسياسة التقارب مع السيد سعيد بن سلطان معظم النصف الأول من القرن التاسع عشر لأسباب عدة، فبالإضافة إلى مركزه المرموق في الخليج العربي وقوة حكمه واستقراره وما يملك من أساطيل قوية لم تضاهيها في الخليج العربي والمحيط الهندي إلا قوة الأسطول البريطاني ومن هذه الأسباب:

١ — المعارضة التي أبدتها الحركة السعودية ضد التغلغل البريطاني في الخليج العربي والمقاومة العسكرية العنيفة التي قادتها قبائل القواسم ضد النفوذ البريطاني والمصالح البريطانية في عموم المنطقة.

٢ — ابتعاد سعيد بن سلطان عن العروض التي قدمها محمد علي باشا والي مصر لدعم حملة ابنه إبراهيم باشا في الجزيرة العربية[٢٦].

وحين أدرك سلطان مسقط عدم اهتمام حكومة بومباي بالاستجابة لرغبته والتي تطور موقفها المعارض لسياسة التوسع العمانية لدرجة

أنها وجهت تحذيرات شديدة اللهجة عام ١٨٢٥ للسيد سعيد بن سلطان على تهديداته المتضمنة إرسال حملة بحرية للبحرين[٢٧].

ومعلوم أن البريطانيين رفضوا الاشتراك بالاتفاق العماني/البحريني كطرف ثالث، ولما رأى آل خليفة اعتراض السلطات البريطانية استغلوا هذه الفرصة.

وقام السيد سعيد بن سلطان عام ١٨٢٨ بمحاولته الأخيرة ضد البحرين إلا أن مخططاته لم تلبث أن منيت بفشل ذريع وذلك حين طلب شيوخ البحرين النجدة من السعوديين وحاول سلطان مسقط الإفادة من هذا التحول المفاجئ في سلوك شيوخ البحرين، فطلب من الحكومة البريطانية مساعدته وتوجه في هذه المرة إلى وزارة الخارجية في لندن مباشرة مؤكداً الأضرار التي يمكن أن تنجم عن ذلك غير أن هزيمة السيد سعيد بن سلطان العسكرية في البحرين وإصرار الحكومة البريطانية على موقفها مما يبعث الفوضى في المنطقة، جعلته ييأس من الحصول على أية انتصارات سياسية أو عسكرية حتى أنه أراق ماء وجهه في سبيل عقد صلح مع شيوخ آل خليفة وتم ذلك بالفعل في تشرين الثاني عام ١٨٢٩م[٢٨].

يتبين لنا من العرض السابق أن السياسة البريطانية نحو البحرين كانت تقوم وحتى عام ١٨٣٨م الذي شهد تقدم القوات المصرية صوب الخليج العربي على تفضيل حكومة العتوب (آل خليفة) كوحدة سياسية منفصلة عن دول الخليج العربي التي تدعي السيادة عليها الدولة العثمانية وغيرها، ولكنها لم تبلغ حد التدخل العسكري أو

التهديد به للمحافظة على هذا المبدأ حتى نهاية عقد الثلاثينيات من القرن التاسع عشر(٢٩).

وعلى أثر معاودة السعوديين لنفوذهم والذي تمثل باسترداد الأحساء على يد الإمام فيصل بن تركي عام ١٨٣٠م بعد الانسحاب العثماني المفاجئ من سواحل الخليج العربي، أثار ذلك الفزع لدى بنو خالد ودفعهم إلى طلب العون من السلطان العثماني(٣٠)، الذي أصدر أوامره إلى محمد علي باشا بضرورة مساعدتهم وبدأت بذلك المرحلة الثانية من مراحل التوسع نحو الخليج العربي حين جاء جيش تولى قيادته خورشيد باشا عام ١٨٣٨م وتوغل إلى نجد مرة أخرى، ودارت معركة حامية الوطيس بين الجانبين المتحاربين انتهت بالاستسلام لخورشيد باشا وتم تنصيب خالد بن سعود الموالي لخورشيد باشا وكان مقيماً في مصر أميراً على نجد، وهكذا استطاعت قوات خورشيد باشا احتلال أقاليم الأحساء والقطيف اللذين يحتلان جزءاً كبيراً من شاطئ الخليج العربي . ويؤكد فريدون أدميات أن سقوط هاتين المدينتين قد فتح الطريق لتغلغل خورشيد باشا في البحرين لارتباط الأخيرة بإقليم الأحساء ارتباطاً وثيقاً، ومن ثم لا تعجب أن يكون من ضمن مخطط محمد علي باشا مد النفوذ المصري إلى البحرين عبر الأحساء(٣١).

كان من الطبيعي أن يلقى التقدم المصري صوب البحرين معارضة بريطانية لخوف الأخيرة على سلامة خطوط ملاحتها التجارية الجديدة التي تصل الهند بأوروبا، فقد أنشأت الخط الذي يصل بومباي بالسويس عام ١٨٢٩م ليتصل بالخط الفرنسي الذي يصل الإسكندرية

بمرسيليا، فلم تكن بريطانيا لتنظر إلى ظهور القوة العثمانية على سواحل الخليج العربي بعين الارتياح لأنه سيجعل كلا الخطين واقعا تحت رحمة والي مصر(٣٢) . كما أبدت وزارة الخارجية التي كان يرأسها بالمرستون رفضها لمشروعات محمد علي باشا في مناطق الخليج العربي(٣٣)، فيما كتب الليفتنانت كولونيل تايلور (Taylor) المقيم البريطاني في بغداد رسالة إلى بالمرستون أوضح فيها العواقب التي سوف تنجم عن التوسع المصري نحو سواحل الخليج العربي، ثم بعث بالمرستون برسالة إلى الكولونيل كامبل (Campbel) ممثل الحكومة البريطانية في ٢٩ تشرين الثاني عام ١٨٣٨م بالقاهرة طالباً منه الاستفسار من المسئولين المصريين عن صحة هذه المعلومات ومؤكداً أن هذه التحركات تنظر إليها الحكومة البريطانية نظرة غير ودية . ومما يعزز تعاظم الاهتمام البريطاني بالبحرين ما نود التذكير به من أن شئون الخليج العربي كانت من اختصاص حكومة بومباي ولم يكن تدخل حكومة لندن في تلك الأمور إلا في النواحي التي تستوجب تدخلها، وعلى ذلك فإن حرص وزارة الخارجية على متابعة التحركات المصرية يشير إلى أهمية تلك التحركات، ليس لكونها تشكل خطراً على حكومة الهند، وإنما على الإمبراطورية البريطانية بأسرها(٣٤) . وكان تخوف بريطانيا نابعاً من مقدار التقدم المصري في إمارات الخليج العربي اعتباراً من العراق إلى عمان(٣٥) .

جاء الموقف البريطاني إزاء التوسع العثماني في مرحلته الثانية مختلفاً عما اتخذته الحكومة البريطانية في المرحلة الأولى إبان وصول القوات العثمانية إلى نجد، وتميز باستخدام كل الوسائل بما فيها القوة

العسكرية لوقف ذلك التقدم صوب البحرين، وانسجاماً مع التوجهات الجديدة وصل الأميرال فردريك ميتلاند (Maitland) قائد البحرية البريطانية في الهند إلى الخليج العربي عام ١٨٣٨م ونزل في البحرين، وتجنب في هذه الزيارة وأثناء لقائه بشيوخ آل خليفة إظهار عزم السلطات البريطانية على استخدام الخيار العسكري لإجبارهم على الرضوخ لمخططات حكومة بومباي الرامية إلى الابتعاد عن التعاون مع ممثلي محمد علي باشا . وفي ذات الوقت فوّض هنيل (Hennell) المقيم البريطاني في الخليج العربي بأن يتولى مهمة إنذار خورشيد باشا من العواقب الوخيمة التي ستترتب على دخوله البحرين، وتزامن ذلك مع تحرك السفن البريطانية صوب جزر البحرين وهي تبعث إشارة إنذار للسلطات البريطانية، وكان لهذا الموقف المتشدد تأثيره على تفكير محمد علي باشا الذي تظاهر بأنه لا يفكر في ذلك الوقت في غزو بغداد خاصة وأن جيوشه مشغولة في توطيد الأمن في بلاد الشام، وتعزيزاً لهذا التظاهر فإن والي مصر رفض تلبية مطلب خورشيد باشا الخاص بإرسال قوة بحرية عن طريق الخليج العربي لتكون عوناً لقواته التي ذهبت للاستيلاء على القطيف قائلا : "إن إرسال السفن من جدة في ميناء القطيف لا يوافق بعض المحذورات" . ولاشك فإن محمد علي باشا كان يعني هنا بالمحذورات النفوذ البريطاني المتزايد في منطقة الخليج العربي، الأمر الذي أقلق القائد المصري وجعله يفكر في مدى جدية هذه المحذورات[٣٦] .

تزايدت المعارضة البريطانية للتواجد العثماني على شواطئ الخليج العربي واتساع الاتصالات المصرية البحرينية خاصة بعد توقيع محمد

رفعت أفندي ممثل محمد علي باشا على اتفاقية مع الشيخ عبد الله بن أحمد آل خليفة في ٧ أيار عام ١٨٣٩م، تضمنت بنوداً زادت من ترسيخ النفوذ العثماني في جزر البحرين، وبطبيعة الحال كان الشيخ مضطراً إلى تأييد مركزه فطلب من محمد علي باشا أن يرسل له الحماية المطلوبة بعد أن ظل المقيم البريطاني متردداً في إجابته على طلب شيخ البحرين الخاص بمساعدته، حين أخبر الأول الثاني بأنه ينبغي عليك أن تكون الفيصل في إدارة شئون إمارتك وخاصة في مثل هذه الأمور. على أن (هنيل) وبناءً على أوامر من حكومة الهند رفع تقريراً مفصلاً عن قوة الحملة العثمانية في نجد والأحساء، كذلك عن قوى ومواقف كل الشيوخ والحكام على الساحل الغربي من الخليج العربي الذين كانت مصالحهم مهددة باعتداءات القوات العثمانية . وطبقاً لما أورده لوريمر فقد ذكر المقيم البريطاني — فيما يتعلق بشيخ البحرين — أن وسائله الدفاعية قد تتيح له نجاحاً في حالة استغلالها الكامل، فوضع إمارته المحاط بمياه البحر، إلى جانب تفوقه الساحق في القوة البحرية بما فيها من القوارب الحربية من الطراز الأول، كلها اعتبارات في صفه، كما أن المقاتلين الذين يقفون إلى جانبه يتجاوزون ستة آلاف رجل يمكن جمعهم من جزيرتي البحرين والمحرق فقط، ويمكنه أيضاً أن يجمع ثلاثة آلاف رجل من أرض العتوب في البحر وكلهم من الرجال الشجعان الذين يقاتلون في البر والبحر على السواء(٣٧) .

قدمت الحكومة البريطانية احتجاجاً شديد اللهجة إلى محمد علي باشا لإقدام ممثله على توقيع تلك الاتفاقية مع شيخ البحرين، وأعلن (هنيل) عدم مشروعيتها لأن تلك الاتفاقية مخالفة للتعهدات التي

قدمها والي مصر للمسئولين البريطانيين والتي تضمنت عدم قيامه بأية أنشطة عسكرية فيما تم إبلاغ الشيخ عبد الله بن أحمد بعدم التزامه بالوعود التي صرح بها أثناء لقاءاته أو اتصالاته بالسلطات البريطانية في الخليج العربي، وأن إقدامه على توقيع اتفاقية مع المصريين يعد خرقاً لبنود المعاهدة التي سبق ووقعها عام ١٨٢٤ مع الجانب البريطاني .

ولم تكتف السلطات البريطانية بذلك بل قام المقيم البريطاني بمقابلة شيخ البحرين في ٢٨ تموز ١٨٣٩م على أمل أن يجعله يتراجع عن مشروع تحالفه مع المصريين، وقد حفلت المقابلة بالكثير من التهديد والترغيب معاً، إذ وعد (هنيل) الشيخ بتوفير الحماية للبحرين من طرف حاكم الهند وتقديم إعفاءات لمدة خمسة وعشرين عاماً من الضرائب، وكان قد طلب المسئول البريطاني من الشيخ عبد الله بن أحمد أن يعطيه المعاهدة ليمزقها، ولكن الشيخ أصر على موقفه المؤيد للجانب المصري وأكد ذلك حين رفض تلك العروض مبرراً موقفه بأنه كان في السابق قد طلب الحماية البريطانية خوفاً من بطش القوات المصرية، على حين لم يعد لهذا الخوف من مبرر بعد الاتفاق مع خورشيد باشا، بالإضافة إلى أن مصالحه مرتبطة مع مناطق الأحساء ونجد التي هي تحت يد محمد علي باشا[٣٨] .

ومما يعزز ما ذهبنا إليه ما ذكره الشيخ للمقيم البريطاني بقوله : "إنني وإن كنت قد طلبت منكم فعلاً الحماية، ولكن ما قلت لكم أن أكون من جملة رعايا الإنجليز، وثانياً إنما كان طلب الحماية من

خوفي من عساكر محمد علي باشا وأما اليوم فقد تصالحنا وربطنا الصلح بشروط[٣٩].

وعند ذلك أيقن هنيل بفشله في تحويل شيخ البحرين عن اتفاقه مع المصريين، فقرر مغادرة البحرين وسلم شيخها احتجاجاً جاء فيه: "ليعلم الواقفون على هذه الأحرف أن الراسم بهذه وهو باليوز الخليج من جهة الدولة العلية الإنجليزية . . . ما بلغه من العلم عن خورشيد باشا ساري عسكر نجد بمعرفة وكيله محمد أفندي أن البحرين قد أطاعت بحكم جناب ذي الشوكة والإجلال محمد علي باشا وأن حاكمها قد تقبل أن يسلم في كل سنة ثلاثة آلاف ريال فرنسية على سبيل الزكوة تبين أن ذلك خلافاً محضاً للقول المتأتي من جانب محمد علي باشا في جواب مطلب أمناء الدولة العلية الإنجليزية فيما أظهروه من عدم رضاهم من حركات خورشيد باشا بطوارف بنادر بر العرب المتصل بخليج فارس هذا ليكون معلوماً"[٤٠].

وحينما أدركت الحكومة البريطانية عدم نجاحها في إجبار شيخ البحرين بالتراجع عن تحالفه مع القائد المصري وتخليه عن المعاهدة الموقعة بين الجانبين، حاولت توجيه الاتهامات إلى الشيخ عبد الله بن أحمد بقولها أن الأخير قد تصرف في مسألة توثيق علاقاته مع المصريين بسبب من ضعف قواه وكبر سنه، إلا أن الوثائق المصرية أشارت إلى كذب الادعاءات البريطانية ومؤكدة أن الشيخ أعلن انضمام بلاده لمشروع محمد علي باشا الهادف إلى إقامة دولة عربية موحدة عن إيمان وقناعة كبيرين . ومما يؤكد ما ذهبنا إليه رفض الشيخ الضغوط البريطانية التي

مورست عليه بهدف إجباره على تغيير سياسته وفي ظل ظروف معينة، ونقل عن الأخير قوله لمبعوث خورشيد باشا الشيخ شافعي ما نصه : "ما دمت في قيد الحياة فإنني لا أستسلم للإنجليز وأفهم منذ ثلاثين سنة وهم يحتالون علينا وسأبذل جميع مالي وقوتي، إنني في الثمانين وقد بلغت آخر العمر، فلئن نموت جميعا أولى من أن نكون رعية للكفار، وأفضل شيء وأشرفه ألا نرى ذلك اليوم"(٤١) .

أدى إصرار شيخ البحرين على موقفه المساند للمخططات المصرية في بلاده والخليج العربي عموماً وعدم رغبته بالتحالف مع بريطانيا وتوطيد صلاته معها، بل ورفضه للتهديدات البريطانية الموجهة ضده إلى إدراك حكومة لندن بضرورة الإسراع في إفشال المشروع المصري الهادف للسيطرة على المنطقة لما يلحقه تحقيق ذلك المشروع من أضرار مباشرة على الوجود البريطاني برمته هناك، وظلت تتحين الظروف المناسبة لتحقيق مآربها، وتم لها ذلك على أثر النزاع الذي نشب بين السلطان العثماني ومحمد علي باشا، وتحقيق الدبلوماسية البريطانية نجاحاً في تأليب الدول الكبرى على الوجود المصري ومخططات محمد علي باشا في البحرين وباقي الإمارات العربية إضافة إلى بلاد الشام، والتي أسهمت في اتساع المعارضة الدولية خاصة بعد انتصار الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا على القوات العثمانية في معركة نزيب يوم ٢٤ حزيران ١٨٣٩م وتوغلها صوب العاصمة استنبول بغية احتلالها، مما أدى بدوره إلى قيام تحالف دولي تزعمته الدول الكبرى وهي (بريطانيا – النمسا – روسيا – بروسيا)، استطاع التصدي للمشروع المصري وبالتالي إجبار محمد علي باشا على توقيع معاهدة لندن في ٢٧

تشرين الثاني عام ١٨٤٠م، والتي تضمنت بنوداً لعل أبرزها سحب قواته من شبه الجزيرة العربية والخليج العربي وبلاد الشام، بعد إدراكه بعدم إمكانية بلاده على مواصلة القتال والتي استنزفت مواردها الحروب الكثيرة التي خاضتها الجيوش المصرية في بقاع عديدة لقاء احتفاظ أسرته بحكم وراثي في مصر[٤٢].

من جانب آخر لم تنس الحكومة البريطانية موقف الشيخ عبد الله بن أحمد آل خليفة الرافض للتعاون معها وضلوعه بالمخططات المصرية الرامية إلى جعل الخليج العربي منطقة نفوذ تابعة لمحمد علي باشا، لذلك اجتمعت اللجنة السرية لمديري شركة الهند الشرقية وتدارست موضوع عزل شيخ البحرين عن الحكم في بلاده . ومن ثم أخذت الدوائر البريطانية تدبر الدسائس وتشجع على إثارة الاضطرابات والفتن ضد حكم الشيخ، إذ تعرضت البحرين ومنذ عام ١٨٤٠م إلى موجة من أعمال الفتن وانتشار حالة من عدم الاستقرار لم تهدأ إلا بعد عزل الشيخ عبد الله عن السلطة عام ١٨٤٣م، وأعقب ذلك أن أفسحت السلطات البريطانية في الخليج العربي المجال أمام منافسه الشيخ محمد بن خليفة للاستيلاء على السلطة بعد طرد الشيخ السابق من البحرين عقاباً له على رفضه التحالف مع بريطانيا[٤٣].

يتضح لنا من خلال العرض السابق كيف أسهمت بريطانيا وبعد عقدها لتحالفات مع دول أوروبية أخرى في الحيلولة دون تحقيق محمد علي باشا لمشروعه الهادف إلى إقامة دولة عربية موحدة تكون تحت زعامته، فمن جانب كانت تعمل وبلا هوادة على إضعاف الوجود

المصري الذي استمر لسنوات كثيرة في بلاد الشام بعد نجاحها في توثيق صلاتها بالدولة العثمانية، ومن الجانب الآخر تحركت الحكومة البريطانية صوب منطقة الجزيرة العربية والخليج العربي لتحقيق أهدافها الاستراتيجية الرامية إلى جعلها الدولة الوحيدة المسيطرة على تلك المشيخات وقد تم لها ذلك بالفعل في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الذي شهد تحول الخليج العربي إلى بحيرة بريطانية(٤٤)، في أعقاب سقوط رأس الخيمة معقل القواسم عام ١٨١٩ إثر الهجوم البريطاني على مدن وموانئ القواسم مما أفسح المجال لبريطانيا لكي تنفرد وحدها في إدارة شئون المنطقة. وشجعها ذلك الانتصار على فرض معاهدة ١٨٢٠م على الشيوخ العرب ومنهم شيخ البحرين وما تبعها من اتفاقيات كثيرة ضمنت بها مصالحها المتنامية. ثم جاءت حقبة الثلاثينيات من القرن التاسع عشر لتؤشر وبوضوح رسوخ الأهداف البريطانية وتزايد اهتمام حكومة بومباي بالبحرين بعد تمكن القوات المصرية بقيادة خورشيد باشا من احتلال الأحساء والقطيف وباتجاه السيطرة على البحرين عام ١٨٣٨م، وتجسد رد فعلها في سعيها لمنع تغلغل أي نفوذ أجنبي يعمل على تهديد وجودها في الخليج العربي والجزيرة العربية، لأن الحملة المصرية أدت إلى تعرض بريطانيا لهزة عنيفة كادت أن تلحق أضراراً مباشرة بمصالحها السياسية والتجارية والعسكرية في عموم المنطقة، فلجأت إلى التلويح باستخدام القوة العسكرية لوقف الزحف المصري والمقترن بنشاط سياسي، إذ شهد عام ١٨٤٠م توقيع محمد علي باشا على معاهدة لندن التي أرغمته على سحب جنوده من المنطقة واحتفاظه بحكم وراثي داخل مصر(٤٥).

وعلى أية حال سارت بريطانيا قدماً في مخططاتها الرامية إلى إحكام قبضتها على البحرين تحت ذرائع وحجج متعددة، فتارة باسم محاربة ما أطلقت عليه (القرصنة) وتوفير الأمن بالمنطقة، وتارة أخرى ما روجته لمحاربة ما أسمته (تجارة الرقيق)، في ذات الوقت الذي ظلت فيه السلطات البريطانية عاقدة العزم على إزاحة أي قوة منافسة لها على الصعيد الدولي أو الإقليمي . وهذا ما حصل، فقد نجحت في إبعاد الدول الأوروبية الأخرى المنافسة لها عن المنطقة، فيما واصلت تصديها للمحاولات السعودية الهادفة لمد نفوذها صوب سواحل الخليج العربي ووقوفها بصلابة ضد الجهود السياسية والعسكرية التي بذلتها الدولة العثمانية وكان أبرزها حملة الأحساء عام ١٨٧١م التي أريد بها معاودة السيادة العثمانية على البحرين وقطر . إلى جانب الأطماع والادعاءات الأخرى، واستطاعت بالتالي منع تلك القوى من الاستحواذ على البحرين .

الدكتور صبري فالح الحمدي

الهوامش

١ — د. بدر الدين عباس الحضرمي، الخليج العربي والمطامع الاستعمارية، مجلة كلية الآداب والتربية، العدد ٣ و٤، حزيران (يونيو) ١٩٧٣م/جمادى الأولى ١٣٩٣هـ، ص.ص٢٤١–٢٤٢ .

٢ — نقلاً عن ج. ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، جـ٣، ترجمة ديوان أمير قطر، الدوحة ١٩٧٥، ص.ص١٢٦٩–١٢٧٠ .

٣ — قدري قلعجي، الخليج العربي، بيروت، دار الكاتب العربي، ١٩٦٥، ص٤١٤ .

٤ — د. صلاح العقاد، الاستعمار في الخليج، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ص٧١ .

٥ — الروبية : عملة هندية كانت تساوي شلن و٦ بنسات .

٦ — د. سيد نوفل، الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة، الكتاب الأول، القاهرة، ١٩٦٠، ص٥٠ .

٧ — أنظر أرنولدت، ويلسون، الخليج العربي، نقله إلى العربية د. عبد القادر يوسف، الكويت، مكتبة الأمل، ص٣٩٦ .

٨ — Thomas, Haghes, ed ; Selections From the Records Bombay Government, Historical and Other Information Connected with the province of Oman, Muscat, Bahrain, and other places in the Persian [Arabian Gulf] (New Series, No. XXIV) Bombay, 1850, P. 368.

٩ — حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، القاهرة ١٩٦١، ص١٠٣ .

١٠ — محمود بهجت سنان، البحرين درة الخليج العربي، بغداد، ص١٠٩ .

١١ — جمال زكريا قاسم، الخليج العربي — دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوروبي الأول (١٥٠٧ — ١٨٤٠م)، القاهرة ١٩٨٥، ص٤٣٣ .

١٢ — أنظر لوريمر، المصدر السابق، ص١٢٧٨ .

١٣ — قاسم، دولة بوسعيد في عمان وشرق أفريقيا (١٧٤١ — ١٨٦٠)، القاهرة، ١٩٦٧م، ص١٧٧ .

١٤ — د. رأفت غنيمي الشيخ، ارتباط النشاط المصري في الخليج بالنشاط المصري في الحجاز ونجد، بحوث لجنة تدوين تاريخ قطر، جـ٢، اتحاد المؤرخين العرب، الدوحة (٢١ — ٢٨ مارس (آذار) ١٩٧٦، ص٨٧١ .

١٥ – نقلاً عن د. فؤاد سعيد العابد، سياسة بريطانيا في الخليج العربي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، الكويت، ١٩٨١، ص.ص٨٠–٨١ .

١٦ – لمزيد من التفاصيل عن المعاهدة أنظر : J. Hurewits ; Diplomacy in The Near and Middle East, Vol. I, pp. 88-90.

١٧ – لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة د. عفيفة البستاني، بيروت، ١٩٨٠، ص١١١ .

١٨ – عبد الفتاح إبراهيم، على طريق الهند، بغداد، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م، ص٣٨٠ .

١٩ – أنظر : قاسم، الخليج، ص.ص٤٣٨–٤٣٩ و ص٤٤٨ .

٢٠ – الخصوصي، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، جـ ٢، الكويت، ص٩٢ .

٢١ – إبراهيم خلف العبيدي، الحركة الوطنية في البحرين ١٩١٤ – ١٩٧١، بغداد ١٩٧٦، ص٣٥ ؛ العقاد، المصدر السابق، ص١٠٣ .

٢٢ – أنظر قاسم، الخليج، ص.ص٣٧٧–٣٧٨ .

٢٣ – لوريمر، المصدر السابق، ص.ص١٢٨٦–١٢٨٧ .

٢٤ – العبيدي، المصدر السابق، ص٣٥ .

٢٥ – العقاد، المصدر السابق، ص٩٦ .

٢٦ – د. محمود على الداود، الخليج العربي والعمل العربي المشترك، بغداد، ١٩٨٠، ص.ص ٣٥–٣٦ .

٢٧ – لوريمر، المصدر السابق، ص١٢٩ .

٢٨ – قاسم، الخليج، ص.ص٤٢٦–٤٢٧ .

٢٩ – أنظر : العقاد، المصدر السابق، ص١٢٣ .

٣٠ – أنظر : د. محمد مرسي عبد الله، وثائق القلعة – محمد علي في الجزيرة العربية وعلاقاته بالخليج العربي ١٨٠٧ – ١٨٤٢، مجلة الوثيقة، العدد ١٦، السنة ٨، جمادى الثانية ١٤١٠هـ/يناير ١٩٩٠م، ص١٦ .

٣١ – Fereydaun, Adamiyat ; Bahrain Islands, Algal Diplomatic Study of the British-Iranian controversy, New York, 1935, P. 125.

٣٢ – العقاد، المصدر السابق، ص.ص١٠٨–١٠٩ .

٣٣ – Haskins ; Back Ground of the British position in Arabia, Vol. I, London, PP. 138-143.

٣٤ — د. إبراهيم خليل أحمد، موقع البحرين في محاولات محمد علي باشا لتأسيس دولة عربية موحدة، مجلة الوثيقة، العدد ٢٤، السنة ٢، ربيع الآخر ١٤٠٤هـ/يناير ١٩٨٤م، ص١٥٣ ؛ قاسم، خليج، ص.ص٤٦٢-٤٦٣ .

٣٥ — فالح حنظل، المفصل في تاريخ الإمارات العربية المتحدة، جـ٢، لجنة التراث والتاريخ، ١٩٨٢، ص٤٩٨ .

٣٦ — د. عبد الرحيم عبد الرحمن، دور البصرة في أحداث نجد وشرقي الجزيرة العربية في عهد محمد علي — ١٨١٩ — ١٨٤٠ من خلال الوثائق العثمانية، مجلة حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد ٤، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص.ص٦٧-٦٨ ؛ قاسم، الخليج، ص٤٦٥ .

٣٧ — أنظر قاسم، دولة، ص١٨١ ؛ لوريمر، المصدر السابق، ص.ص ١٣٠٣-١٣٠٧ .

٣٨ — فؤاد العابد، المصدر السابق، ص١٣٣ .

٣٩ — قاسم، دولة، ص.ص١٨٠-١٨١ .

٤٠ — فؤاد العابد، المصدر السابق، ص١٣٣ .

٤١ — نقلاً عن أحمد، المصدر السابق، ص.ص١٥٦-١٥٧ .

٤٢ — لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة د. عفيفة البستاني، بيروت ١٩٨٠، ص.ص ١٤١-١٤٣ .

٤٣ — غنيمي، التوجه العثماني نحـو الخليج العربي من خلال محمد علي، مجلة الوثيقة، العدد ١٦، السنة ٨ جمادى الثانية ١٤١٠هـ/يناير ١٩٩٠م، ص٧٤ .

٤٤ — الداود، محاضرات عن الخليج العربي والعلاقات الدولية ١٨٩٠ — ١٩١٤، القاهرة ١٩٦١، ص١٨ .

٤٥ — محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص٢٤١ .

المصادر والمراجع

الكتب العربية

- إبراهيم، عبد الفتاح، على طريق الهند – بغداد ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م .
- بك، محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .
- حنظل، فالح، المفصل في تاريخ الإمارات العربية المتحدة، جـ ٢، لجنة التراث والتاريخ، ١٩٨٢ .
- الخصوصي، د. بدر الدين عباس، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، جـ ٢، الكويت .
- الداود، محمود علي، الخليج العربي والعمل العربي المشترك، بغداد ١٩٨٠ .
- الداود، محمود علي، محاضرات عن الخليج العربي والعلاقات الدولية ١٩٨٠ – ١٩١٤، القاهرة، ١٩٦١ .
- سنان، محمود بهجت، البحرين درة الخليج العربي، بغداد .
- الشيخ، د. رأفت غنيمي، ارتباط النشاط المصري في الخليج بالنشاط المصري في الحجاز ونجد، بحوث لجنة تدوين تاريخ قطر، جـ ٢، اتحاد المؤرخين العرب، الدوحة (٢١ – ٢٨ مارس ١٩٧٦) .
- العابد، د. فؤاد سعيد، سياسة بريطانيا في الخليج العربي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، الكويت، ١٩٨١ .
- العبيدي، إبراهيم خلف، الحركة الوطنية في البحرين ١٩١٤ – ١٩٧١، بغداد، ١٩٧٦ .
- العقاد، صلاح، الاستعمار في الخليج، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.
- قاسم، د. جمال زكريا، الخليج العربي – دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوروبي الأول ١٥٠٧ – ١٨٤٠، القاهرة، ١٩٨٥ .
- قلعجي، قدري، الخليج العربي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٥ .
- لوريمر، ج. ج، دليل الخليج، القسم التاريخي، جـ ٣، ترجمة ديوان أمير قطر، الدوحة ١٩٧٥ .
- لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة د. عفيفة البستاني، بيروت ١٩٨٠ .
- نوفل، د. سيد نوفل، الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية، الكتاب الأول، القاهرة ١٩٦٠ .

- وهبة، حافظ، جزيرة العرب في القرن العشرين، القاهرة ١٩٦١ .
- ويلسون، أرنولدت، الخليج العربي، نقله إلى العربية د. عبد القادر يوسف، الكويت، مكتبة الأمل .

الكتب الأجنبية

- Adamiyat, Fereydaun ; Bahrain Islands, Alegal Diplomatic Studu of British Iranian Controversy, New York, 1935.
- Haghes, Thomas, ed ; Selections from the Records Bombay Government, Historical an Other Infor mation Connected with the province of Oman, Muscat, Bahrain< and Other places in the Persian [Arabian Gulf] (New Series, No. XXIV) Bombay, 1850.
- Haskins ; Back Ground of the British Position in Arabia, Vol. I, London.
- Hurewits, J. ; Diplomacy in the Near and Middle East, Vol. I

الدوريات

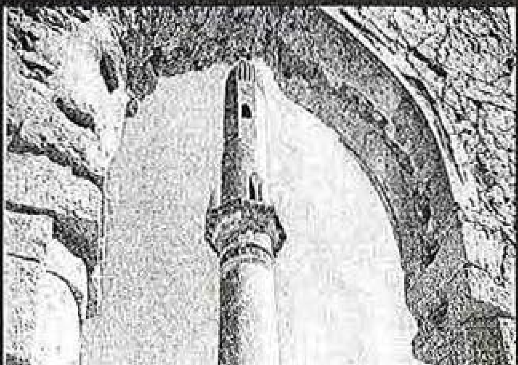
- أحمد، د. إبراهيم خليل، موقع البحرين في محاولات محمد علي باشا تأسيس دولة عربية موحدة، مجلة الوثيقة، العدد ٢٤و السنة ١٢، ربيع الآخر ١٤٠٤هـ/يناير ١٩٨٤م .
- الخصوصي، د. بدر الدين عباس، الخليج العربي والمطامع الاستعمارية ، مجلة كلية الآداب والتربية، العدد ٣ و ٤، حزيران (يونيو) ١٩٧٣م/جمادى الأولى ١٣٩٣هـ، كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٣م/ ذو القعدة ١٣٩٣هـ .
- الشيخ، د. رأفت غنيمي، التوجه العثماني نحو الخليج العربي من خلال محمد علي، مجلة الوثيقة، العدد ١٦، السنة ٨، جمادى الثانية ١٤١٠هـ/يناير ١٩٩٠م .
- عبد الرحمن، د. عبد الرحيم، دور البصرة في أحداث نجد وشرقي الجزيرة العربية في عهد محمد علي ١٨١٩ – ١٨٤٠ من خلال الوثائق العثمانية، مجلة حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد ٤، ١٤٠٠هـ/١٩٨١م .
- عبد الله، د. محمد مرسي، وثائق القلعة – محمد علي في الجزيرة العربية وعلاقاتها بالخليج العربي ١٨٠٧ – ١٨٤٢، مجلة الوثيقة، العدد ١٦، السنة ٨، جمادى الثانية ١٤١٠هـ/يناير ١٩٩٠م .

تحقيق بعض ما ورد في التحفة

الجزء الثالث



بقلم : الدكتور علي أباحسين





النبهانية عن تاريخ البحرين

عرضنا في العدد السابق من الوثيقة، الجزء الثاني من هذه الدراسة وهي حول تحقيق الدكتور علي أباحسين لكتاب التحفة النبهانية وهو الكتاب الأساس والمرجع العام عن تاريخ البحرين . وقد تناول الجزء الثاني شرحاً هاماً لمدن وقرى البحرين ومن سكنها . ويتناول هذا الجزء الثالث والأخير من هذه الدراسة الأبواب الثلاثة من كتاب النبهاني ويشرح بتسلسل تاريخي كل من تأمر على البحرين من بعد الهجرة النبوية الشريفة إلى أن آلت إلى آل خليفة في بداية فبراير سنة ١٧٨٣م والله ولي التوفيق

الوثيقة



الباب الأول

في ذكر من تأمَّر على البحرين

(من بعد الهجرة النبوية إلى أن آلت إلى آل خليفة)

أعلم أنه تداول مُلك البحرين ملوك وأمم كثيرة، وأقرب من بلغنا أخبارهم من ملوكها قبل الإسلام هم الفرس[1] . وقد كان بها خلق كثير من عبد القيس وبكر بن وائل . وفي باديتها تميم مقيمون . وكان بها من قبل الفرس (المنذر بن ساوى بن عبد الله بن زيد[2] بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم) وعبد الله بن زيد المذكور وهو (الاسبذي) نسبة إلى قرية بهجر، فلما كانت سنة ثمان من الهجرة[3] وجه رسول الله ﷺ (العلاء) - واسمه عبد الله بن عماد بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن أكبر بن عوف بن مالك بن الخزرج بن أياد بن الصدف الحضرمي وكان جده سكن مكة المشرفة وحالف بنى عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي - وجهه إلى البحرين ليدعو أهلها إلى الإسلام أو إلى الجزية وكتب معه إلى المنذر بن ساوى وإلى سيبخت (مرزبان هجر)، يدعوهما إلى الإسلام أو إلى الجزية، فأسلما وأسلم معهما جميع العرب حتى أهل جزيرة أوال وأسلم أيضا بعض الأعجام . فأما أهل الأرض من المجوس واليهود والنصارى فإنهم صالحوا العلاء ابن الحضرمي وكتب بينهم وبينه كتابا هــذه صورته (بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما صالح عليه العلاء بن الحضرمي أهل البحرين صالحهم على أن يكفوا العمل ويقاسمونا الثمر فمن لا يفي بهذا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)[4] وأما جزية الرؤوس فإنه آخذ لها من كل حالم دينارا . وقيل أن رسول الله ﷺ وجه العلاء حين وجه رسله إلى الملوك سنة ست من الهجرة .

وروى عن العلاء أنه قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى البحرين أو قال هجر وكنت آتى (الحائط بين الأخوة) قد أسلم بعضهم فآخذ من المسلم العشر ومن المشرك الخراج . وقال قتادة : لم يكن بالبحرين قتال ولكن بعضهم أسلم وبعضهم صالح العلاء على أنصاف الحب والتمر . وقال سعيد بن المسيب : أخذ رسول الله ﷺ الجزية من مجوس هجر وأخذها عمر من مجوس فارس وأخذها عثمان من بربر .

وبعث العلاء إلى رسول الله ﷺ مالاً من البحرين قدره ٨٠ ألفا ما أتاه أكثر منه قبله ولا بعده وأعطى منه العباس عمه قالوا : وعزل رسول الله ﷺ (العلاء) وولى على البحرين (إبان بن سعيد بن العاص بن أمية) . وقيل أن العلاء كان على ناحية من البحرين منها القطيف . وإبان على ناحية فيها الخط والأول أثبت ثم مات (المنذر بن ساوه) بعد وفاة النبي ﷺ بقليل وارتد من بالبحرين من ولد قيس بن ثعلبة بن عكابة مع الحكم وهو شريح بن ضبيعة بن عمرو بن مرثد، أحد بنى قيس ابن ثعلبة وارتد كل من بالبحرين من ربيعة حتى أهل (جزيرة البحرين) ماخلا الجارود بن بشر بن عمرو بن المعلي واسمه حنش فإنه رد قومه إلى الإسلام (وهو الذي أسلم ووفد على النبي ﷺ فلما رجع الى قومه دعاهم إلى الإسلام فأسلموا) فلما توفى النبي ﷺ ارتدوا وقالوا لو كان نبيا ما مات فقال لهم الجارود تعلمون أن لله أنبياء من قبله ولم تروهم وتعلمون أنهم ماتوا ومحمد ﷺ قد مات وأنا أشهد أن لا إله إلا الله[٥] . فأسلموا وثبتوا على إسلامهم وأمّروا عليهم (المنذر بن النعمان) ابن المنذر المغرور . واجتمعت ربيعة بالبحرين على الردة إلا الجارود ومن تبعه وخرج (الحطم ابن ضبيعة) أخو بنى ثعلبة في بكر بن وائل فاجتمع إليه كثير من المرتدين وكثير ممن لم يزل مشركا حتى نزل القطيف وهجر واستغوى من بهما وبعث بعثا إلى (دارين) وإلى (جواثا) فحصروا المسلمين واشتد الحصر على من بهما وتقاتلوا معهم قتالاً شديداً . ثم إن المسلمين لجأوا إلى حصن جواثا فحاصرهم فيه عدوهم نحو شهر . وفي ذلك يقول عبد الله بن حدف

بن عبد الله بن عوف بن شداد بن ربيعة بن عبد الله ابن بكر بن كلاب الكلابي :

ألا أبلـغ أبـا بـكر الـوكا   وفتيـان المدينة أجـمعين
فهل لك في شباب منك أمسوا   أسارى في جواثا محاصرين
توكلنـا على الرحـمن أنـا   وجدنا النصـر للمتوكلين
وقلنـا قـد رضينا الله ربـا   وبالإسلام دينـا قد رضينا

فبعث أبو بكر ﷺ العلاء بن الحضرمي ﷺ لقتال أهل الردة بالبحرين ومعه جموع من المسلمين فنزل هجر وبعث إلى الجارود أن ينازل بعبد القيس (الحطم بن ضبيعة) . وخندق العلاء والمسلمون على أنفسهم وقاتلوا المرتدين وكانوا يتراجعون القتال ويرجعون إلى خندقهم فكانوا كذلك شهرا فسمعوا في بعض الليالى ضوضأة شديدة في المشركين فبعثوا من يأتيهم بالخبر فجاءهم بأن القوم سكارى فبيتوهم ووضعوا السيوف فيهم حتى قتلوا (الحطم) وفر القوم هربا واقتحموا الخندق فمن بين مترد[٦] وناج ومقتول ومأسور وأبادوا القوم وكفى الله شرهم وقسموا الغنائم . وكان الجارود في أيام الحصار والقتال أسره قوم من بكر بن وائل فكتب إلى المسلمين أن هؤلاء القوم الذين أنا في أسرهم ضباع بالليل أسود بالنهار . فقال العلاء من يدلنا عليهم فقال عبد الله بن حـذف الكلابي أنا، فلما اقترب منهم أخذوه فصاح وكانت أمه عجلية فصاح يا أبجراه فقال الأبجر من أنت قال ابن أمتك عبد الله حذف، قال خلوه ويحك مالك قال خرجت من الجهد فأطعموني شيئا فأطعمه وقال إني لا أحسب أنك جيش ابن أخت القوم الليلة لأخوالك . ثم أقبلوا على شرابهم وغفلوا عنه فهرب إلى العلاء، فبيتهم العلاء فكانت هزيمتهم . قالوا وكان المنذر بن النعمان يسمى الغرور فلما ظهر المسلمون قال لست بالغَرور ولكنى المغرور ولحق هو . وفل

ربيعة بالخط فاتاها العلاء وفتحها وقتل المنذر معهم وقيل بل قتل المنذر (يوم جواثا) وقيل بل أستأمن ثم هرب فلحق فقتل[٧] وكان العلاء قد كتب إلى أبى بكر يستمده فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة يأمره بالنهوض إليه فقدم عليه وقد قتل الحكم سنة ١١هـ ثم أتاه كتاب أبى بكر بالشخوص إلى العراق فشخص من البحرين سنة ١٢هـ ثم لما قتل الحطم مع قومه وهم سكارى وانتصر المسلمون ندب العلاء الناس إلى دارين (صوابه إلى جزيرة البحرين كما سيأتي) وقال لهم قد أراكم الله من آياته في البر لتعتبروا بها في البحر فانهضوا إلى عدوكم واستعرضوا البحر . وارتحل وارتحلوا وكان بينهم وبين محل عدوهم البحر فاقتحموه على الخيل والإبل والحمير وفيهم الراجل ودعا ودعوا وكان من دعائهم يا أرحم الراحمين يا كريم يا حليم يا أحد يا صمد يا حي يا محيى الموتى يا حي يا قيوم، لا إله إلا أنت يا ربنا . فاجتازوا ذلك الخليج بإذن الله يمشون على مثل رمل فوقها ما يغمر أخفاف الإبل وبين الساحل ودارين يوم وليلة (صوابه بين الساحل وجزيرة البحرين كما ستراه)[٨] .

التقوا مع عدوهم واقتتلوا قتالا شديدا فظفر المسلمون وانهزم المشركون وأكثر المسلمون فيهم القتل فما تركوا بها مخبرا . وغنموا وسبوا فلما فرغوا رجعوا حتى عبروا كما جاءوا وضرب الإسلام بجرانه فيها . وكتب العلاء إلى أبى بكر ﷺ يعرفه هزيمة المرتدين وقتل الحطم . ولما قسمت الغنيمة كان للفارس ستة آلاف وللراجل ألفان . وكان مع المسلمين راهب من أهل هجر فأسلم فقيل له ما حملك على الإسلام قال ثلاثة أشياء : خشيت أن يمسخني الله بعدها فيض في الرمال، وتمهيد ثبج البحر، ودعاء سمعته في عسكرهم في الهواء سحرا (اللهم أنت الرحمن الرحيم، لا إله غيرك البديع فليس قبلك شئ والدائم غير الغافل الحي الذي لا يموت وخالق ما يرى وما لا يرى وكل يوم أنت في شأن علمت كل شئ بغير معلم) فعلمت أن القوم لم يعانوا بالملائكة

إلا وهم على حق، فكان أصحاب النبي ﷺ، يسمعون هذا منه بعد . والعلاء بن الحضرمي صحابي مشهور بالكرامة التامة وكان مجاب الدعوة وكان له في هذه الغزوة آثار محمودةٌ وكرامات كثيرة منها أنهم سلكوا مغازة[٩] وعطشوا عطشا شديدا حتى خافوا الهلاك فنزل العلاء وصلى ركعتين ثم قال يا حليم يا عليم يا على يا عظيم اسقنا فجاءت سحابة كأنها جناح طائر فقعقعت عليهم وأمطرت حتى ملأوا الآنية وسقوا الركاب قال الراوي ثم انطلقنا حتى أتينا على خليج من البحر ما خيض فيه قبل ذلك، فلم نجد سفنا وكان المرتدون قد أحرقوا السفن، فصلى العلاء ركعتين ثم قال يا حليم يا عليم يا على يا عظيم اجزنا . ثم أخذ بعنان فرسه ثم قال جوزوا بسم الله . قال أبو هريرة وكان مع القوم فمشينا على الماء فو الله ما ابتل لنا قدم ولا خف ولا حافر وكان الجيش أربعة آلاف : وقال إبراهيم بن أبي حبيبة حبس لهم البحر حتى خاضوا إليهم وجازه العلاء وأصحابه مشيا على أرجلهم وكانت تجرى فيه السفن من قبل . وفي ذلك يقول عفيف بن المنذر :

ألم تـر أن الله ذلل بحـــره وأنزل بالكفار إحـدى الجلائل

دعونا الذي شق البحار فجاءنا بأعجب من فلق البحار الأوائل

والذي يستنتج من الروايات أن التي عبروا إليها هي (جزيرة البحرين) لا دارين لأن دخول الجزيرة هو الذى يحتاجون فيه إلى السفن لأن بين جزيرة البحرين وبين الساحل الذى كانت الصحابة فيه نحو مسيرة يوم وليلة للراجل لو أمكن المشي . وأما بين دارين والساحل فنحو ساعة ونصف للراجل ولا يحتاج فيه إلى خوض لأن البحر إذا جزر ظهرت الأرض وأمكن الوصول إليها ببرزخ متصل بينهما بدون خوض لاسيما والمد والجزر يتكرران مرتين في اليوم والليلة كما هو معلوم عند الجميع، لاسيما وأن مع الجيش جملة من أهل دارين وهم أدرى بطرق ديارهم فلو كان العبور إلى دارين لتريثوا إلى حين الجزر

وانحسار الماء عن الأرض، ولما احتاجوا لمشقة العبور . ولما كان لصلاة العلاء ودعائه كبير فائدة للمضايقة وأهل البلدة معه . فيترجح أنهم خاضوا البحر إلى جزيرة البحرين . وأن في ذلك الكرامة التامة لاسيما والعلاء مجاب الدعوة ومشهور بها فيكون دخولهم دارين بعد ذلك جمعا بين الروايتين . وقد ذكر أهل السير أن العلاء فتح (السابور ودارين) في خلافة عمر عنوة بالسيف وهذا مما يؤكد أن المقصود بخوض البحر هو العبور إلى جزيرة البحرين . وأيضا فقد قال صاحب القاموس وصاحب تاج العروس وابن حجر في الإصابة أن العلاء خاض البحر بكلمات قالها . وأيضا مما يؤكد ذلك قول الراهب الذى أسلم أنه لم يسلم إلا لأمور ثلاثة ثانيها هو خوض البحر وكان خليجا ومحال خوضه بدون كرامة فلما رأى أن الصحابة قد خاضوه عرف أنهم على الحق وأسلم والراهب هو من أهل هجر وهو يعلم علم يقين بأن هذا البحر متعذر خوضه وهو أدرى بوطنه . وأيضا فقول الصحابة أتينا على خليج ما خيض فيه قبل فهذا أرجح للتأكيد لأن دارين شبه جزيرة والناس ذاهبون وآتون بين الساحل ودارين ليلا ونهارا والأشغال متصلة بين الجانبين فكل هذه الدلائل ترجح أن الخوض هو إلى جزيرة البحرين . ولأن أكثر الرواة لم يعينوا القصد إلى دارين بل يقولوا أتينا على خليج من البحر ما خيض فيه قبل فاقتحمه العلاء وأصحابه بكلمات قالها . (وذكر ياقوت في معجمه أن هذه صفة أوال أشهر مدن البحرين اليوم ولعل اسمها (أوال ودارين) فقول ياقوت هذا هو استشهاد لما حققناه وترجيح لما قلناه بأن الخوض هو إلى جزيرة البحرين والله أعلم .

وبعد هذه الوقائع تحصن المكعبر الفارسي صاحب كسرى الذي وجهه لقتال بني تميم حين عرضوا لعيره (بالزارة)[١٠] فلم يقدر عليهم وانضم إليه مجوس كانوا تجمعوا بالقطيف وامتنعوا من أداء الجزية فأقام العلاء على الزارة فلم يفتحها في خلافة أبي بكر ﷺ وفتحها في خلافة عمر ﷺ . وقتل (المكعبر) وسمي المكعبر لأنه كان يكعبر الأيدي فلما قتل قيل مازال يكعبر حتى كعبر

فسمي المكعبر وكان الذي قتله (البراء بن مالك الأنصاري) أخو أنس بن مالك . وفتح العلاء السابور ودارين في خلافة عمر عنوة بالسيف وكان لما توفى رسول الله ﷺ أخرج إبان بن سعيد بن العاص من البحرين فأتى المدينة المنورة . فبعد محاربة أهل الردة طلب أهل البحرين من أبى بكر أن يرد العلاء عليهم ففعل فيقال أن العلاء ظل واليا عليهم إلى أن توفى سنة ٢١هـ فولى عمر مكانه (أبا هريرة الدوسي) . ويقال أن عمر ولى أبا هريرة قبل موت العلاء، فأتى العلاء (توج) من أرض فارس وعزم على المقام بها ثم رجع إلى البحرين فأقام هناك حتى توفى، فكان أبو هريرة يقول دفنا العلاء ثم احتجنا إلى رفع لبنة فرفعناها، فلم نجد العلاء في اللحد . وقال أبو مخنف : كتب عمر بن الخطاب إلى العلاء بن الحضرمي يستقدمه وولى (عثمان بن أبي العاص) البحرين مكانه وعمان فلما قدم العلاء المدينة ولاه البصرة مكان عتبة بن غزوان فلم يصل إليها حتى مات ودفن في طريق البصرة على ساحل البحر وهو في موضع يقال له اليوم (العدان) وقبره مشهور ومعروف في لسان العوام (أبو على) اسم للقبر واسم للبقعة كلها وهو في طريق الذاهبين إلى الكويت[١١] . ثم إن عمر ولى قدامة بن مظعون الجمحي جباية البحرين، وولي أبا هريرة الصلاة والأحداث، ثم عزل قدامة وحده على شرب الخمر . وولى أبا هريرة الجباية مع الأحداث، ثم عزله وقاسمه ماله، ثم ولى عثمان بن أبى العاص (عمان والبحرين) فمات عمر بن الخطاب ﷺ لأربع بقين من ذي الحجة سنة ٢٣هـ . وعثمان بن أبى العاص واليهما : وسار عثمان إلى فارس ففتحها، وكان خليفة على عمان والبحرين وهو بفارس أخوه المغيرة بن أبى العاص .

وروى (محمد بن سيرين) عن أبى هريرة قال استعملني عمر على البحرين فاجتمعت لي ١٢ ألفاً فلما قدمت على عمر قال لي يا عدو الله والمسلمين أو قال عدو كتابه سرقت مال الله قال قلت لست بعدو الله ولا المسلمين، أو قال لكتابه . ولكنى عدو من عاداهما قال فمن أين اجتمعت لك هذه الأموال قلت

خيل لي تناتجت وسهام اجتمعت قال فخذ مني ١٢ ألفا فلما صليت الغداة قلت اللهم اغفر لعمر، قال : وكان عمر يأخذ من الصحابة ويعطيهم أفضل من ذلك حتى إذا كان بعد ذلك قال عمر : ألا تعمل يا أبـا هريـرة ؟ قلت لا، قال : ولم، وقد عمل من هو خير منك ؟ يوسف (قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) . قلت يوسف نبي ابن نبي وأنا أبو هريرة ابن أميمة وأخاف منكم ثلاثـا واثنتين . فقال عمر هلا قلت خمسا قلت أخشى أن تضربوا ظهري وتشتموا عرضي وتأخذوا مالي وأكره أن أقول بغير علم وأحكم بغير حلم[١٢] .

ولاة البحرين في زمن الدولة الأموية

ولم تزل جزيرة البحرين تابعة للخلفاء الراشدين ثم من بعدهم لبنى أمية . وكان في سنة ٤٥هـ جعل معاوية على (البصرة) زياد بن أبيه وجمع له (خراسان وسجستان) ثم جمع له (السند والبحرين وعمان) .

وظلت البحرين خاضعة لعمال الأمويين إلى زمن عبد الملك بن مروان حيث جاءها أبو فديك الخارجي[١٣] سنة ٧٢هـ واحتلها غلبة وانتزعها من عمال بنى أمية . فأرسل عبد الملك بن مروان جنودا كثيرة نحوها وتقاتلوا مع البغاة حتى قتلوا (أبافديك) وقتلوا من قومه نحو ٦٠٠٠ وأسروا نحو ٨٠٠ رجل وصفت جزيرة البحرين لبنى أمية وذلك سنة ٧٣هـ وفي زمن خلافة عمر بن عبد العزيز أمر ببناء المسجد ذى المنارتين الذي في (سوق الخميس)، المشهور اليوم (بالمشهد)، وأمر أيضا ببناء عدة مساجد أُخر في خليج البصرة وأعجبها المسجد الذي في (أبى شهر) فإنه في غاية المتانة والإحكام، وهو باق إلى اليوم .

الأمراء على البحرين

وفي سنة ١٠٥هـ كان على البحرين الأشعث بن عبد الله الجارود من قبل

بني أمية . فخرج عليه مسعود بن أبي زبيبة ففارقها الأشعث ثم أخذت من مسعود المذكور . وقيل بل نصب الأشعث عليها واليا من قبله . وكانت الإمارة له فيها نحو ١٩ سنة . ثم خرج عليه سفيان بن عمرو العقيلي وقاتله حتى قتل مسعودا . وتغلب على البلدة سفيان المذكور . ثم بعد مدة تغلب على البحرين سليمان بن حكيم العبدي واستولى عليها إلى سنة ١٥١هـ حيث انتزعت منه كما سيأتي .

استيلاء بني العباس على البحرين

وفي سنة ١٥١هـ جهز أبو جعفر المنصور على جزيرة البحرين جيشا عظيما تحت قيادة عقبة بن سليم فسار بهم نحوها وتواقع مع سليمان بن حكيم العبدي[١٤] حتى قتله . واحتل عقبة البلدة واستولى على خزائن الجزيرة . وأرسل الأسرى إلى بغداد (دار الخلافة) وعين على البحرين أميراً من قبل العباسيين وظلت جزيرة البحرين تحت تصرف بني العباس يتعاقب عليها ولاتهم إلى سنة ٣٤٩هـ حيث هاجمها صاحب الزنج .

تملك صاحب الزنج للبحرين

ظهر صاحب الزنج سنة ٢٤٩هـ في (سُرّ من رأى) المسماة اليوم (سامراء) ثم سار نحو الأحساء وأظهر أهلها له الطاعة وانضم إليه خلق كثير فأرسل عماله إلى جزيرة البحرين وجبى الخراج منها له وظلت تحت سيطرته إلى أن أهلكه الله سنة ٢٧٠هـ كما بينا قصته في (تاريخ الأحساء) فرجعت البحرين إلى بني العباس وبقيت تحت حكمهم إلى زمن المكتفى حيث ظهرت القرامطة[١٥] .

تملك القرامطة على البحرين

وفي سنة ٢٨٦هـ عبرت القرامطة من القطيف إلى جزيرة البحرين

واستباحوها وعاثوا في الأرض بالفساد . وفي ذلك يقول ابن مقرب :

سل القرامط من شظًى جماجمهم فلقاً وغادرهم بعد العلا خدما
من بعد أن جل بالبحرين شأنهم وأرجفوا الشام بالفرات والحرما
ولم تزل خيلهم تغشى سنابكها أرض العراق وتغشى تارة أدما
وحرقوا عبد قيس في منازلهم وصيروا الغر من ساداتها حمما
وأبطلوا الصلوات الخمس وانتهكوا شهر الصيام ونصبوا منهم صنما
وما بنوا مسجداً لله نعرفه بل كلما أدركوه قائماً هدما

وظلت القرامطة عائثة في الأرض إلى أن هلك رئيسهم أبو سعيد الجنابي سنة ٣٠١هـ فضعف أمرهم وجعل يتقلص فيؤهم ومع ذلك فإنهم توجهوا نحو مكة واقتلعوا الحجر الأسود من الكعبة سنة ٣١٧هـ وقصتهم فصلناها في (تاريخ الأحساء) وكان انقراض القرامطة تماما سنة ٣٧١هـ[١٦] .

تغلب أبي البهلول على البحرين[١٧]

ثم استولى على جزيرة البحرين أبو البهلول واسمه العوام بن محمد بن يوسف بن الزجاج[١٨] وسبب تغلبه عليها هو أن القرامطة لما ضعف أمرهم شرعت قبائل العرب تحاربهم من كل جانب، فقام لقتالهم بالأحساء الأمير عبد الله بن علي العيوني . وثار عليهم بالقطيف يحيى بن العياش . ونهض بجزيرة البحرين أبو البهلول لأنه كان ضامنا لخراجها فشق عصى الطاعة فجهزت عليه القرامطة جيشا من عبد القيس تحت قيادة بشر بن مفلح أحد العيونيين وأطمعتهم في استرجاع جزيرة البحرين لهم (أي لعبد القيس) فساروا جميعا إلى موضع يقال له (كسكوس أوال) فبرز لهم أبو البهلول بثبات جاش في جموعه وتواقع معهم حتى كسرهم ودحرهم بعد معركة عنيفة قتل فيها خلق كثير .

ثم أعلن استقلاله بجزيرة البحرين وأمر بأن يخطب فيها له وقوى أمره وظلت تحت يده مدة إلى أن انتزعها منه ابن العياش كما سيأتي .

استيلاء ابن العياش على البحرين

ثم استولى على البحرين ابن العياش . وذلك بأن يحيى بن العياش لما حارب القرامطة وأخرجهم من القطيف واستقل بها أشرأبت نفسه إلى أخذ جزيرة البحرين . ولكن قبل أن يبرز ذلك الفكر إلى حيز الوجود داهمه الموت . فقام من بعده بالحكم ابنه زكريا بن يحيى وجه جيشا عظيما لتنفيذ فكرة والده وساقه نحو جزيرة البحرين . فاحتلوها من أبى البهلول بعد معركة شديدة . وضمت إلى حكم (الخط) وكان لزكريا المذكور وزير من أهل جزيرة البحرين يسمى (العكروت) وهو صاحب رأى وسياسة . وكان يضرب به المثل في الشجاعة والبأس والحيل والدهاء . فطمع ابن العياش في انتزاع الأحساء من العيونيين مغترا بشجاعة وزيره وقائد جموعه المذكور فحشد ابن العياش جموعه وسار بهم نحو الأحساء فبرزت له العيونيون بجنودهم وتقابل الفريقان وجرت بينهما معركة شديدة أسفرت عن انكسار ابن العياش وتقهقره إلى القطيف (قصبة حكمه) فتبعته العيونيون على الأثر فلم يتمكن ابن العياش من الثبات في القطيف بل عبر بجنوده الى جزيرة البحرين . فاحتل العيونيون القطيف ثم عبروا نحوهم وصار هذا الطمع سببا لمحو دولة بنى العياش من القطيف كما سيأتي .

استيلاء العيونيين على البحرين

العيونيون هم عرب من قبائل الأحساء . وأول تأسيس إمارتهم هو أنه لما ضعفت القرامطة وشرعت العرب تحاربهم من كل جانب قام عبد الله بن علي آل ابراهيم العيوني يحارب القرامطة في الأحساء نحو سبع سنين حتى انتزع الدولة منهم وتملك الأحساء وما والاها وجعل يدافع كل من كان يطمع فيها

وكان جيشه في بادئ قوامه نحو ٤٠٠ رجل . وساعده الله بحسن الحظ حتى تغلب على القرامطة بعد معارك شديدة . ودفع من وازرهم من أهل اليمن (كبني عامر بن ربيعة) فإنهم حاولوا سلب الأحساء من العيونيين وتبارزوا فانكسرت بنو عامر بعد معركة شديدة وفروا ناجين بأنفسهم تاركين في ميدان الوغى سلبهم وأموالهم . وفر منهم اثنان من رؤسائهم نحو البصرة وهما (أحمد بن مسعر وأبو فراس) وفي ذلك يقول بن مقرب في ميميته التي قالها في بغداد سنة ٦١٣هـ مفتخرا بمتقدميه من بنى عمه وعشيرته التي مطلعها :

قم فاشدد العيس للترحال معتزماً وارم الفجاج فإن الخطب قد فقما
حتى حمينا على الإسلام وانتدبت منا فوارس تجلو الكرب والظلما
وطالبتنا بنـــو الأعمـام عادتـنـا فلم تـجد بكمـاً فينـا ولا صممـا
فسلم الأمـر أهـل الأمر وانتزحـوا عن سورة الملك لا زهـداً ولا كرما

ثم لما زحف ابن العياش من القطيف نحو الأحساء (كما تقدم) برز له الأمير عبد الله العيوني بجنوده وتقابلا في موضع يقال له (ناضره) وجرت بينهما معركة فاصلة أسفرت عن انكسار ابن العياش وتقهقره نحو قصبة حكمه (القطيف)، فلحقه الأمير عبد الله يقفو أثره، فلم يتمكن ابن العياش من الثبات في القطيف بل غادره، وعبر بجموعه إلى جزيرة البحرين، فاحتل الأمير عبد الله القطيف، ووجه ابنه (الفضل) نحو جزيرة البحرين، فعبر بجموعه نحوها وجرت بينهما معركة حاسمة أسفرت عن قتل (العكروت)، وزير ابن العياش وقائد جيوشه، وفرار ابن العياش إلى (بلدة العقير) بمن بقى من جموعه، وجعل يجمع هناك جموعا أُخر فلما تكاملت قوته سار بها نحو القطيف عله يسترجعه بعد ما فرط منه، فبرز له الأمير عبد الله العيوني هناك ودارت رحى الحرب بينهما فأسفرت عن قتل زكريا بن العياش وتفرق جموعه فانمحت دولة

ابن العياش من الخط، بسبب طمعه وغروره . وإلى ذلك يشير ابن مقرب في الميمية بقوله :

ولم ينج ابن عيـــاش بمهجتــه ... يم إذا ما يراه الناظـر ارتسـمـا
أتى مغيراً فوافى (جـــو) ناظـرة ... فعاين الموت منـا دون ما زعمـا
فراح يطرد طرد الوحش ليس يـرى ... حبل السلامة إلا السـوط والقدما
فانصاع نحو (أوال) يبتغي عصمـا ... إذ لم يجد في نواحي الخط معتصما
فأقحم البحـر منـا خلفــه ملك ... مازال مذ كان للأهـوال مقتحمـا
فحاز ملك أوال بعدمـا ترك العـــكروت بالسيف للبغواء ملتزمـا
وصار ملك ابن عياش وملك أبي البـهلول مع ملكنـا عقـداً لنا نظمـا

ثم تأمر على جزيرة البحرين بعد الفضل أخوه (الأمير علي بن عبد الله) وفي زمنه هجم عليه حاكم جزيرة قيس (أبوكرزاز ابن سعد بن قيصر) بجيوش بحرية ونزل بها في موضع يقال له (ستره) فبرز لقتاله الأمير علي وجرت بينهما معركة شديدة ظفر العيونيون فيها وأسروا أخا حاكم قيس واسمه (نام سار بن سعد)، بعد أن قتل من أهل جزيرة (قيس) (٢٨٠٠) وفر الباقون لسفنهم، وفي ذلك يقول ابن مقرب :

ويوم (سترة)منا كان صاحبه ... لاقت به سامة والحاسك الرقمـا
ألفين غادر منهـم مع مي؛ ... صرعى فكم مرضع من بعده يتما

وعدد الحكام من العيونيين نحو ٢٠ حاكما كانوا يحكمون الأحساء والقطيف وجزيرة البحرين وملحقات كل منها . ومدة ملكهم نحو ٣٠٠ سنة . (ويحكى) أن الأمير أبا سنان بن محمد بن الفضل ابن الأمير عبد الله العيوني لما آل له الملك جاءه عامله بخراج جزيرة البحرين ذات مرة، وكان عنده رجل

شاعر من البصريين يعرف (بالثعلبي) فأعطاه جميع الخراج وكان مبلغا عظيما فلما رأى العامل أن خراج سنة كاملة أخذه شخص واحد دفعة واحدة شهق شهقة فمات غما لساعته . ولذلك يقول ابن مقرب :

منا الذي من نداه مات عامله غماً وأصبح في الأموات مخترما[١٩]

تغلب الزنجيين على البحرين

ثم تولى على جزيرة البحرين أبو بكر بن سعد الزنجي سنة ٦٣٣هـ واعلم أن صاحب الزنج المتقدم ذكره غير هؤلاء . وأما هؤلاء فإنهم مسلمون من أهل السنة والجماعة .

وكيفية تكوين دولتهم هي أنهم بعد انقراض الدولة السلجوقية تجمعوا وسكنوا في جبل (كيلويه) وأصلهم من قبجاق فتجمهروا على أخذ مملكة فارس فهاجموها . وفي سنة ٥٤٣هـ تمكنوا من الاستيلاء على فارس وحكموا أحدهم واسمه (سنقور بن مودود) وهم الطبقة الثالثة من ملوك فارس . وفي سنة ٥٥٨هـ توفى سنقور وتولى بعده أخوه (أتابك بن مودود) الزنجي وفي سنة ٥٧٢هـ توفي أتابك وأخذ بزمام المملكة ابنه (سعد) وفي عام ٦٢٣هـ توفي سعد ورقى سرير المملكة ابنه (أبو بكر بن سعد) وهو الذي وسع مملكة فارس وفي سنة ٦٢٦هـ حارب (جزيرة قيس) وكان بها بنـو قيصر فانتزع الجزيرة منهم . وفي سنة ٦٣٣هـ توجه بجنده نحو (جزيرة البحرين) فاستولى عليها . وفي سنة ٦٤١هـ عبر إلى القطيف فاحتله وزحف بجنده نحو الأحساء فانتزعها من أهلها . وفي سنة ٦٥٩هـ توفى (أبو بكر) المذكور وتولى بعده ابنه (سعد بن أبى بكر بن سعد الزنجي) وفي زمنه تضعضعت مملكته وضعفت دولتهم .

(تنبيه) توجد بجزيرة البحرين مقاطعة كبيرة فيها نخيل تسمى (الزنج) فلعلها منسوبة إلى تلك الدولة[٢٠] .

استيلاء المغول على البحرين

المغول هم الطبقة الرابعة من ملوك فارس . وذلك لما ضعفت الدولة الزنجية : قام جنكيز خان المغولي وعاث في الأرض حتى العراق فاحتل بغداد وملحقاتها[٢١] وامتدت سطوته مع قومه إلى الخليج حتى (جزيرة البحرين) وقصته مشهورة مبسوطة في المطولات من كتب التاريخ . وكانت مدة بقائه في الحكم ٨ سنوات وظلت الدولة فيه وفي عقبه من سنة ٧٣٦ الى ٧٩٥هـ . ثم انقرضوا :

تغلب الكوركانية على جزيرة البحرين

الكوركانية : هم الطبقة الخامسة من ملوك فارس وأولهم تيمورلنك (ومجمل قصته) هو أنه لما اقتسم التتر ممالكهم انتشرت الفتن بينهم مع بعضهم وكان ذلك سببا لضعفهم وموجبا لقيام تيمور وأمثاله . قال ابن خلدون أن تيمور ينسب هو وقومه إلى جغطاي بن جنكيز خان . وجزم بعض المؤرخين بأن نسبه إلى جغطاى إنما هو من جهة أمه لا من جهة أبيه . وكان أول ظهوره سنة ٧٧٣هـ وأرخت بلفظ (عذاب) . قالوا وهو أحد الدجالين الموعود بهم في الأخبار النبوية . فإنه تغلب على أكثر الممالك الإسلامية وأسرف بالقتل وأفسد الأرض وأهلك الحرث والنسل وكان مبدأ أمره وأمر أبيه أنهما كانا فقيرين، وكان أبوه إسكافيا من قرية من أعمال كش (وهي من مدن ما وراء النهر) ونشأ تيمور جلدا قويا ذا جسم غليظ فكان لشدة فقره يسرق، فسرق ذات ليلة شاة فشعر به الراعي فرماه بسهمين أصاب بأحدهما فخذه وأصاب بالآخر كتفه فأعابهما فكان أعرج اليمناوين . ولذلك يقال له نصف إنسان بالفارسية (لنك) . ومع ذلك لم يترك السرقة فمازال كذلك حتى اشتهر أمره وإفساده فظفر به السلطان (حسين) ملك (هراة) فأمر بضربه ثم بصلبه فضرب ثم تشفع فيه الأمير غياث ابن السلطان حسين المذكور، فقال أبوه أن هذا أصل الفساد ولئن بقي ليهلكن

العباد والبلاد فقال له (غياث) وما عسى أن يصدر من نصف إنسان وقد أصيب بالدواهي . فما زال يراجع أباه حتى قبل شفاعته ووهبه له وعفا عنه . ثم إن (غياث) الدين اصطحبه معه وقربه وأدناه وجعله من خواصه، ثم زوجه أخته ورفعه ورقى مرتبته حتى صار من وزرائه . فلما آل الملك لغياث الدين بعد وفاة أبيه ازدادت منزلة (تيمور) وصار مقدما على كثير من الجند فطغى على مولاه (غياث الدين) . وكان مبدأ تمرد تيمور أن زوجته وهي أخت غياث الدين وقع بينها وبينه شئ أغضبه فقتلها ولم يراع حرمة مولاه أخاها ثم لم يسعه إلا الخروج على السلطان غياث الدين وخلع الطاعة فتملك بما كان تحت يده من الجند كثيرا من الممالك حتى استصفى ممالك ما وراء النهر وذلت لأوامره ملوك الدهر . وشرع في استخلاص بقية البلاد واسترقاق العباد . ثم أرسل إلى مخدومه سلطان هراة (غياث الدين) يطلب منه الدخول في طاعته ليجازيه على إحسانه بالإساءة له فيتحقق بذلك قول النبي ﷺ (كتب الله على كل نفس خبيثة أن لا تخرج من الدنيا حتى تسئ إلى من أحسن إليها) فأرسل (غياث الدين) يقول له أما كنت خادما إلي وأحسنت إليك وأسبلت ذيل نعمتي عليك وذلك بعد أن أنجيتك من الضرب والصلب فإن لم تكن إنسانا يعرف الإحسان فكن كالكلب . فلم يرعو بل عبر جيحون بمن معه من الجند وتوجه لمحاصرة مولاه غياث الدين (بهراة) ولم يكن لدى المذكور قوة لقتال (تيمور) والوقوف دون مطامعه فحصن نفسه في القلعة فحاصره وضيق عليه ثم أمنه وقبض عليه وحبسه ومنع عنه الطعام والشراب حتى مات جوعا . ثم عاد (تيمور) إلى خراسان فانتقم أولا من أهل سجستان فوضع السيف فيهم وأفناهم . ثم خرب المدينة ورحل عنها ولم يزل هذا دأبه حتى خلصت له جميع ممالك العجم وممالك فارس وفي ضمنها (جزيرة البحرين) ودانت له الأمم وملوكها .

وكان استيلاؤه على البحرين قبل أن يحتل بغداد . وقد ذهب لمحاصرة بغداد في ١١ شوال من عام ٧٩٥هـ ودخلها بعد الحصار الشديد يوم عيد

الأضحى، كما بيناه في تاريخ البصرة .

تملك البرتغال على البحرين

وفي سنة ٩٢١هـ/١٥١٥م بسط البرتغاليـون نفوذهم على أغلب مدن الخليج[٢٢] وفي ضمنها (جزيرة البحرين) وبنوا غربي المنامة قلعة عظيمة تسمى اليوم (قلعة عجاج) وقد جددت هذه القلعة في شعبان عام ٩٦٩هـ[٢٣] في زمن وزارة جلال الدين بن مراد شاه كما هو مكتوب في بعض جبـال (جزيرة جـدا) الواقعة غرب المنامة .

وهذه صورة الكتابة التي على حجارة جبل جدا (نقل) من هذه الجزيرة مائة ألف حجر[٢٤] لتجديد بروج قلعة البحرين على يد العبد فيروز في زمن وزارة جلال الدين بن مراد شاه في شعبان سنة ٩٦٩هـ .

ثم جددت ورممت من قبل البرتغال سنة ٩٩٤هـ/١٥٨٦م، ورأيت هذا التاريخ بعيني مكتوبا في أربعة مواضع من القلعة على باب دائرة المحاسبة وعلى باب دائرة القائد وعلى باب دائرة الصيدلية وعلى ظهر صخرة متهدمة من القلعة لم أعرف أين كان موضعها . وقد ذهبت إلى هذه القلعة سنة ١٣٣٢هـ بقصد الاطلاع على ما فيها من التاريخ . وكان في صحبتي أحمد ابن الشيخ عبد الله بن سعد بن شملان وهي على مسافة ساعة للراكب من المنامة فوجدتها في موضع مستحكم مخندق بماء البحر مشرفة على المدخلين بين جزيرتي المنامة والمحرق وهي اليوم خربة منذ أعوام ومتهدم داخلها ولم يبق منها سوى طلل جدرانها الخارجية .

وكان في سنة ٩٤٣هـ/١٥٣٧م حضر إلى دار الخلافة العظمى سفير من قبل صاحب (دهلى) بالهند يستنجد السلطان سليمان خان القانوني ابن السلطان سليم خان ضد همايون بن ظاهر الدين محمد الشهير (ببابر) صاحب دهلي .

وكذلك حضر آخر من قبل صاحب (الجوزرات) بالهند أيضا يطلب من

عظمة السلطان المساعدة ضد البرتغاليين الذين أغاروا على بلاده واحتلوا أهم ثغورها (جوا)[٢٥] فاصدر السلطان أوامره إلى وزير مصر يومئذ (سليمان باشا) بتجهيز عمارة بحرية بثغر السويس على البحر الأحمر لمحاربة البرتغاليين (وفتح عدن) وبلاد اليمن حتى لا تستولي عليها البرتغال أو أي دولة أوربية أخرى فتصير حجر عثرة في سبيل تقدم الدولة العلية في جهات الشرق وقاعدة لأعمال الدولة التي تحتلها ضد مصر .

فصدع سليمان باشا بأمره وشيد عمارة بحرية هائلة مؤلفة من سبعين سفينة في أقرب وقت وسلحها بالمدافع الضخمة وسار بها عام ٩٤٤هـ/١٥٣٨م ومعه عشرون ألف جندي وفتح (مدائن عدن ومسقط) وحاصر جزيرة (هرمن) عند مدخل الخليج[٢٦] .

ثم قصد سواحل الجوزرات وفتح أغلب الحصون التي أقامها البرتغاليون هناك . ولكن أخفق أمام ثغر (ديـو) بعد أن حاصره مدة ثم قفل راجعا بالغنائم وفتح في أيام السلطان سليمان باقي إقليم اليمن وجعلها ولاية عثمانية .

ويقال أن بعض قلاع مسقط مكتوب عليها إلى اليوم أنها من بناء العثمانيين ثم بعد ذلك زحف العثمانيون إلى (جزيرة البحرين) براً من جهة قطر فاضطر البرتغاليون إلى الانسحاب من سواحل الأحساء ومن جزيرة البحرين ولم يبق لهم تعلق بالخليج بعد ذلك ، كانت مدة بقاء البرتغال في خليج فارس نحو مائة سنة وقد جاء في التحفة الحليمية لصاحبها عبد الحليم الفارسي أن العثمانيين هم الذين أخرجوا البرتغال من الخليج جميعه . ثم في أثناء اشتغال العثمانيين في حروب أوربا استولى الشاه (عباس الأول الصفوي) على الجزر التي في الخليج وفي ضمنها البحرين سنة ١٠٣١هـ/١٦٢٢م بعد أخـذه جزيرة هرمز من البرتغال[٢٧] .

تملك الدولة الصفوية على البحرين

وفي سنة ١٠٣٩هـ الموافق ١٦٢٩م[٢٨] حصل اختلاف شديد بين أمراء جزيرة البحرين وكان أكثرهم من أبناء الشيعة فرفعوا شكواهم إلى الشاه عباس الأول الصفوي وطلبوا منه الحماية لقربه منهم موضعا ومذهبا وهو من الطبقة السادسة من ملوك فارس وكانت عاصمته أصفهان (وهو من نسل الشاه إسماعيل الصفوي) الذي نشر مذهب الشيعة في الأرض الإيرانية بعد أن قتل أمما وخلقا كثير وأفنى كثيرا من علماء السنة وكان ظهوره وتملكه على مملكة العجم يعد من الأعاجيب فانتشر أمره وفتك في البلاد وسفك دماء العباد وكان انتشار مذهب الشيعة في إيران سنة ٩٠٦هـ وأرخه بعض أهل فارس بلغتهم فقال (مذهب ناحق) أي هذا المذهب ليس بحق .

ولما رفع أهل البحرين ضرر ما يجدونه من بعضهم بعضا جهز الشاه عباس الأول جيوشه ووجهها نحو البحرين تحت قيادة الإمام قولي خان فاحتلت البلدة سنة ١٠٣٩هـ/١٦٢٩م[٢٩] وهي فرصة كانت تنتظر منذ أخرج العثمانيون البرتغاليين منها .

وانضمت جزيرة البحرين إلى الممالك الصفوية . ونصبوا عليها أميراً من قبلهم يسمى (سوندك سلطان) . وفي سنة ١٠٤٣هـ عزلوا سوندك من إمارة جزيرة البحرين وتوجه إلى إيران وقدم هدايا وتحفاً فاخرةً للشاه عباس ومن جملتها سيف تيمورلنك فأعجب الملك بهذا السيف فخلع عليه وأكرمه وأعاده لإمارة البحرين مرة ثانية . ثم خلفه على جزيرة البحرين باباخان وفي سنة ١٠٧٧هـ رفع أهل البحرين شكواهم (للسطان الصفوي) من تعديات باباخان وظلمه للرعية فعزله ونصب في محله الأمير (سلطان ابن قزل خان) واستقام على إمارة البحرين مدة، ثم خلفه عليها الأمير (مهدي قلى خان)، وبقي حاكماً عليها إلى سنة ١١١٣هـ حيث عزل عنها لظلمه وجوره ونصبوا في محله

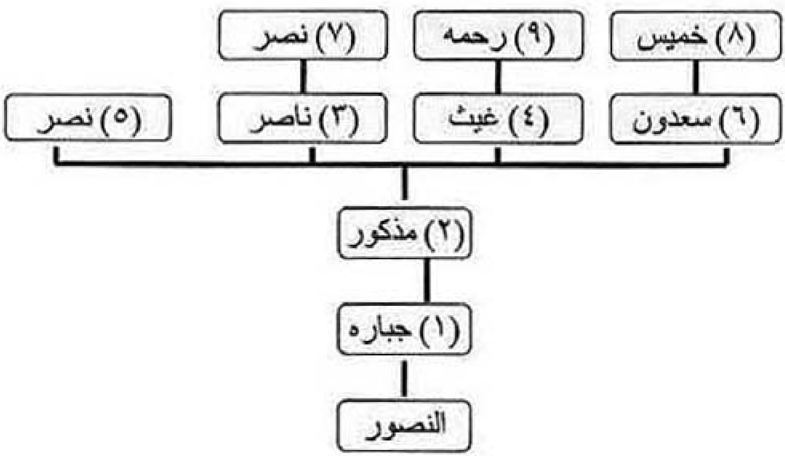
(قزاع سلطان) وأرخ بعضهم عزله بقوله :

مهدي قلي صرفوه عن بحريننا   عام الفتور وحكمـــوا قزاغـــا
ملأ الفجـاج ببغيـه وفجـوره   فلذا أتى تاريخه (قد زاغـــا)

ثم في أيام الشاه (عباس الثاني) خرجت جزيرة البحرين عن سيطرته وانفصلت تمام الانفصال عن الممالك الإيرانية[٣٠] .

تحكم الشيخ الجبري على البحرين[٣١]

وفي سنة نيف عشر بعد المائة والألف، استقل بالبحرين الشيخ الجبري، وهو من بقايا الجبريين الذين كانوا يحكمون الأحساء فانقرضت دولتهم من الأحساء سنة ٩٩٩هـ كما بيناه في تاريخ الأحساء .



النصور (وهم من عرب الهوله من مطاريش عمان استوطنوا بوشهر عام ١٦٤٦م/١٠٥٦هـ)

ومن شيوخ النصور :

(١) الشيخ جباره الذي حكم بلاد (كنكون) و (كنك) و(طاهرى) وحرر (البحرين) في وقت ما بعد ١٧٢١م/١١٣٤هـ وبقي إلى ١٧٣٧م/١١٥٠هـ حيث استولى (نادر شاه) على البحرين . ولكن استعادها (جباره) ١٧٣٨م/١١٥١هـ وبقي في الحكم حتى وفاة نادر شاه ١٧٤٧م/١١٦٠هـ ويقول النبهاني : أن الشيخ جباره ذهب للحج فخلعه نادر شاه وعين مكانه على البحرين غيث وأخاه نصر .

(٢) وكان (مذكور) شاهبندر ميناء بوشهر عام ١٧٣٧م/١١٥٠هـ .

(٣) كان الشيخ (ناصر) آل مذكور يعاصر والده (مذكور) في حكم البحرين إثر وفاة (نادر شاه) عام ١٧٣٧م/١١٥٠هـ وبقي في الحكم إلى عهد كريم خان .

ثم احتلت قبيلة (الحرم) البحرين وهم حكام (عسالو) ولكن طردهم الشيخ (ناصر آل مذكور) بمساعدة (مير ناصر) شيخ (بندريق) وذلك في ١٧٥١م/١١٦٥ هـ واستبد مير ناصر بحكم البحرين لوحده لكنه ترك البحرين لتعرض بلاده (بندريق) لخطر حاكم (غنورا) فدخل البحرين الحرميون ١٧٥١م/١١٦٥هـ . إلا أن الشيخ (ناصر آل مذكور) استطاع طردهم بمساعدة (العتوب) مع سكان (طاهري) وهم جماعة الشيخ جباره فاحتل البحرين ١٧٥٣م/١١٦٧هـ وبقي الشيخ (ناصر) آل مذكور على البحرين حتى ١٧٦١م/١٨٧٥هـ . وتوفي الشيخ ناصر والشيخ (غيث) فخلفهما أخوهما الشيخ (نصر) آل مذكور وذلك سنة ١٧٥٠م/١١٦٣هـ .

(٤)و(٥) عين (نادر شاه) (غيث ونصر) على البحرين بعد أن خلع نادر شاه الشيخ جباره الذي ذهب إلى الحج عام ١٧٣٩م/١١٥٢هـ .

(٦) وجد ذكر (سعدون) آل مذكور وهو أخ الشيخ ناصر المذكور على البحرين في ١٧٦١م/١١٧٥هـ .

(٧) الشيخ (نصر) آل مذكور أمره كريم خان بإخضاع الزباره عام ١٧٧٧م/١١٩١هـ فلم ينجح وحاول عدة مرات في عام ١٧٧٩م/١١٩٣هـ وفي ١٧٨١م/١١٩٥هـ فلم يفلح . وأخيرا حاصر الزباره في ١٧٨٣م/١١٩٧هـ ففشل وهرب إلى بوشهر . وآخر ما وجدنا ذكره في عام ١٧٩٨م/١٢١٣ في الوثائق البريطانية وفي عام ١٨٠٠م/١٢١٥ ذكره الملاح التاجر في مذكراته بأن عاهد ابني عمه خميس بن سعدون ورحمه بن غيث أن يحكم جزيرة خارج ١٨٠٠م/١٢١٥هـ .

عبد الرسول حفيد ناصر آل مذكور في بوشهر من ١٢٣٢-١٢٣٦هـ وحارب أخاه محمد وقتل في بوشهر ١٢٤٨هـ .

ولما استتب للشيخ الجبري الحكم على جزيرة البحرين جعل مقره قرية يقال لها (العمرو) وبنى بها قلعتين على جبلين هناك متقابلين والبلدة بينهما . وكان له وزير يسمى (الشيخ فرير بن رحال) وسكناه (الرفاع الشرقي) وبنى به قلعة عظيمة ولتقادم السنين خربت تلك القلعة . ولما استولى الخليفيون على جزيرة البحرين[٣٢] سكن الشيخ سلمان بن أحمد (الرفاع) وبنى على أساس تلك القلعة قلعة محكمة البناء سنة ١٢٢٧هـ وهي باقية إلى اليوم كما سيأتي عند آخر ذكر (وقعة أخكيكيره) .

ويقال أن سبب انقراض دولة الشيخ الجبري من البحرين هو أنه كان مغرما بالنساء لم توصف له امرأة جميلة إلا سعى في طلبها إلى أن يتمكن منها حلالاً أو حراماً . فوافق في بعض الأيام أن أحد جلسائه جعل يصف له امرأة بالجمال الفائق، ودقة الخصر الرائق، وقال أنها إذا استلقت على ظهرها يمكن أن تمر الرمانة من تحت خصرها فتعجب الشيخ الجبري من ذلك وقال هل توجد امرأة اليوم بمثل ما وصفت ؟! قال نعم إن زوجة وزيرك الشيخ فرير هي أكمل حسنا مما ذكرنا . فشغف الشيخ الجبري بها وتاقت نفسه لرؤيتها ولو مرة، فوجه وزيره المذكور بهدايا إلى بعض الأمراء كالعادة وبعد مضيه بعث إلى

زوجة الوزير المذكور وأمرها بأن تتهيأ لمجيء الحاكم إليها في ليلة معينة وشدد الطلب عليها في ذلك، فخافت من بطشه وأجابت طلبه فلما أتى الحاكم إلى منزلها ليلا زفت له جارية من خدمها فنام الحاكم معها حتى الصباح ظنا منه أنها هي زوجة وزيره الموصوفة بالحسن لكنه لم يجدها على ما وصفت له، فلما قدم الوزير أعلمته زوجته بما جرى وأنها قد خدعت الحاكم بزفاف إحدى الخدم، فشكرها زوجها على حسن صنيعها وصيانة نفسها .

ثم لما حضر الوزير مجلس الحاكم وشرعا يلعبان الشطرنج كالعادة فانغلب الوزير فارتجل الحاكم بهذين البيتين (من النبط) :

ذيب سرى في ظلام الليل كل شانك	كل اللحم والشحم وأروى مشاشاته
والصاحب اللي بعد تهوي مماشاته	إن ردت لاماه لا تطري لباشـــاته

معرضا فيها بقصته مع زوجة الوزير . ففهم الوزير مرمى كلام الحاكم وتألم من ذلك . ثم أنه جـــد في اللعب حتى غلب الحاكم وأظهر الوزير السرور وأنشد أبياتا منها :

يا من حبل للبطوط واصطاد عنقوده	ها ذاك بين الخلايق شاع منقوده

قاصدا بها إجابة الحاكم فشعر الحاكم بالقضية وعرف بأنه خدع وتحقق لديه ما مر بخاطره حين اضطجاعه تلك الليلة في بيت الوزير . فحقق لذلك وسل سيفه وجندل وزيره في الحال . لأن المسألة وافقت للمثل (لاعازه انقضت ولا سر انكتم) . فلما خبرت زوجة الوزير بقتله للقضية المذكورة خافت على نفسها وفرت إلى (دارين) وشرعت في تدبير الأخذ بثأر زوجها فأمرت صائغا يصوغ لها صحنا من فضة ويجعل في وسطه نخلا من ذهب طول ذراع مثمرا ذلك النخل بالجواهر الفاخرة فلما كمل على أحسن ما يرام قدمته هدية للشاه

(عباس الثاني الصفوي) . وأغرته على استيلاء البحرين . وقالت للرسول قل له ينظر إلى أرض البحرين وإلى شجرها وإلى ثمرها وهذه الهدية عنوان على ذلك (والحال أنها من امرأة) فتاقت نفس الشاه عباس للبلدة . وأمر عامله الذي في شيراز واسمه (الله ويردي خان) بأن يأخذ البحرين من يد العرب فجمع (ويردى خان) جموعا من أهل المحمرة ومن أهل القصبة وجهزهم تحت قيادة (خاجا معين الدين الفالي)[٣٣] فسار بهم نحو البحرين فبرز لهم الشيخ الجبري بجيش مؤلف من آل أبي مهير فتقابل الجمعان وحصلت بينهما معركة شديدة قتل فيها الشيخ الجبري وتفرقت جموعه (فكان هو آخر الحكام من الجبريين بالبحرين) وانضمت البحرين إلى مملكة الشاه عباس .

وهكذا سمت همة هذه المرأة الفاضلة حتى أخذت بثأرها وانتصفت لنفسها ولزوجها . ولله در القائل :

فلـو كان النسـاء كمن ذكرنـا ... لفضـلت النسـاء على الرجـال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب ... ولا التذكيـر فخـر للهـلال

حكم الشيخ جباره على البحرين

وفي أواخر دولة السلاطين الصفوية استبد الشيخ جباره الهولي بأمر البحرين (وهو من أعراب بلاد فارس) .

وسبب ذلك أنه لما رأى الفتور في أمر الدولة الصفوية عصى بما تحت يده من الممالك وفي ضمنها جزيرة البحرين وادعى الاستقلال بها وظلت تحت يده إلى أن قام نادر شاه كما سيأتي .

استيلاء نادر شاه على البحرين

لما ضعفت الدولة الصفوية ولم يبق من رجالها سوى طفل في المهد يسمى (الشاه عباس الثالث)، قام نادر شاه الأفشاري بالدعوة لإعادة قوة دولتهم وذلك

سنة ١١٣٢هـ وشرع في استرجاع بعض الممالك باسم هذا الطفل . ولما استرجع لهم معظم ما انسلخ من مملكتهم عرض الوزراء عليه السلطنة لنفسه فأبى ثم ألحوا عليه فقبلها منهم بشروط اشترطها عليهم فقبلوها منه .

وتوج بالسلطنة عام ١١٤٨هـ ونودي لنادر شاه ملكا (وهو أول الطبقة السابعة من ملوك فارس المعبر عنهم بالأفشاريين) ولما استتب له الأمر أرسل إلى عامله (ميرزا تقى خان) والى شيراز بأن ينتزع جزيرة البحرين من يد الشيخ (جباره) فامتثل أمره وجهز عليها أفواجا من عساكره فاستولى عليها . وكان الشيخ جباره غائبا بمكة المشرفة . أما نائبه على البحرين فلم يستطع مقاومة جيش ميرزا تقي خان . ففر هاربا بنفسه واستولت عساكر (نادر شاه) على البحرين وذلك عام ١١٥٠هـ .

وفي السنة الثانية جاء (سيف بن سلطان حاكم مسقط) إلى البحرين وهاجمها وقتل فيها قتلا عاما واستولى عليها ١١٥١هـ .

ثم في السنة الثانية وهي سنة ١١٥٢هـ، صدر أمر نادر شاه إلى عامليه (محمد تقى خان) و(كلب على خان) بأن يوجها همتهما إلى قتل حاكم مسقط بأي وجه كان، فامتثلا أمره وتوجهت همتهما نحوه حتى ظفرا بـه فقتلاه غيلة . وبعد قتله تمكن نادر شاه من الاستيلاء على البحرين وعين عليها من قبله آل مذكور كما سيأتي . ونادر شاه هو الذي أراد أن يجعل بمكة مركزا للشيعة كما تقدم في تاريخ مكة سنة ١١٥٧هـ .

ولما تحقق أهل إيران بأن نادر شاه يميل إلى التوفيق بين أهل السنة والجماعة وبين إخوانهم الشيعة، ومنعهم من سب الصحابة علنا، غضبوا وأجمعوا على اغتياله فتمكنوا من قتله عام ١١٦٠هـ، وأرخت وفاته بلفظ (غسق) وأرخها الإيرانيون بلسانهم (نادر بدرك رفت) بحذف ألف نادر[٣٤] .

فصل في إمارة آل مذكور على البحرين[٣٥]

ولما استتب الأمر لنادر شاه على البحرين جعل عليها من قبله الشيخ (غيثا) وأخاه الشيخ (ناصر آل مذكور) . ويقال أن نادر شاه هو الذي أمر ببناء القلعة الواقعة جنوب المنامة المسماة اليوم (قلعة الديوان) التي كانت دارا للحكومة يومئذ .

وبقى الحكم في البحرين لغيث وناصر إلى أن توفيا، فقام من بعدهما أخوهما الشيخ (نصر آل مذكور)، ثم استبد بالحكم وصارت البحرين في زمنه خاضعة لملكة فارس اسما فقط إلى أواخر دولة (الزنديين) وأول دولة (القاجاريين) . أما دولة (الزنديين)، فهم الطبقة الثامنة من ملوك فارس وأولهم كريم خان الزندي الذي حاصرت جنوده البصرة واحتلوها سنة ١١٨٨هـ كما بيناه في تاريخ البصرة .

وأما دولة القاجاريين فهم الطبقة التاسعة من ملوك فارس وأولهم (محمد خان الخصي)، قيل ولد خصيا وقيل أن عشيرته خصته بسقيه دواء مفترا لآلة التناسل لقطع نسله رغبة في الملك من بعده وكانت مدة حكمه ١٣ سنة .

ثم في سنة ١١٩٧هـ حصل اختلاف بين أهل الزباره وسكان جزيرة البحرين فاضطر الشيخ نصر آل مذكور بأن يزحف بجيشه على الزباره وساق جنوده نحوها يقودها بنفسه وتواقع مع آل خليفة وجرت بينهما فاصلة أسفرت عن انكسار الشيخ نصر وفراره إلى أبى شهر مخذولا وترك البحرين فذهب إليها الخليفيون واستولوا عليها . وعادت البحرين لأهلها العرب بعد ما نزعها منهم الشاه عباس (زمن الشيخ الجبري) كما تقدم ثم إن الشيخ نصر آل مذكور استغاث بحكومة شيراز فلم تلتفت له لضعفها يومئذ وذلك في أواخر دولتها وأما كيفية استيلاء آل خليفة على البحرين[٣٦] والسبب في ذلك فسأذكره إن شاء الله مبسوطا في الباب الثالث .

الباب الثاني

في نسب آل خليفة الكرام

أعلم أن النسابين قسموا العرب من حيث الوجود إلى قسمين بائدة وغير بائدة . فالبائدة : طسم وجديس وثمود وعاد وجرهم العمالقة . وغير البائدة قسمان : قحطان وهم العرب العرباء، وعدنان وهم العرب المستعربة . وينقسم العدنانيون إلى شعبين : ربيعة ومضر . فبنو مضر مساكنهم بالحجاز وكان لهم الرياسة بمكة والحرم، وبنو ربيعة كانت منازلهم بين اليمامة والبحرين إلى العراق . وتنقسم ربيعة إلى عمارتين : بنى أكلب، وبنى أسد . فبنو أسد هم أهل جلد وعدد . قال أبو عبيد وقد دخل بنو أسد في عبد القيس . وتنقسم بنو أسد أيضا إلى بطنين : جديلة، وعنزه . فبنو جديلة منهم الإمام أحمد بن حنبل ونسبه : هو الإمام أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد ابن إدريس بن عبد الله بن حسان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصي بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان . . . الخ . ولد ﷺ في ربيع ثاني سنة ١٦٤هـ وتوفى سنة ٢٤١ هـ، فعمره ٧٧ سنة، مرض سبعة أيام ثم توفى رحمه الله تعالى . ونسبه : هو طيء بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر وهو نبي الله هود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وقد سكن من آل نبهان مكة المشرفة جد المؤلف مع والده سنة ١٢٨٧ كما بينا ذلك في كتابنا المسمى (مؤنس العزب، بتذييل سبائك الذهب، في أنساب العرب) وستأتي ترجمة حال والد المؤلف في الأصل .

وبنو عنزه، كانت ديارهم عين التمر من برية العراق على ثلاث مراحل

من الأنبار ثم انتقلوا منها إلى جهات خيبر فأقاموا هنالك وورث ديارهم غزية من طئ وكان مع بني عنزة أحياء من طي، وهم بنو نبهان بن عمرو بن الغوث بن طي، وكانوا ينتجعون معهم ويشتون في برية نجد وقد عد الحمداني النبهانيين في أحلاف آل فضل . وتنقسم بنو عنزة إلى أفخاذ كثيرة أكبرها جُميلة بالضم . وتنقسم جميلة إلى فصائل أشهرها بنو عتبة . وتنقسم أيضا بنو عتبة إلى عشائر أكبرها وأشرفها آل خليفة وهم المقصودون بهذا التاريخ وقد عظمت هذه العشيرة حتى ساوت الفخيذة[٣٧] .

فنسب الشيخ خليفة الذي اشتهرت به هذه الفخيذة من عتبة[٣٨] . ثم من جميلة ثم من عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار فيجتمع مع النبي ﷺ في نزار بن معد بن عدنان بن أدبن أدد بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيدار بن إسماعيل ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله بن تارح بن ناحور بن شاروخ بن أرغو بن فالغ بن عابر وهو نبي الله عليه السلام وفيه يلتقي الحيان قحطان وعدنان . وإلى ذلك يشير القضاعي في منظومته (إلى عابر ألقى معدا ويلقاني) لأن قضاعة من قحطان بن عابر وعدنان يتصل بعابر وهو ابن شالخ بن أرفخشد بن سام وهو أبو العرب أجمع البائدة وغير البائدة وسام بن نوح عليه السلام بن لمك بن متوشلح بن خنوخ وهو نبي الله إدريس عليه السلام بن اليارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث هبة الله عليه السلام ابن آدم أبى البشر – عليه وعلى نبينا افضل الصلاة وأزكى السلام .

فصل في أماكن آل خليفة ومساكنهم

كان الشيخ خليفة هو وقومه بأرض (الهدار) من بلدان (الأفلاج) من نجد وكان هو صاحب الرأي فيهم فاستحسن مبارحة نجد فظعن منه مع قومه ونزل بهم (الكويت) في القرن الثاني عشر الهجري لأسباب مجهولة ربما كان القصد

منها حب الاستقلال، والسعي وراء تشييد مملكة يكون هو ملكها . وأقام بالكويت إلى أن توفى مأسوفا عليه من أتباعه، مبكيا عليه من رواد فضله. فتقلد الأمر من بعده ابنه الشيخ محمد بن خليفة(٣٩)، فحصل له من جور وتعديات أمراء (المحمرة) بنى كعب الشيعة الذين كان لهم نفوذ ومطامع في تلك الجهات ما زهده في سكنى الكويت وحبب إليه الرحيل، فظعن بقومه ونزل بهم في الزباره من بر قطر(٤٠) .

ولم تكن الدنيـا تضيق على فتـى　　　يرى الموت خيرا من مقام على هضم

والزباره : اسم موضع على الساحل تجاه جزيرة البحرين من جهة الجنوب كما بيناه (في تاريخ قطر) وأول من نزل (الزباره) وعمرها الشيخ أحمد بن رزق ورغب الناس في سكناها بكرمه وبذل جوده، وبالعدل بين نزلائه فأتتها العرب من كل فج فأسدل عليهم رداء إحسانه حتى تمولوا وصاروا يتجرون في اللؤلؤ، فأتاها الشيخ محمد بن خليفة زائرا ولشراء اللؤلؤ منها فأمطر على أهلها من سحب فضله نعماً . فبان لهم من أصالة رأيه وجليل سجاياه ما أوجب عليهم أن يرغبوه في الإقامة ببلدهم ليستفيدوا من عطاياه ومساعدته، فأجاب طلبهم وأزاح وزرهم فبزغ به بدر سعدهم وسما به طود مجدهم . وجعلوه محط رحالهم، واتخذوه كعبة آمالهم، ولا غرو (فقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها) فظعن من الكويت بمن يلوذ به واستوطن الزباره ولبث ينشر عليهم رايات حرمه وحلمه ويظهر لهم رايات ورعه وعلمه حتى آل الأمر لسكان الزباره وهم يومئذ آل ابن علي، والجلاهمة، والمعاودة وغيرهم من عشائر العرب المقيمين هناك بأن يكلفوه تقاليد الحكم على بلدهم . فاقترح عليهم من الشروط الموافقة ما رآه صالحا لرقيهم وموافقا لرضاء الملك الديان الذى منحه نعمة الحكم عليهم فأجمعوا على تصويبها وقبلها . وبذلك تم له الأمر والحكم . وكان لما ظعن الشيخ محمد بن خليفة من الكويت إلى

الزباره كان له من الولد خمسة أبناء أكبرهم الشيخ خليفة ثم الشيخ أحمد ثم الشيخ علي ثم الشيخ مقرن ثم الشيخ إبراهيم ولما استقروا بأرض الزباره واستتب لهم الحكم بها أراد أمراء قطر يومئذ (آل مسلم) أن يضعوا عليهم خراجا فامتنع الشيخ محمد من إعطائهم ذلك وتحصن في الزباره ببناء قلعة عظيمة تسمى اليوم (قلعة مرير) كان قد بناها في الطرف الشمالي من بر قطر خصيصا لهذه الغاية . وقد أرخوا بناءها بقولهم (تمت بعز وعون الله حاميها) وذلك سنة ١١٨٢هـ وقد جاء هذا التاريخ فألاً حسنا على ما نالته تلك القلعة من المنعة والعز إذ تمكن الشيخ محمد بن خليفة من حفظ حكمه على تلك الأراضي وصد المهاجمين، وبقى حاكما في الزباره إلى أن توفى بها، فقام بالأمر من بعده أكبر أبنائه الشيخ خليفة بن محمد . وفي أواخر سنة ١١٩٦هـ توجه الشيخ خليفة لأداء فريضة الحج وأقام أخاه الشيخ أحمد على الحكم مقامه وبعد أدائه فريضة الحج تمرض بمكة المشرفة ثم توفى بها سنة ١١٩٧هـ وكان رحمه الله من العلماء العاملين والأتقياء الصالحين . وله منظومة في الرد على الوهابية نحو ٥٤ بيتا مطلعها :

لك الحمد يا مولاي حمداً مؤبدا		على نعم جلى وأعظمها الهدى

إلى أن قال :

ويا بدعــة ما قد سمعنا بمثلهـا		تكفر كل الناس حتى الموحِّـدا

وكان للشيخ خليفة كرامات مشهورة يتناقلها الناس، منها أنه قال لأصحابه وهو يطوف بالبيت : ادعوا لأصحابكم فإنهم في ضيق فأرخوا ذلك اليوم . ولما قدم الحجاج إلى البحرين أخبروا بما قال فكان يوم هجوم الشيخ نصر على الزباره كما سيأتي في الباب الثالث . ولاشك بأن ذلك لا يكون من قبيل المصادفة بل تعد له كرامة تامة وهو حرى بذلك رحمه الله .

الباب الثالث

في كيفية استيلاء آل خليفة على البحرين[٤١]

وتداولها بينهم وما جرى في خلاله من الملاحم

ولما توطد حكم الشيخ خليفة بن محمد بن خليفة على الزباره شرع بعض عشيرته وأتباعه بالاشتغال في التجارة فكانوا يأتون جزيرة البحرين ويشترون منها اللؤلؤ ويسافرون به إلى أرض الهند فيبيعونه ويرجعون إلى بلادهم . وكان غالب سكان البحرين شيعة شديدي التعصب على إخوانهم السنيين وكانوا يتغالون في إهانة واضطهاد كل سني وطئ بلادهم للحرفة أو للتجارة .

فوافق في بعض الأيام أن اعتدوا على خدم لآل خليفة جاءوا إلى بلدة في البحرين تسمى (سترة) لشراء جذوع النخيل فأدى ذلك إلى وقوع قتال بين خدم آل خليفة والبحارة كانت نتيجته قتل خادم لآل خليفة يسمى إسماعيل . فغضب لذلك أهل الزباره جميعا ثم إنهم أرسلوا إلى البحرين أناسا مسلحين في سفينة صغيرة للأخذ بثأر المقتول فساروا إلى (ستره) وتقابلوا مع رهط القاتلين حتى تمكنوا من قتل غريمهم . ولكن بعد أن قتل معه نحو خمسة أشخاص ولم يقتل من أهل الزباره أحد فعظمت المصيبة على البحارة فتجمهروا واستغاثوا (بحاكمهم الشيخ نصر آل مذكور) فجهز لهم السفن مشحونة بجيش عظيم وتولى هو القيادة بنفسه ليثير النخوة والحماسة فيهم وسار الكل نحو قطر حتى أرسوا بسفنهم عند موضع يقال له (عشيرقا)[٤٢] ومشوا من هناك رجلانا إلى الزباره وأحاطوا بها محاصرين لها، وطلبوا من أهلها سبى نسائهم وأطفالهم وخدمهم جميعا وإلا أعملوا فيهم السيوف حتى يفنوهم عن آخرهم . فعظمت المحنة على المسلمين واستكبروا هذه الشروط التي ما أنزل الله بها من سلطان .

فهان عليهم الموت في حفظ عرضهم وحفظ نسائهم وأطفالهم، واستصوبوا قول عنترة العبسي :

وإذا بليت بظـالم كن ظالـمـاً   وإذا لقيت ذوى الجهالة فاجهل
وإذا الجبان نهاك يـوم كريهـة   خوفا عليك من ازدحام الجحفل
فاعصي مقالته ولا تحفـل بها   واقـدم إذا حـق اللقـا في الأول
واختر لنفسك منزلا تعلـو بـه   أو مت كريما تحت ظل القصطل
فالموت لا ينجيك من آفاتـه   حصن ولـو شيدتـه بالجنـدل

وخرجوا إلى ميدان القتال بعد أن أبقوا شرذمة من الرجال عند النساء والأطفال . وقالوا لهم إن نصَرَنا الله فبها ونعمت، وإن انكسرنا لا سمح الله، فأنتم اقتلوا النساء والأطفال جميعا ولا تدعـوهم يصيروا أسـارى في أيدي الشيعة[٤٣]، وبعد قتلهم فشأنكم والفرار للنجاة بأنفسكم . ولما تقابل الجمعان كان رئيس الزباره وكيل حاكمها الشيخ أحمد بن محمد (لغياب أخيه الحاكم الشيخ خليفة في الحج كما أسلفنا) ودار بينهم الضرب والطعان وتطايرت الرؤوس عن الأبدان، وصاحت الأبطال على بعضها بأصوات يذوب منها قلب الجبان، نهض أهل قرية (فريحة) قرب الزباره فخيذة من آل بن علي مساعدين لآل خليفة وشهروا سيوفهم وبرزوا إلى الميدان، فلم يلبث قوم نصر إلا ساعة من نهار، حتى أسفرت الواقعة عن انكسارهم فولوا الأدبار . وانتصر أهل الزباره وما النصر إلا من عند العزيز الحكيم . وغلب هنالك قوم نصر وانقلبوا صاغرين وفروا بأنفسهم إلى سفنهم وذهبوا بها إلى (أبى شهر) تاركين ساحة الوغى مليئة بجثث قتلاهم . ومن ذلك اليوم صغر أهل البحرين اسم الشيخ نصر وسموه (نصورا) وتسمى هذه الوقعة (وقعة نصور وتدويل نصور) وذلك في ١٨ جمادى الثانية عام ١١٩٧هـ وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

وفي هذه المعركة آل سيف الشيخ نصرا آل مذكور إلى (آل ابن سلامة) وهم عشيرة من آل ابن علي . ثم آل ذلك السيف إلى الشيخ سلطان بن سلامة . ثم إلى ورثته إلى سنة ١٣٣٢هـ حيث أهدى ذلك السيف إلى حاكم قطر الشيخ عبد الله بن قاسم بن ثاني [٤٤] .

تحقيق تاريخ فتح البحرين

أولا : حج الشيخ (خليفة بن محمد بن خليفة) في شهر ذي الحجة سنة ١١٩٦هـ الموافق أوائل نوفمبر ١٧٨٢م .

ثانيا : إن (أول محرم من سنة ١١٩٧هـ يوافق ٧ ديسمبر ١٧٨٢م) .

ثالثا : (أول صفر ١١٩٧هـ يوافق ٦ يناير ١٧٨٣م و٣٠ صفر ١١٩٧هـ يوافق ٥ فبراير ١٧٨٣هـ) .

وفي أواخر صفر ١١٩٧هـ الموافق بداية فبراير ١٧٨٣م كان فتح البحرين .

وفي ذلك قال الشاعر الشيخ محمد بن أحمد بن سلمان آل خليفة المتوفى سنة ١٢٥٨هـ في قصيدته التي مطلعها :

سقى قصر صبحا من عوادي ربابها ... موطن اجدودي كم شيخ ربا بها
غزينا على البحرين في آخر الشهر ... آخر صفر الخير فتحنا ابوابها
بألف وميه وسبعة وتسعين صادفت ... بدعوة خليفة والإله استجابها

أما الأدلة على صحة هذا التاريخ فهي :

ينطبق مع حساب الجمل (أحمد صار في أوال خليفة) وهو ١١٩٧هـ .

يوافق قول (النبهاني) حيث قال : أن الشيخ (خليفة بن محمد) سافر لأداء فريضة الحج عام ١١٩٦هـ/١٧٨٢م وتوفي في مكة بعد مرض لم يمهله طويلا بعد أداء فريضة الحج واستطرد النبهاني بقوله أن الشيخ خليفة بن محمد قال لأصحابه وهو في مكة وهو يطوف بالبيت العتيق (ادعوا لأصحابكم

فانهم في ضيق) فصادف ذلك الوقت (وقعة الزباره) فإذا أضفنا لها شهرا أو شهرين على حد قول (لوريمر) إذ يقول : وبعد شهر أو شهرين من وقعة الزباره تم فتح البحرين فيصبح شهر صفر ١١٩٧هـ الموافق فبراير ١٧٨٣م هو تاريخ فتح البحرين .

رابعا : إن التاريخ الذي ذكره (النبهاني) وهو (حدثت وقعة نصور في ١٨ جمادى الثانية ١١٩٧هـ/ ويوافق ٢١ مايو ١٧٨٣م يناقض ما ذكره هو نفسه (أعني النبهاني) حين ذكر أن الشيخ (خليفة بن محمد) حج عام ١١٩٦هـ وأنه قال لأصحابه وهو يطوف بالبيت (ادعوا لأصحابكم فإنهم في ضيق) فأرخوا ذلك اليوم فكان يوم هجوم نصر آل مذكور على الزباره .

فكيف يستقيم ذلك والوقعة في ١٨ جمادى الثانية أي بعد حج عام ١١٩٦ هـ بستة أشهر بينما حصار الزباره دام شهرا أو شهرين ؟!

خامسا : قول (واردن ص٣٦٥) : أنه تم (فتح البحرين) واستسلم الحرس الفارسي في البحرين وانسحبوا إلى بوشهر في ٢٦ شعبان ١١٩٧هـ الموافق ٢٨ يوليو ١٧٨٣م .

وكذلك كمبل ص١٤١ الذي أعد تقريره ١٨٤٤م قال أنه تم فتح البحرين في ٢٨ يوليو ١٧٨٣م . والتعليق على ذلك : أن قول واردن الذي كان عضوا في المجلس التشريعي في بومباي عام ١٨١٩م يشابه ما ذكره النبهاني — فيكون ما ذكره واردن معقولا لكننا قدمنا أدلة على ضعف نص النبهاني لذلك فان ما ذكره واردن ليس له دليل تاريخي . ومثل ذلك من كتب أن فتح البحرين حدث في ١٤ أوجست ١٧٨٣م الموافق ١٦ رجب سنة ١١٩٧م . فالخلاصة أن (فتح البحرين) حدث في أواخر شهر صفر ١١٩٧هـ الموافق بداية شهر فبراير ١٧٨٣م .

الهوامش

١ - ليسوا من الفرس، بل هم من عرب المناذرة اللخميون. وهم حلفاء للفرس . وقد كان في البحرين خلق كثير من قبائل عبد القيس وبكر بن وائل وتميم وهم مقيمون في باديتها . وكان بها أمير هو المنذر بن ساوى من قبل اللخميين المناذرة حلفاء الفرس .

٢ - هو المنذر بن ساوى بن عبد الله بن (زيد) وليس بن (يزيد) . ثم مات المنذر بن (ساوه) والصواب (ساوى) بالألف المقصورة .

٣ - قوله في (الطبعة الأولى) ص٣١ : وقد قيل أن رسول الله ﷺ وجه العلاء في سنة (ست من الهجرة) . وتدل البحوث التاريخية أنه وجه العلاء في السنة (الثامنة للهجرة) الموافق ٦٣٠م وقد صحح في الطبعة الثانية ص٧٨ . توفي العلاء بن الحضرمي عام ٢٢هـ/الموافق ٦٤٢م، وفي قول في عام ٢٤ أو ٢٥هـ، ودفن في الرأس المعروف (برأس أبو علي) على ساحل الخليج العربي ما بين الكويت والبحرين . أنظـر : البحرين عبر التاريخ، جـ ١، ط ٣، البحرين ١٩٨٢م، ص١٢٨ .

الصواب (صالحوا).

توفي العلاء في ٢٢ هـ الموافق ٦٤٢م.

ثم مات المنذر بن (ساوى) وليس (ساوه) المتوفى سنة ١١هـ الموافق ٦٣٣م.

الجارود واسمه بشر بن عمرو بن حنة بن المعلى العبدي المتوفى في ٢٠هـ/٦٤١م.

أنظر : البحرين درة الخليج العربي، ص٣٩ ؛ والنجم، البحرين في صدر الإسلام، بغداد ١٩٧٣م، ص١١٢ ؛ وانظر الوثيقة، العدد السادس، ص٦٣ .

٤ - ولقد حفظت لنا (كتب السنة) وكتب (التاريخ المبكرة) نصوص رسائل الرسول عليه الصلاة والسلام إلى أمراء، وملوك وحكام العرب والعجم للمناطق المجاورة للجزيرة العربية . ومنها كتاب

(الأموال) لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) . كما سجل أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري المتوفى ٢١٣هـ، أسماء الرسل وأسماء من أرسلوا إليهم، وهي تسع رسائل مختومة بخاتم مستدير من فضه نقش عليه (محمد رسول الله) بثلاثة أسطر . وكذلك كتاب (الطبقات الكبرى) لابن سعد المتوفى (٢٣٠هـ)، والذي سجل ما نقله عن (الواقدي ت ٢٠٧هـ) و(محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤هـ) حيث يقول : أن العلاء ابن الحضرمي بعث بصدقات البحرين بعد معركة بدر – التي حدثت في رمضان من السنة الثانية للهجرة – وفي رواية أخرى، يذكر المؤرخ في ابن سعد) نفسه : أن العلاء، وصل البحرين بعد السنة الثانية للهجرة . أما (ابن سيده ت ٢٥٨هـ) فيضع ذلك في أعقاب صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة . بينما يتفق الطبري (ت ٣١٠ هـ) وابن هشام (ت ٢١٣هـ) والبلاذري (ت ٢٧٩هـ) على السنة الثامنة للهجرة الموافق ٦٣٠م ونحن نأخذ بهذا الرأي .

وقد كتبت رسالة الرسول التي حملها (العلاء بن الحضرمي) إلى حاكم البحرين (المنذر بن ساوى) وهي مكتوبة على الجلد الذي كان وقتئذ أكثر شيوعا، لتواجده، وسهولة الكتابة عليه، وتقع في عشرة أسطر، مائة كلمة، بما فيها ختم الرسول ﷺ . ولكن هذه الرسالة مع الرسائل الأخرى فقدت لتطاول الزمن . وما مر بالبلاد الإسلامية من أحداث . إلا أن محتوياتها قد سجلت من خلال كتب التاريخ وكتب السيرة النبوية وهي مسندة بنصوص مؤكدة موثوقة . وكثرت الدراسات الحديثة حول رسائل الرسول ﷺ . فقد كتب (الدكتور محمد حميد الدين) رسالة دكتوراه بعنوان (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة). ثم كتب (علي حسين علي الأحمدي) كتابا بعنوان (مكاتيب الرسول) وفيه تحليل جيد لكافة الرسائل . وكذلك ألف معالي الدكتور (عون قاسم الشريف) من السودان كتاباً حول (نشأة الدولة الإسلامية) وهي رسالة ماجستير صدرت باللغة الإنجليزية وترجمها للعربية .

وفي قول أن رسالة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المنذر بن ساوى قد اكتشفت في دمشق عام ١٨٦٣م الموافق ١٢٨٠هـ وأنها ظلت بحوزة إحدى العائلات السورية . ويعتقد أنها انتقلت بعد ذلك إلى ألمانيا ثم استقرت في متحف دمشق . فكيف خرجت من البحرين وهي المرسلة إلى حاكمها .

ولما كان التاريخ رواية ودراية. فإن الروايات المدونة في كتب (السير والمغازي والتراجم والتاريخ) تؤكد نص ما ورد في الرسالة . ولكن المصادر هذه وغيرها لم تذكر أين انتقلت واستقرت هذه الرسالة عبر مئات السنين . هذا لم تذكره، والآن وبعد اثني عشر قرنا ونصف القرن، قبل أن الأصل لدى أسرة سورية، فمن أين حصلت عليها ؟ وأين كانت خلال هذه القرون الطويلة ؟ وقد تعرض العالم الإسلامي لأحداث تاريخية جسام كالحروب والحرائق والأوبئة والفيضانات والزلازل والرطوبة والحشرات والقوارض ونحوها، مما أدى إلى تلف واندثار الكثير من المخطوطات والوثائق . ولم يبق إلا ما تناقلته الكتب عنها دون أن يذكر أحد أنه نقلها عن أصل الرسالة الأولى .

وأخيراً، فإن ملاحظاتنا حول الرسالة المرسلة إلى حاكم البحرين المنذر بن ساوى تتلخص فيما يلي :

ونحن لا يوجد لدينا ما يمنع قبول أو عدم قبول التقرير الفني لأننا لسنا متخصصين بالتقييم الفني للخطوط والجلد والحبر ونحوه .

١ – رغم أن الأساليب الحديثة المستخدمة في فحص الوثيقة تشير إلى أنها ترجع إلى زمن كتابتها، أي قبل أكثر من أربعة عشر قرناً إلا أن التفاصيل الأخرى مثل :

(أ) عدم ذكر مصدر العثور عليها وأين كانت محفوظة، خاصة وأنها كتبت على الجلد الذي يبلى بتطاول الأزمان ويتحول إلى اللون الأسود، إذ ورد في (المنهج العلمي لصيانة المخطوطات والأخشاب والمنسوجات الأثرية والجلود) أن جلود الكتابة هي جلود من الناحية الفنية والعلمية غير مدبوغة جيداً أو غير مدبوغة، أي أنها تتلف بالتعرض للماء أو الرطوبة العالية لتتحول إلى كتلة جيلاتينية . كما أنه في وجود آثار من معدن الحديد فإن الجلد يصفر لتكون إيدروكسيد الحديديك فيه . هذا بجانب أن ارتفاع الرطوبة يؤدي إلى نمو الفطريات المحللة على الجلود الذي غير المدبوغة وخاصة الفطريات المحبة للحديد وتبعا للخاصية الهيدروسكوبية للمواد العضوية ومنها الجلد . فإنه كما تمتص هذه المواد الرطوبة يمكن أن تفقدها إذا تعرض لجو جاف – وهذا يؤدي إلى جفاف الجلد وتصلبه وتشققه والتوائه وانفصال الطبقات الملونة من على سطحه في صورة قشور . لذلك فإن أهم نصيحة لحفظ جلود الكتابة هي توفير جو ثابت من الرطوبة

نسبة محيطه ٥٥٪ وحرارة ٢٠٪ وجو نظيف خال من التلوث الهوائي الحمضي خاصة غاز ثاني أكسيد الكبريت . وكذلك عدم ملاسة الجلد للأسطح الحمضية أو التربة الحمضية . فالحموضة الزائدة أيضا آفة من آفات جلود الكتابة .

إن التقادم الزمني للجلد المدون عليه الكتابة يؤدي إلى تغيرات متلفة تظهر في صورة تغيرات فزيو كيميائية كالتشققات . ومنها الظروف المحيطة بها مثل الحرارة والرطوبة والضوء والتلوث الهوائي . ومنها عوامل التحلل البيولوجي من حشرات وقوارض وفطريات وغيرها .

والحالة هذه من استخدام أساليب التحكم في درجة الرطوبة النسبية والحرارة وذلك بحفظها في المتاحف والمكتبات المكيفة تكييفا مركزيا . أو في استخدام أجهزة مانعة للرطوبة . ولما كانت هذه الرسالة لم تحفظ في متحف ولم تستخدم لها أساليب التحكم بالرطوبة أو الحرارة أو الجفاف، هذا إذا لم تسلم من الحشرات وهي كثيرة ومتنوعة .

(ب) من قام بإعادة كتابتها وفقا للأسلوب الحديث المتداول .

٢ — الوثيقة، كما يظهر، ممزقة وغير مقروءة بوضوح تام فكيف تم إدخال الحروف والكلمات في الأماكن الفارغـة أو المجهولة ؟ وهل كان ذلك مـجرد قياس ؟ وهذا يخل بصحتها وبمحتوياتها . أما الكلمات المنسوبة إلى الوثيقة غير المقروءة بوضوح في الأصل فهي :

السطر الأول : (إلى) بالأخير .

السطر الثالث : في آخره (اله الا) .

السطر الرابع : في آخره (أذكر) .

السطر الخامس : في آخره (ويطع ر)

السطر السادس : إن الكلمات التالية غير مقروءة وهي : (ويتبع .. ومن نصح لهـم فقـد نصح لي) .

السطر السابع : بالأخير (وعفوت عن أهل) .

السطر العاشر : (أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية) .

٣ – يظهر أن بعض الكلمات أدخلت من السياق وبعضها أضيفت فلا توجد في الأصل مثل : (يهوديته ومجوسيته) في السطر الأخير .

٤ – أن الكتابة خالية من التنقيط والإعراب وأن هناك اختلافات في مقاسات الكلمات والمسافات فيما بينها .

٥ – من الصعب إثبات أو نفي أصالة هذه الوثيقة وأنها هي التي أرسلت إلى المنذر بن ساوى دون أن تذكر ذلك المصادر التاريخية بل ذكر نصها .

٦ – وأخيراً فإن مصادقة الوثائق من الناحية الفنية يتطلب والحالة هذه شهادة شاهدين فنيين على الأقل لأننا لسنا مختصين بالتقييم الفني للخطوط على الجلد والحبر ونحوه . وقد اجتهدنا أمرنا ولكل مجتهد نصيب وفوق كل ذي علم عليم .

٥ – وأشهد أن محمداً رسول الله .

٦ – مترد وليس متردد .

٧ – وهو الذي كان قد تولى الملك بعد عمه الأسود بن المنذر سنة (١٢هـ/٦٣٤م) وهو المنذر الخامس الملقب بالغرور واستمر على ملك الحيرة إلى أن قتل بالبحرين (يوم جواثا)، وهي مدينة بالبحرين وفيها حصن بنفس الاسم وقد وصفه البلاذري بأنه حصن البحرين .

ويروى البخاري بسند عن ابن عباس انه قال (أول جمعة جمعت بعد جمعة جمعت في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبد القيس بجواثا من البحرين، مما يدل على أن المسلمين اتخذوها قاعدة رئيسية لهم، كما كانت مركزا تجاريا مهما .

وفي سنة ١١هـ حاصر المرتدون المسلمين في جواثا مدة طويلة حتى كادوا أن يهلكوهم جوعا وقد قاتلهم العلاء الحضرمي فيها، فقتل منهم عددا كبيراً، واستولى المسلمون على ما في معسكرهم من أمتعة وأسلحة وذلك في عام ١٢هـ . وقد قتل المنذر بن النعمان بن المنذر الملقب بالغرور في جواثا .

وجواثا اليوم تقع شرقي قرية الكلابية الحالية، ولم يبق من آثارها سوى فوهة العين وأطلال المسجد، وهو في وسط موضع القرية، وهي بقية من جداره القبلي وخمسة أساطين من رواقيه

الثاني والثالث في الجهة الجنوبية، وقد غطت الرمال كثيراً من باقي آثاره . أنظر : النجم عبد الرحمن. البحرين في صدر الإسلام وأثرها في حركة الخوارج . طبع بغداد، ١٩٧٣م، ص٦١و٦٢ .

وهو آخر الملوك اللخمية الذين كانوا عمالا للأكاسرة على عرب العراق . ثم أتى بعد المنذر المذكور خالد بن الوليد تخفق فوق رأسه راية الإسلام فتغيرت البلاد وتخلصت من ظلم الظالمين وجور الجائرين وفساد المفسدين والأيام دول (وتلك الأيام نداولها بين الناس) ا.هـ المؤلف :

٨ - أنظر : رواية سنان في البحرين درة الخليج العربي، ط١، بغداد ١٩٧٣م، ص٥١-٥٣ .

٩ - مغازه والصواب (مفازه) .

١٠ - الزارة : وهي ميناء على الخليج العربي قريبة من القطيف . وهي من مدن البحرين المشهورة المهمة وكان فيها مرزبان فارسي مما يدل على أنها كانت مركزاً إدارياً مهما، وقد استغل المكعبر مرزبان الزاره حوادث الردة فتحصن بها وأعلن التمرد، وانضم إليه المجوس الذين تجمعوا بالقطيف وامتنعوا عن أداء الجزية، وقد حاصرها العلاء بن الحضرمي في خلافة أبي بكر، وتم فتحها في أول خلافة عمر بن الخطاب ﷺ عام ١٣هـ، وذلك بعد مصرع المكعبر على يد البراء بن مالك، وحبس المياه عنها، فاضطر أهلها إلى التسليم وصالحوه على ثلث المدينة، وثلث ما فيها من الذهب والفضة وعلى النصف مما كان خارجها . وقد درست الآن، وفي موقعها الرمادة، في قرية العوامية في القطيف، في شماله، داخل نخيله، والبحر يبعد عنها بمسافة تزيد على الميلين، وسمي موضعها بالرمادة بسبب إحراقها . أنظر : النجم، ص٦١ .

١١ - وما قيل من أن العلاء توفى سنة (١٤) فضعيف حيث أن العلاء هو الذي فتح فارس سنة (١٨هـ) اهـ مؤلف .

١٢ - ولاة البحرين في القرن الأول الهجري :

العلاء بن الحضرمي	الرسول ﷺ
العلاء بن الحضرمي	أبوبكر الصديق ؓ
العلاء بن الحضرمي	عمر بن الخطاب ؓ
عياش بن أبي ثور	
قدامة بن مظعون	
أبو هريرة	
الربيع بن زياد الحارثي	
عثمان بن أبي العاص	
عثمان بن أبي العاص	عثمان بن عفان ؓ
عبد الله بن سوار العبدي	
مروان بن الحكم	
عمر بن أبي سلمة	علي بن أبي طالب ؓ
النعمان بن العجلان الأنصاري	
قدامة بن العجلان	
عبيد الله بن العباس	
الأحوص بن عبد أمية	معاوية بن أبي سفيان
مروان بن الحكم	
سعيد بن الحارث الأنصاري	يزيد بن معاوية
ابن اسيد بن الأخنس بن شريق الثقفي	ولاة عبد الملك بن مروان
سنان بن سلمة بن المحبق الهذلي	
موسى بن سنان	
سعيد بن حسان الأسيدي	
زياد بن الربيع الحارثي	
محمد بن صعصة الكلابي	
قطن بن زياد بن الربيع الحارثي	
قطن بن زياد بن الربيع الحارثي	
الأشعث بن عبد الله بن الجارود	الوليد بن عبد الملك
صلت بن حريث	سليمان بن عبد الملك
عبد الكريم بن المغيرة	عمر بن عبد العزيز
إبراهيم بن عربي	
محمد بن زياد بن جرير بن عبدالله البجلي	يزيد بن عبدالملك
هزاز بن سعيد	هشام بن عبدالملك
يحيى بن إسماعيل	
يحيى بن زياد بن الحارث	
عبدالله بن شريك النميري	
محمد بن حسان بن سعيد الأسدي	
المهاجر بن عبدالله الكلابي	
محمد بن حسان بن سعيد الأسدي	الوليد بن يزيد
بشر بن سلام العبدي	مروان بن محمد

وقد ذكر من ولاتها أيضا قطن بن مدركة اللابي وبلج بن المثنى وحسان بن سعيد الأسدي . أنظر : البحرين في صدر الإسلام، بغداد ١٩٧٣م، ص ١٥٣و١٥٤ .

١٣ - قام الخوارج بعدة هجمات على (البحرين) وجزرها وأهمها ثلاث هجمات :

في عام ٦٧هـ/٦٨٦م بقيادة نجدة بن عامر فهاجم بني عبد القيس في القطيف فانتصر عليهم .

وفي عام ٦٩هـ/٦٨٨م عاد نجده للبحرين . ولكن عبد الملك أرسل له جيشا عام ٧٣هـ/٦٩٢م فهزم قائد الخوارج (أبي فديك) واستولى الأمويون على البحرين وولى عليها الأشعث بن عبد الله العبدي .

وفي عام ٨٩هـ/٧٠٧م تمكن الخوارج ثانية من الثورة بنجاح بقيادة مسعود العبدي في (البحرين) إلى أن هزمهم والي اليمامة ١٠٥هـ/٧٢٣م فأبعدهم عنها . أنظر : البحرين عبر التاريخ، ط٣، جـ١، طبع البحرين ١٩٨٢م، ص١٣٤ .

١٤ - العبيدي : والصواب العبدي .

١٥ - انطلقت انتفاضة الزنج في يوم الاثنين ٢٦ رمضان ٢٥٥هـ الموافق ٦ سبتمبر عام ٨٦٩م . ولد داعية زعيم الزنج في (ورزنين) من بلاد الري قرب طهران من بلاد فارس . وظهر من بينهم علي بن محمد بن عبد الرحيم ليتزعم الحركة في بلاد البحرين، وأعلن نفسه المهدي، فأحرز نجاحا في بداية الأمر في هجر (قصبة البحرين) ثم ما لبث أهلها أن استنكروا دعوته فقاتلوه حتى اضطر للخروج من ديارهم متجها صوب البادية فهزمهم (العريان بن هيثم) وتفرق اتباع زعيمهم فتوجه إلى البصرة عام ٢٥٤هـ/٨٦٨م فطرده أهلها خارج حدودها . ثم ثار ثانية في ٢٥٥هـ/٨٦٨م ولكن ثورته باءت بالفشل، إذ قضى على حركته الموفق العباسي وقتل صاحب الزنج في صفر عام ٢٧٠هـ/٨٨٣م . أنظر : الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة وعبد الملك الحمر، البحرين عبر التاريخ، الجزء الأول، ط٣، ١٩٦٩م، طبع البحرين، ص١٣٥-١٣٦ ؛ ومحمود بهجت سنان، البحرين درة الخليج، ط ١٩٦٣م، طبع بغداد، ص٦٧-٧٢ .

١٦ - وكانت بداية نهاية القرامطة أو مصيرها تحدده جزيرة أوال على يد أبي البهلول . والذي قضى على نفوذ القرامطة نهائيا هو (عبد الله بن علي العيوني) بمساعدة ومدد الدولة السلجوقية، وأعلن نفسه أميرا على الأحساء . ولكن ابن العياش الذي ضم البحرين إلى إمارته القطيف، إلا أن عبد الله بن علي العيوني حاربه واحتل القطيف وأرسل نائبه الفضل إلى البحرين فقضى على بقية القرامطة . وبدأت هذه الحركة في الظهـــور في العقد التاســـع من

القرن الثالث الهجري . وأبرز زعمائها حين قيامها حماد (حمدون) قرمط الداعية و (زكروية بن مهرويه) الرأس المدبر ويمثله في البحرين (أبو سعيد الجنابي) ثم أبناؤه من بعده . وفي ٣١٧هـ/ ٩٢٩م هاجم (سليمان أبو طاهر) مكة في يوم التروية وهو الثامن من شهر ذي الحجة وقتل ونهب لمدة اثني عشر يوما واقتلع الحجر الأسود ورجع به وبغنائمه إلى الأحساء . أنظر : الوثيقة، العدد الأول، يوليو ١٩٨٢م، ص١٥٦-١٦٥ .

١٧ - أبو البهلول وابن العياش . أنظر : الوثيقة، العدد ٣٨، يوليو ٢٠٠٠م، ص١٤-٢٧ .

١٨ - وكان للعوام أخ يسمى مسلما ويكنى بأبي الوليد .

١٩ - أنظر : الوثيقة. العدد الأول، يونيو ١٩٨٢م ص١٢-٣٥ ؛ واخترمه : أهلكه واستأصله . أنظر المنجد، ط٢٤، بيروت، ص١٧٧ .

٢٠ - أنظر : الوثيقة، العدد ٤٧، الهجرات العربية عبر التاريخ ومنهم الهولة، ص٧٧-١٣١ .

٢١ - إن الذي احتل بغداد قبله هو (هولاكو) .

٢٢ - الخليج بدلا من خليج فارس . وموانئ وجزر بدلا من مدن الخليج .

قوله : حارب السلطان سليمان القانوني البرتغاليين وأخرجوهم من أرض الهند بعد قتال شديد (ولكنهم بقوا في جوا) . لكن الجيش العثماني بقيادة سليمان باشا وزير مصر يومئذ هو الذي قاد الحملة ولكنه أخفق أمـام ثغـر (ديو) وقفل راجعاً بالغنائم وذلك في أيام السلطان سليمان القانوني .

٢٣ - في ط٢، ٩٦٩ خطأ والصواب في ص١٠٤ قوله : (وقد جددت هذه القلعة في شهر شعبان عام ثمان وستين وتسعمائة) . (الوثيقة، العدد ١، البحرين، يوليو ١٩٨٢م، ص١٣٦.

٢٤ - والصواب لتجديد بروج قلعة البحرين وليس لتحديد قلعة البحرين . على يد العبد فيروز في زمن وزارة جلال الدين بن مراد شاه في شعبان ٩٦٨هـ (انظر الصورة المرفقة) . هامش ص٦١، ط١ - ص١٠٤، ط٢ .

٢٥ - ولم يحتل البرتغاليون أرض الهند وإن استدرك فقال : (واحتلوا أهم ثغورها وهي (جوا) .

واحتلوا ثغور الهند (جوا) .

الهولنديون لم يحتلوا البحرين ولم يذكر هذه الفقرة في ط٢، ص١٠٥ .

٢٦ – وفي الطبعة الأولى، ص٦٠، قوله : ثم في سنة ٩٣٢هـ استولى البرتغاليون على أغلب (مدن) خليج (فارس) . وقال صاحب معجم البلدان : كان ذلك في سنة ٩٢١هـ . وبنوا غربي المنامة قلعة . أما الطبعة الثانية فإنه صححها فقال : وفي سنة ٩٢١هـ/١٥١٥م وهو الصواب . وتصحيح جملة (أغلب مدن خليج فارس) والصواب (أغلب موانئ وجزر الخليج) . وفي الصفحة ١٠٦ (عند مدخل الخليج) .

٢٧ – ورد ذكر كتاب (التحفة الحليمية) : أن العثمانيين هم الذين أخرجوا البرتغال من الخليج جميعه . والصواب أن عرب الخليج هم الذين أخرجوا البرتغال من بلادهم . إن الذي أخرج البرتغاليين من الخليج هو الجهاد الذي اشترك فيه سكان الخليج وسكان البحر الأحمر ومنهم المماليك والعثمانيون ثم سكان المغرب العربي وكذا مسلمو الهند . أنظر : الوثيقة، العدد ٣٣، يناير ١٩٩٨م، ص٣٢–٤٠ .

٢٨ – ١٠٣٩هـ الموافق ١٦٢٩م .

٢٩ – أرسل الشاه عباس الصفوي جيشا لاحتلال البحرين بقيادة (قوليخان) فاحتلها سنة ١٠٣١هـ/ ١٦٢٢م . ونصب الصفويون على البحرين (سوندك سلطان) . وفي ١٠٤٣هـ/١٦٣٣م، عزل (سوندك) إلا أنه توجه بهدايا للشاه، منها سيف (تيمور لنك) فأعاده إلى البحرين ثانية . ثم عزل وخلفه قزاغا . أنظر : الوثيقة، العدد الأول، يوليو ١٩٨٢م، ص٨١ و٨٢ .

٣٠ – الشاه عباس الصفوي وقد حكم من سنة ٩٩٦هـ/١٥٨٧م إلى سنة ١٠٣٨هـ/١٦٢٨م . وكان حامي المذهب الشيعي، بينما كان الترك حماة المذهب السني في ذلك الزمن الذي تميز بالطائفية الرعناء، التي أضعفت المسلمين والعرب ولا تزال تفرقهم فتجعلهم بعد ذلك لقمة سائغة للدول الطامعة . أنظر : أبو البحر الخطي، الديوان، ص١٨، طبع طهران ، والوثيقة، العدد الأول، يوليو ١٩٨٢م، هامش رقم ٨٠ .

٣١ – إن دولة الجبور ظهرت في الأحساء وأنها تنسب إلى (جبر بن حسين (حصين) بن ناصر بن عقيل) وبذلك فان (جبر) يعتبر هو رأس هذه الأسرة أو هذه الدولة . و(زامل بن جبر) هو أول حاكم من الجبور في سنة ٨٥٢هـ، وتوفي ٨٦٦هـ، وخلفه (سيف بن زامل) ثم (أجود بن زامل) ثم (محمد بن أجود بن زامل) ثم (مقرن بن أجود بن زامل) الذي حارب البرتغاليين في ٩٢٨هـ في الهجوم الرئيسي يوم ١٥ يونيو ١٥٢١م . وزال حكم الجبور من الأحساء في ٩٣٢هـ/١٥٢٥م

وقيل في سنة ٩٩٩هـ/١٥٩٠م أو في قول آخر عام ٩٢٦هـ/١٥١٩م . أنظر : مجلة الوثيقة، العدد الثالث، يوليو ١٩٨٣م، ص٧٩-٩٨ .

٣٢ - القدرية قد اتخذوا اسمهم من أنهم أنكروا الجبر وأضافوا إلى الإنسان قدرة، أو قدرا على فعل الخير والشر . وقد ظهر القدريون بين ٥٠ و ٧٠هـ في الشام .

ولما حرر الخليفيون البحرين وانضمت إلى الحظيرة العربية .

٣٣ - الغالي، والصواب (الغالي) .

أنظر : الوثيقة، العدد الثالث، يوليو ١٩٨٣، ص٢٢-٢٤ .

٣٤ - نادر شاه : ولد في خيمة بمدينة (مشهد) شمال شرقي إيران وكان أبوه فلاحا فقيرا . ولد في شهر محرم ١١٠٠هـ الموافق ٢٢ نوفمبر ١٦٨٨م، وتوفي في (فتح أباد) سنة ١١٦٠هـ الموافق ١٧٤٧م . كان أول أمره (جمالا) يرعى الجمال وينقل عليها الأحمال . ثم دخل في خدمة الشاه (حسين صفوي) وبعد سقوط العاصمة أصفهان بيد الأفغان ثار عليهم وقاد جيش (طهما سب الثاني)، فطرد الأفغان فقبض على طهما سب الثاني وسجنه في ٢٢ أغسطس ١٧٣٢م، وفي اليوم التالي أعلن نادر شاه أن عباس الثالث هو الشاه وكان طفلا صغيرا .

فقام نادر شاه الأفشاري بالدعوة لإعادة قوة دولتهم وذلك سنة ١١٣٢هـ الموافق ١٧١٩م . وشرع في استرجاع بعض الممالك باسم هذا الطفل (الشاه عباس الثالث) . ولما استرجع معظم ما انسلخ من مملكتهم عرض عليه الوزراء السلطنة لنفسه فأبى ثم ألحوا عليه فقبلها وفق شروط هي :

(أ) لا أحد يهجر نادر شاه أو يؤيد أيا من الصفويين .

(ب) يحل مذهب السنة محل مذهب الشيعة كما تلغى كافة التقاليد والطقوس للشيعة لأن تبني الشاه إسماعيل الصفوي مذهب الشيعة كان قد أدى إلى إراقة الدماء بين إيران والعثمانيين . وإذا أرادت إيران أن يكون نادر شاه ملكا فعليها أن تترك مذهب الشيعة الذي خالف دين الرسول وتتبنى مذهب السنة . ونظراً لأن الإمام جعفر الصادق نزل من سلالة الرسول ﷺ فطريقته تكون طريقة إيران وعلى إيران أن تعتبره رئيسا لطائفتهم .

ورغم أن نادر شاه كان من الشيعة سابقا وفي بعض الأحيان قد أظهر حماسا لمذهب الشيعة وتقاليده، إلا أنه لم يكن صادقا في أمور الدين واستغله ليخدم مصالحه الذاتية كلما لزم الأمر، ولم يكن الغرض من اختياره مذهب السنة إلا إرضاء الأتراك مؤقتا، ومن ناحية أخرى، أن نداءه لتوحيد الصفوف بين المذهبين كان وراءه طموحه ليرأس العالم الإسلامي كله . وطلب نادر

شاه في منتصف القرن الثاني عشر الهجري من السلطان العثماني الاعتراف بالمذهب الجعفري مذهبا خامسا، فجمع شيخ الإسلام بالدولة العثمانية، جمع كبار العلماء، ودرس موضوع الاعتراف هذا معهم إلا أن المجلس العلمي حكم على ما يسمي بالمذهب الجعفري بعد دراسته وبحثه برفضه الطلب، وصدرت الفتوى بذلك من شيخ الإسلام في شعبان ١١٥٧هـ . فتوج سلطانا عام ١١٤٨هـ الموافق ١٧٣٥م وهو أول ملك من ملوك فارس الأفشاريين . وهو ينتسب إلى قبيلة (أفشار) وهو من أصل تركي من بقايا المنغولية . ففتح قسما من آسيا الوسطي والهند حتى وصل دلهي .

وطلب من والي شيراز (ميرزا تقي خان) أن يحتل البحرين وكان عليها (الشيخ جباره) الهولي الذي كان يؤدي العمرة في مكة المكرمة والذي جعل (غيث وأخاه نصر) نائبين عنه مكانه فلم يستطيعا المقاومة، ففرا هاربين، واستولى عساكر نادر شاه على البحـــرين . حدث ذلك عام ١١٥٠هـ/١٧٣٧م .

ولم يمكث حكم نادر شاه للبحرين سوى عام أو اقل من عام ففي العام التالي هاجم إمام مسقط (سيف بن سلطان) البحرين واستولى عليها . ولكن نادر شاه استعاد البحرين في العام التالي، أي سنة ١١٥٢هـ/١٧٣٩م، على يد عامليه محمد تقي خان وكلب علي خان وقتلا إمام مسقط واستوليا على البحرين وعين نادر شاه من قبله آل مذكور .

وآل مذكور : ينتسبون إلى (النصور)، وهم من عرب الهوله من (مطاريش) عمان، وقيل أنهم ينتسبون إلى (البومهيير) من أعراب نجد . ومن آل مذكور الشيخ (جبارة) الذي سبق أن حكم كنكون وكونج وميناء (طاهري)، الميناء العربي المعروف باسم (سيراف) . أما (البحرين) فقد كانت تحت نفوذ إمام مسقط حتى ١١٣١هـ/١٧١٨م حيث أمّر الشيخ جباره بمساعدة الإيرانيين ضد إمام مسقط فانسحب المساقطة من البحرين ودفعت البحرين إتاوة إلى إيران . ولما ضعفت الدولة الفارسية استقل الشيخ جباره حوالي عام ١١٣٤هـ/١٧٢١م وقيل أنه أصبح حاكما عام ١١٤٣هـ/١٧٣٠م، وذلك بالتعاون مع راشد بن مطر القاسمي حاكم (باسيدو) وبقي الشيخ جباره حاكما مستقلا حتى عام ١١٥٠هـ/١٧٣٧م .

وقصة احتلال نادر شاه للبحرين أنه طلب من الشيخ جباره والشيخ راشد بن مطر (حاكم باسيدو) أن يقمعا حركة قام بها (أحمد المدني) في جنوب إيران فلم يجيباه لطلبه فارسل جيشا يقوده (ميرزا تقي خان) فاحتل البحرين .

وكما ذكرنا استعادها سلطان مسقط في العام التالي ثم عاد نادر شاه واحتلها مرة أخرى بعد عامين من احتلاله الأول وقيل أن الشيخ جباره وهو الذي استعاد البحرين من نادر شاه، بعد أن قام الشيخ جباره بحصار قلعة البحرين واستعادتها، فبقي حاكما عليها حتى وفاة نادر شاه عام ١١٦٠هـ/١٧٤٧م وفي قول أن الشيخ جباره عينه على البحرين بعد الاحتلال الثاني، وبذا استقلت البحرين عن النفوذ الأجنبي .

وجدير بالذكر، فإن العتوب حين قدموا في عام ١١١٢هـ/١٧٠٠م من قطر دخلوا البحرين وحدثت وقعة كان العتوب طرفا فيها وأكدت وثيقة عثمانية تلك الحقيقة .

وأن عتوب البحرين (آل خليفة وآل صباح والجلاهمة ومن والاهم) تعاونوا مع الهوله فهاجموا البحرين وذلك عام ١٧٤٠م، إلا أن قبيلة (الحرم) فرضت سيطرتها على البحرين في ١٧٤٦م وقد جاءت من منطقة (نانبد)، إلا أن المصادر الأخرى لم تؤكد هذه المعلومة . وفي شتاء عام ١٧٤٦م استطاع عرب بوشهر بالتعاون مع شيخ قوي قرب البحرين (ربما كان من بني خالد) أن يستولى على سفن الأسطول الفارسي .

وفي ١١٩٧هـ/١٧٨٣م كانت البحرين مهيأة لقبول أي حاكم عربي يسود في عهده الأمن وتستقيم العدالة الاجتماعية . فلما قدم العتوب كان الظرف مناسبا لهم لفتح البحرين . فقضوا على النفوذ الأجنبي وعادت البحرين إلى الحكم العربي منذ ذلك التاريخ حتى الوقت الحاضر .

أنظر : المنجد ٧٠٣، ط٢٤ ؛ ولو كهارت، نادر شاه، ص١٧ و٢١ ؛ ولوكهارت، نادر شاه، ص١٠٠ ؛ ووثيقة رقم ٣٧٩٨ دفتر همايون رقم ٨ صفحة ٢٠٤-١٩٩، في شعبان ١١٥٧هـ وشعبان ١١٥٩هـ، ص١٣٧-١٤٠ ؛ والنبهاني، التحفة النبهانية، ص١١٢ و١١٣، ط٢، مصر ؛ ولوكهارت، نادر شاه، ص١٧، باللغة الإنجليزية ؛ والنبهاني، ص١١٣ ؛ والضوء الأول، ص٥٠ ؛ ويوسف الدرازي، لؤلؤتي البحرين، ص٢٤٠ و٢٤١، ووثيقة عثمانية، دفتر مهمة رقم ١١١، صفحة ٧١٣ ؛ و سلوت، عرب الخليج، ص ٢٩٨ و٣١٠ .

٣٥ – شجرة حكام آل مذكور في البحرين .

٣٦ – الصواب (تحرين) آل خليفة للبحرين .

٣٧ – **الاصطلاحات في تقسيم القبائل** :– قال السيد أبو البركات الجواني :

أن جميع ما بنت عليه العرب في نسبها أركانها وأسست عليه بنيانها عشر طبقات :

الطبقة الأولى :– الجذم، وهي الأصل، إما إلى عدنان وإما إلى قحطان .

الطبقة الثانية :- **الجماهير**، أي الجماعات .

الطبقة الثالثة :- **الشعوب**، وهي التي تجمع القبائل .

الطبقة الرابعة :- **القبيلة**، وهي التي دون الشعب وتحتها وإنما سميت قبيلة لتقابل بعضها ببعض واستهوائها في العدد .

الطبقة الخامسة :- **العمائر**، وهي دون القبائل، وأحدها عمارة .

الطبقة السادسة :- **البطون**، وهي التي تجمع الأفخاذ .

الطبقة السابعة :- **الافخاذ**، وأحدها فخذ، وهي أصغر من العشائر .

الطبقة الثامنة :- **العشائر**، وهي التي تتعاقل إلى أربعة .

الطبقة التاسعة :- **الفصائل**، وهي أهل بيت الرجل .

الطبقة العاشرة :- **الرهط**، وهي أسرة الرجل .

وتمثيل التفصيل : عدنان (جذم)، معد (قبائل)، جمهور (شعب) .

مضر (قبيلة)، خندف (عمارة)، كنانة (بطن)، قريش (فخذ)، (عشيرة)، عبد مناف (فصيلة). بنوهاشم (رهط) .

وقد اقتصر صاحب **صبح الأعشى** وغيره من النسابين : **على ست طبقات وهي :**

١ - الشعب . ٢ - القبيلة . ٣ - البطن . ٤ - الفخذ . ٥ - الفصيلة . ٦ - الرهط .

ومما يجب الإشارة إليه أن العرب يصنفون القبائل من حيث الجاه والكفاءة والنسب إلى الطبقات الآتية :-

الأولى : القبائل ذات العصبية وهي التي تتعادل في النسب .

الثانية : القبائل ذات العصبية ولكنها لا تستطيع ردها إلى أرومات عربية معروفة .

الثالثة : القبائل التي لا يعترف لها العرب بالأصل ويسمونها صلبة .

أنظر : أنساب العرب، سمير عبد الرزاق، ص٣٢ و٣٣ .

قال الكلبي والثعالبي أن تدرج القبيلة هكذا :

الشعب أكبر من القبيلة . ثم القبيلة . ثم العمارة . ثم البطن . ثم الفخذ .

وقال غيره : الشعب . ثم القبيلـــة . ثم الفصيلة . ثم العشيرة . ثم الذرية . ثم العترة . فالأسرة .

ويروى الماوردي وابن عبد ربه : شعب . قبيلة . عمارة . فخذ . فصيلة .

أنظر : آفاق الثقافة والتراث، العدد ٣٥، القبائل العربية في الخليج العربي، أكتوبر ٢٠٠١م. جعفر محمد السقاف، ص٩٧ و٩٨ .

٣٨ - تنبيه يطلق لفظ العتوب أو بني عتبة على آل خليفة وعلى آل صباح وعلى آل ابن علي وما سواهم فبالتبعية لهم . اهـ مؤلف .

٣٩ - ورد في الطبعة الأولى قوله : فصل في (محال) آل خليفة ومساكنهم ص٧٢ .

بينما ذكر في الطبعة الثانية قوله : فصل في (أماكن) آل خليفة ومساكنهم ص١١٩ .

ثم كتب في الطبعة الأولى قوله : وكان هو (الشيخ خليفـة) صاحب الرأي فيهـم ص٧٢ . وسكن هو وقومه الكويت لأسباب مجهولة بينما كتب في الطبعة الثانية قوله : وكان هو صاحب الرأي فيهم فاستحسن مبارحة نجد فظعن مع قومه ونزل بهم الكويت في القرن ١٢ لأسباب مجهولة ص١١٩ .

وفي الطبعة الأولى ص ٧٢ لم يذكر أسباب مبارحة الشيخ خليفة وقومه أرض الهدار إلى الخليج أما الأسباب فهي : راجع العدد الرابع من مجلة الوثيقة، ص١٧ .

أما أسباب هجرة آل خليفة من الكويت وتأسيسهم (الزباره) عام ١١٧٦هـ/١٧٦٢م وليس عام ١١٨٠هـ/١٧٦٦م . أنظر : الوثيقة، العدد (٤)، ص١٨ .

لم يكن أهل البحرين شيعة ولا شديدي التعصب على إخوانهم السنيين . وكذا لم يكن أهل البحرين من السنة متعصبين على إخوانهم الشيعة .

٤٠ - لم يكن بنو كعب أمراء (البصرة) بل (المحمرة) كما لم يكونوا من الشيعة، بل فيهم من أبناء السنة خاصة في تلك الفترة .

لم يرد عبر التاريخ ذكر الطائفة ولا القومية في أي إحصاء لسكان البحرين بل يطلب ذكر (ذكر أم أنثى) فقط .

وأول من عمر الزباره هو (الشيخ محمد بن خليفة) ثم التحق أحمد بن رزق في أيام الشيخ خليفة بن محمد بن خليفة .

وقد أكد ذلك الشيخ عثمان بن سند في سبائك العسجد، صفحة ١٨ و١٩ طبع بومباي، ١٣١٥هـ .

وجدير بالذكر فإن العتوب حين قدموا في عام ١١١٢هـ/١٧٠٠م من قطر دخلوا البحرين وحدثت وقعة كان العتوب طرفا فيها . وأكدت وثيقة عثمانية تلك الحقيقة، وأن عتوب البحرين (آل خليفة وآل صباح والجلاهمة ومن والاهم) تعاونوا مع الهوله فهاجموا البحرين وذلك عام ١٧٤٠م، إلا ان قبيلة (الحرم) فرضت سيطرتها على البحرين في ١٧٤٦م، وقد جاءت من منطقة (نابند) إلا أن المصادر الأخرى لم تؤكد هذه المعلومة . وفي شتاء عام ١٧٤٦م استطاع عرب بوشهر بالتعاون مع شيخ قوي قرب البحرين (ربما أنه من بني خالد) من أن يستولي على سفن الأسطول الفارسي .

وفي ١١٩٧هـ/١٧٨٣م كانت البحرين مهيأة لقبول أي حاكم عربي يسود في عهده الأمن وتستقيم العدالة الاجتماعية فلما قدم العتوب كان الظرف مناسبا لهم لفتح البحرين فقضوا على النفوذ الأجنبي وعادت البحرين إلى الحكم العربي منذ ذلك التاريخ حتى الوقت الحاضر .

أنظر : يوسف الدرازي، لؤلؤتي البحرين، ص٢٤٠ و٢٤١ ؛ ووثيقة عثمانية، دفتر مهمة رقم ١١١، صفحة ٧١٣ .

سلوت، عرب الخليج ص٢٩٨ و٣١٠ .

٤١ – تحرير وليس استيلاء لأن (الاستيلاء) أو الاحتلال للأجنبي إذا استولى على بلد عربي، أما (التحرير) فهو طرد الأجنبي من ذلك البلد على يد عربي .

٤٢ – وردت عشيرقا . والصواب : عشيرج .

٤٣ – لا تدعوهم يصيروا أسارى في أيدي العجم .

٤٤ – وفي قول أن الشيخ نصر آل مذكور هرب من المعركة إلى بوشهر تاركاً حتى سيفه الذي خسره في المعركة فآل إلى (سلامة بن سيف آل بنعلي) ثم آل السيف إلى الشيخ (سلطان بن سلامة) ثم إلى (مريم بنت سيف بن سلطان) . واستطرد راشد بن فاضل البنعلي بقوله : ثم وهبتني إياه فأهديته مع هذه الأبيات من الشعر إلى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود فقلت :

إن المآثر تنبي ذكر صاحبها بما عليه من الأفعال مذكور

أنظر : الوثيقة، العدد الرابع، يناير ١٩٨٤م . ص٢٤ . وراشد البنعلي، مخطوط ص٤ .

الحفاظ على الثقافة وا
التراث الشفوي والمكتوب



ادة التفكير في الماضي

في الإمارات العربية ودول الخليج

بقلم : ديل إف. إيكلمان

من الملائم جداً أن يقرن افتتاح مركز الشيخ زايد بإقامة ندوة دولية . فخلال العقدين الأخيرين، ظهر اهتمام كبير بالتراث والماضي عموماً وتنامي الوعي بأهميتهما والملاحظ أن فكرة التاريخ والموروث الثقافي المتجسدة في جهد خاص للحفاظ عليهما في الذاكرة الجماعية والأرشيفات والأماكن، قد أحدث دلالة خاصة في الخليج العربي الذي يعرف نمواً اقتصادياً سريعاً ومستمرا .

فلنفكر قليلاً في مدى الصعوبة التي يواجهها واحد من الجيل القديم في وصف الأحداث التي عايشها أفراد جيله في الفترة المبكرة من حياتهم . إذ الملاحظ في كثير من الحالات، أن الأماكن التي يحيلون إليها أصبحت مجرد ذكرى، أو أن بعض مظاهر التراث التي كانت ذات قيمة في الماضي أمست اليوم محرفة بشكل كبير .

ومن الجائز أن تستمر الحكايات والقصص المروية من الماضي في التداول في الوقت الراهن، لكن الأمكنة التي تحيل إليهـا لا توجد إلا في المخيلة الجماعية .

نعتقد أن مقارنة مظهر واحد مع ما عرفته أوروبا من تغيرات من شأنه أن يساعدنا على فهم التحولات العميقة في هذه المنطقة . إذ بمجرد مرور فترة قصيرة على تعميم التعليم في إنجلترا خلال الستينات من القرن الماضي، بدأ الناس ينظرون إلى أمكنة عيشهم بطرق مختلفة . فالتراث الشفوي سرعان ما بدأ يختفي من الشعور الشعبي تاركاً وراءه "فلكلوراً" أصبح من الضروري اللجوء إلى المختصين للحفاظ عليه .

وبالمثل كانت إحداث لجنة تينسي فالي **Tennessee Valley Authority** في الولايات المتحدة سنة ١٩٣٣ - التي قال أحد المختصين في الفلكلور عن أعمالها بأنها "أكثر جهود التخطيط مثالية وشمولية التي تمت محاولتها في الولايات المتحدة"[1] — والتي لم تغير المشهد الطبيعي وحسب لكن أدخلت أيضاً تغييرات واسعة على البنية التحتية بما حملته من كهرباء وتنمية مست أكثر الأودية بعداً وعزلة . فسرعان ما عوض التعليم المعرفة التي كانت متجذرة لدى الجيل السابق بصور أكثر توحيداً يشترك فيها كل فرد من أفراد الأمة . وقد أدت وسائل الاتصال على نحو مماثل - التي بدأت بجهاز الراديو في مرحلة مبكرة، ثم بجهاز التلفاز في مرحلة لاحقة . وانتهت اليوم إلى أشكال إلكترونية متعددة للترفيه والاتصال — إلى تغيير الكثير من معالم الأمكنة أو القضاء عليها .

وبالنظر لهذه التغيرات فليس مستغرباً أن نرى كثيراً من مواطني هذه المناطق يعملون على إنشاء مراكز للحفاظ على التاريخ والتراث . وفي بعض الدول، مثل سلطنة عمان فإن مصطلح "متحف" يخصص عادة للهياكل الرسمية، فإن المبادرات الخاصة مثل المبادرة الرائعة المتمثلة في "بيت الزبير" الذي افتتح في مسقط في ١٦ فبراير من سنة ١٩٩٨م، تنقصه التسمية الشكلية رغم أن أنشطته المتعلقة بجمع القطع الأثرية والمحافظة عليها وعرضها، تجعل بيت الزبير في الواقع يقوم بمهام المتحف . أضف إلى ذلك، أن التمويل الخاص لهذا البيت يدل على الجهود المحمودة لتلك الأسرة المرموقة التي تبذلها لصالح الجماعة — معظم الأشياء المعروضة هي في ملك أسرة الزبير . وتعتبر الجهود التي يبذلها علي أحمد الشحري بصلالة في سبيل الحفاظ على نقوش كهف منطقة الجبل مثالاً آخر على هذا النوع من المبادرات الخاصة[٢] . والبعض من هذه المبادرات ممول من قبل جامعي القطع الأثرية وعارضيها أنفسهم، في حين تعتمد مبادرات أخرى على الرعاية من بعض الجهات . وفي الحالتين معاً، تدل هذه الجهود على الرغبة المتنامية في الحفاظ على التاريخ المحلي وربط الصلة بالتيارات الحضارية على نطاق واسع .

ازدهر هذا النوع من المبادرات في الإمارات العربية في السنوات الأخيرة . فقد تميزت الندوة التي عقدت سنة ١٩٩٦ حول "كتابات الرحالة والمستكشفين" المتعلقة بالجزيرة العربية برعاية مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، بتظاهرة رائعة تمثلت في عرض مجموعات من الكتب والأشياء التاريخية المتعلقة بالرحلة من قبل جامعين آخرين

للتحف الأثريـــة مستقرين بمنطقة الخليج[٣] . وتدل الرعاية المشتركة لندوة الرحلة بين مركز الماجد والمؤسسات العمومية، بما فيها جامعة الإمارات، على التكامل بين المؤسسات العمومية والخصوصية . وقد كان جامعو التحف والراعون للندوة حاضرين كذلك تبدو على محياهم بهجة واضحة مصدرها اهتمام العموم بنشاطهم .

تتضمن "الثقافة" المظهر المادي للثقافة والفنون الاستعراضية المحلية، والتقاليد "الصغيرة" أو التواريخ القبلية الشفوية وعلاقتها بالتيارات الكبرى للتاريخ والعلوم الإسلامية . كما يمكن أن تتضمن كذلك بعض الطرق، التي غالباً ما لا ينتبه الناس إليها بأنفسهم، مثل تلك التي يتبعونها في لباسهم وحركاتهم وتحضيرهم للأكل واشتراكهم فيه، وكذا الموروث الشفوي والشعر المكتوب . وفيما يخص الإمارات العربية، فإن الدراسة التي قامت بها عايدة كنفاني منذ عشرين سنة ونيف توحي بالشكل الذي يمكن أن تتخذه دراسة ما هو ضمني ومسلم به فيما يخص أشكال الطعام والطقوس الجسدية وبالكيفية التي ترتبط بها بأفكار الفرد وكرم الضيافة[٤] . أما كتابها الأخير (الحاصل على جائزة) المتعلق بالأشكال التقليدية لتحضير الطعام وتصبيره في لبنان، فيوحي أيضاً بالشكل الذي يمكن أن تتخذه دراسة شاملة عن الطعام، كثقافة مادية وكجزء من تجربة اجتماعية أوسع[٥] .

سيقوم مركز الشيخ زايد بدور وسيط ثقافي "استراتيجي"[٦] . ويوضح الأمر أيضاً ريتشارد كورين، مدير قسم الفولكلور والحياة الشعبية بمؤسسة سميثسونيان، بأن وسطاء من هذا القبيل يتناولون الرموز ويبسطون الواقع لجعله صوراً مجردة يعيدون ترتيبها ويتلاعبون

بها ويقومون بتجريبها وينقلونها للآخرين ثم يعيدونها إلى الواقع الذي كانت عليه .

يكون على الوسطاء الثقافيين أن يعملوا مع عامة الناس . إذ يتعين عليهم بالفعل أن يخلقوا جمهوراً، وليس مجرد جمهور من نوع النخبة . فتمثلهم للماضي يحمل قوة موحية تثبت وتشكل أفكار الشعوب والأمم، واللغات والفنون والهويات الفردية والجماعيـــة . كما أنهم يتواصلــون مع جمهــور من مشارب مختلفة[٧] . ويتعين عليهم أيضا أن ينقلوا صورة إيجابية لجمهورهم وللراعين لهم .

ولإعطاء فكرة عن التعقيدات التي تتضمنها هذه المهام، أشير هنا إلى حادث أستقيه من البحث الميداني الذي قمت به سنة ١٩٨٠ . فقد وصلت في أواسط سنة ١٩٧٩م إلى حمرا العبريين بسلطنة عمان من أجل القيام ببحث لمدة سنتين . ومنذ وصولي إلى هناك سمعت من كثير من الناس عن مخطوط يتناول تاريخ العبريين من تأليف الشيخ إبراهيم سعيد العبري (الذي توفى سنة ١٩٧٥) الذي عين مفتياً في سنة ١٩٧٠ كأول مفتٍ لسلطنة عمان .

وقد قيل لي أن المخطوط "كتاب تبصرة المعتبرين في تاريخ العبريين" يتناول تاريخ العبريين لفترة تمتد أربعمائة سنة، بما فيها الأحداث التي عرفها تاريخهم إلى حين الفراغ من تحرير الكتاب سنة ١٩٥٩[٨] . أما رؤية المخطوط والاطلاع عليه فقد تعذر ذلك عليَ وعلى الآخرين . وفي ذلك الحين، كنت محتاراً ومتسائلاً عن سبب وجود مثل هذا الخلاف حول تدوين التاريخ القبلي أو حول جعل نسخة منه متوفرة للقراءة .

وأخيراً عرفت السبب . ذلك أن ذكريات الماضي لم تكن مستمرة أو ثابتة عند استحضارها . تبدو هذه الحساسية ظاهرة في مخطوط الشيخ إبراهيم ذاته . فكلما اقتربت روايته من الحاضر، أصبحت متشابكة ومعقدة في آن واحد، فهي متشابكة في استكشافها للصلات المعقدة بين العشائر والتحالفات بين القبيلة وبين القبائل، ومعقدة في وصفها للزعماء القبليين والدينيين والأدوار التي قاموا بها في الصراعات داخل قبيلتهم وبينها والقبائل الأخرى . وفي المراحل المتأخرة، تفادى الشيخ إبراهيم الخوض في بعض الموضوعات – بما فيها على سبيل المثال الجهود الأجنبية التي بذلت للتأثير على زعماء القبائل والعلماء في داخل عمان لتغيير مواقفهم في بداية الخمسينات، وكذا انتفاضة ١٩٥٧ ضد حكم السلطنة . حيث كتب بتحفظ ما معناه : "ليست لدي حاجة في أن أقول المزيد عما حدث لاحقاً"(٩) .

والسبب الذي دفع الشيخ إبراهيم في عدم قول المزيد عما حدث لاحقاً، هو تأكده بأن جمهور قرائه على معرفة بتلك الأحداث وكما هو الشأن في أوروبا قبل دخول المطبعة، فإن فئة من العلماء بعمان هي التي كان بإمكانها الوصول بشكل مباشر إلى المخطوط . وكان مخطوط الشيخ حساساً لجعله موضوع العلاقات بين القبائل وتراثها، الذي يتمتع بمرونة كبيرة، ثابتاً وقاراً على صيغة واحدة . فهو يحدد المسافات بين مختلف التجمعات القبلية ويعطي منظوراً أحادياً للأحداث . وعندما كان المخطوط يتداول بين النخبة القبلية، كان يقرأ أساساً من قبل أنصار موقف معين – مع الإشارة إلى أن كل نسخة منه كان لها مالك خاص ومسار محدد تتداول فيه . لم يكن وصولي إلى المخطوط يشكل

تهديداً مباشراً، غير أن إمكانية نشر الكتاب وأخذه من قبل الأجانب على أساس أنه سلطة حول تمثل العبريين لماضيهم، كان يشكل تحدياً لمفهوم أكثر مرونة حول الهوية القبلية وتقلبات هويات المجموعات القبلية .

وإلى وقت جد قريب، استمر هذا النوع من الانشغالات حاضراً في عمان . ففي سنة ١٩٨٦ ، عندما أقدمت وزارة الداخلية على نشر دليل عن المعالم التاريخية والأعلام البشرية وأسماء القبائل في السلطنة "المرشد العام للولايات والقبائل في سلطنة عمان"[١٠] ، كان عليها أن تسحب الدليل من التداول بسبب الاحتجاجات التي أثيرت من داخل الإدارة ذاتها، التي اعتبر فيها أن الدليل مثل "تمثيلاً خاطئاً" العلاقات بين المجموعات القبلية وعلاقاتها بالأمكنة .

وهذه الحساسية التي يثيرها تحويل التراث الشفوي من صيغته الأصلية إلى أخرى مكتوبة ليس منحصراً في الخليج العربي بل هي واسعة الانتشار في جهات أخرى حيث تلاقي الروايات المكتوبة عن التراث القبلي احتجاجاً متأصلاً وضيق الأفق وعدائي، على نحو ما أشار إليه عدد من البرلمانيين في الأردن، وما اكتشفه أيضاً أحد الباحثين في الأنتربولوجيا في محاولته لنشر كتاب عن التاريخ القبلي لهذا البلد . ففي الأردن كما في عمان، يرفض الكثير من رجال القبائل رواية تاريخ قبيلتهم أمام فرق قبلية أخرى بسبب الخلافات والنظرة التي ينظر بها الآخرون إلى تاريخهم والحكم عليه بـ "الكذب"[١١] .

يواجه مركز الشيخ زايد تحدياً كبيراً . ففي عملية المحافظة على التراث وذاكرة الماضي، لابد وأن يكون فيها أيضاً انتقاء وتمثيل لذلك

الماضي والتراث وإسقاط البعض منه . وبصورة مقصودة أو غير مقصودة، فإن المؤرخين والباحثين الآخرين المتعاونين مع المركز سيعملون على إبراز وعي فئات من الشعب ويحملون إلى الواجهة أماكن وفضاءات وأفكاراً لأسر وتسجيلات لأحداث الماضي[١٢] . ولعل التحدي الكبير يكمن في جعل الماضي ميسراً وسهل الوصول بالنسبة للجيل الجديد .

ديل إف. إيكلمان

جامعة دارتموث — الولايات المتحدة الأمريكية

الهوامش

١ — David E. Whisnant, Modernizing the Mountaineer: People, Power, and Planning in Appalachia (Knoxville: University of Tennessee Press. 1994). P. 43.

٢ — أنظر علي أحمد الشحري : "كيف ابتدينا وكيف ارتقينا بالحضارة الإنسانية من الجزيرة العربية . ظفار، كتابتها ونقوشها القديمة" . (طبعة خاصة) صلالة ١٩٩٤ .

٣ — والواقع أن "مكتبة التراث العربي والإسلامي" التي هي في ملك السيد حسن بن محمد بن علي آل ثاني من قطر، أقامت عرضاً بالمناسبة . كما كان هناك عرض لبعض الأشياء التي استعملها شارلز دوتي Charles Doughty أثناء استكشافه للجزيرة العربية . وقد جمعت المداخلات والعروض في كتاب يحمل عنوان : "كتابة الرحالة" دبي : مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث .

٤ — Aida S. Kanafani, Aesthetics and Ritual in the United Arab Emirates: The Anthropology of Food and Personal Adornment among Arabian Women (Beirut: American University of Beirut. 1983.

٥ — Aida S. Kanafani. Zahar. Mune: La conservation alimentaire traditionnelle au Liban (Paris: Edition de la Maison des sciences de l'homme, 1994).

وحتى الموسيقى عرفت بدورها تغيرات متزايدة . حيث يمكن للمرء القيام بمحاولة المحافظة على الأشكال الموسيقية القديمة عبر التسجيلات أو المعاهد الموسيقية أو تسجيل محتوى ما يذاع محلياً . ذلك أن التغيير غالباً ما يأتي من "تحت" . ويترتب عن ذلك أن الفرق الموسيقية التي تحيي الأعراس والحفلات تكون تحت ضغط متنام لكي تساير الذوق الشعبي السائد . ومن شأن اختيارات الحضور أن

تتضمن أنغاماً محلية وأخرى عالمية، كما يمكن أن تتضمن آلات موسيقية حديثة تغير من شكل أداء الموسيقيين وتفكيرهم بخصوص عملهم . فيما يتعلق بنقاش ممتاز لهذه التغيرات في وسط آسيا، أنظر :

Theodore Levin. A Hundred Thousand Fools of God: Musical travels in Central Asia (Bloomington: Indiana University Press. 1966).

وفيما يتعلق بنموذج إقليمي عن محاولة للقيام بجرد الأساليب الموسيقية، أنظر :

Issam El-Mallah, Die Musik einer alten Hochkuture: Das Sultanat Oman. (The Mnusic of an Ancient Civilization: The Sultanate of Oman). Muscat: Ministry of Information, 1994. (2 volume CD).

٦ – بالنسبة لنقاش ممتاز لمفهوم الوسيط الثقافي، أنظر :

Richard Kurin. Reflections of a Culture Broker: A view from the Smithsonian (Washington: Smithsonian Institution Press. 1997). Especially pp. 18-20.

٧ – أنظر : Kurin. Reflections, p. 20

٨ – إبراهيم سعيد العبري، "كتاب تبصرة المعتبرين في تاريخ العبريين"، مخطوط تم نسخه سنة ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م من قبل سعيد بن عبد الله بن محمد الداغري بطلب من الشيخ محمد بن أمير . وقد حصلنا على نسخة مصورة منه بعد الحصول على الإذن من الشيخ موسى علي العبري . وفيما يخص نقاشاً مستفيضاً لمحتوى مؤلف الشيخ إبراهيم العبري، أنظر :

Dale F. Eickelman. "Traditional Islamic Learning and Ideas of the Person in the Twentieth Century," in Middle Eastern Lives: Essays: on Biography abd Self-Narrative, ed. Martin Kramer (Syracuse: Syracuse University Press, 1991), pp. 35-59, 147-50.

٩ – العبري : " كتاب تبصرة المعتبرين" ص١٣٤ .

١٠ – سلطنة عمان، وزارة الداخلية : "المرشد العام للولايات والقبائل بعمان" (مسقط : وزارة الداخلية، ١٩٨٦) .

١١ – Andrew Shryock, Nationalism and the Genealogical Imagination: Oral History and Textual Authority in Tribal Jordan (Berkeley and Los Anglos, University of California Press, 1997), p. 11.

١٢ – فيما يخص دراسة متميزة عن التغير التاريخي للباس المرأة بالمناطق البعيدة بالمغرب، أنظر :

Amina Aouchar. "Pratiques vestimentaire et mutation socials en Haute Moulouya" (Dress and Social Change in the Upper Moulouya).. In Miroirs maghrebines: Itineraire de sol et paysages de rencontre, ed. Susan Ossman (Paris: CNRS Editions, 1998), pp. 57-75.

فحتى تلك الأمور الدنيوية البسيطة، من قبيل اللباس القبلي المتبع لدى المرأة والرجل على حد سواء، يمكن أن تصبح ذات دلالات جديدة في الوقت الراهن . فليس هناك ما يمكن أن نطلق عليه اللباس "التقليدي" للمرأة يكون قاراً وثابتاً عبر الزمن . فالأفكار عما هو "تقاليد" تتغير بسرعة .

دلمونية



فردوس السومريين

بقلم : عبد الجبار محمود السامرائي



يعد السومريون من أقدم الشعوب التي استطاعت وضع لبنات الحضارة الأولى في القسم الجنوبي من العراق القديم الذي عرف ببلاد سومر Summer، وكان ظهورهم على مسرح التاريخ في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد .

لقد بقي أصل السومريين مشكلة مثيرة للجدل لم تستطع حلها الدراسات اللغوية أو الإنتروبولوجية أو الآثارية . فهناك من الباحثين من قال أن السومريين ربما جاءوا إلى جنوب وادي الرافدين في العصر السابق لعصر الوركاء، أي في عصر العبيد(*)، من "دلمون" التي هي (البحرين)، وأنهم من بعد ذلك نزحوا شمالاً باتجاه القسم الجنوبي من وادي الرافدين الذي عرف فيما بعد ببلاد سومر[1] . وكانت البحرين "دلمون" محطة مهمة ينزل فيها الناس خلال هجراتهم نحو الشمال، كما كانت محطة للاتجار مع الهند والبلاد البحرية الأخرى[2] .

(*) عصر العبيد : ٥٣٠٠ — ٣٦٠٠ ق. م .

المنزلة الروحية لدلمون عند السومريين

برز اسم دلمون في النصوص السومرية على أنه أرض طاهرة، وأرض مقدسة، أشبه ما تكون بالفردوس ؛ المذكور في الكتب المقدسة، وتعد جنة عدن التي ذكرت في سفر التكوين من العهد القديم، أقرب شبه إليها، فهذه الفردوس تحوي أشجاراً باسقة، وأعناباً تشبه في وصفها جنة الخلد التي يذهب إليها الصالحون بعد مماتهم(٣) .

وكان موضع (الفردوس) بموجب القصة السومرية في أرض "دلمون" التي كانت جزيرة تتمتع بقدسية خاصة، وكانت فيها آلهة تَعبُد لها أهل العراق، وقد وصفت بكونها (أرض الخلود التي لايوجد فيها مرض أو موت أو حزن . . .)، كما جاء في النص الذي نشر لأول مرة في عام ١٩١٥م، وترجمه فيما بعد عالِم السومريات كريمر "**Kramer**" والمؤلف من ٢٧٨ سطراً، والمنسّق على هيئة ستة أعمدة، ويحمل عنوان (إنكي وننخرساك)، وأن أرض دلمون كانت مسرحاً له . يقول النص :

"مقدسة هي المدينة التي مُنحت لكم،
ومقدس بلد دلمون،
مقدس سومر، . . .
ومقدس بلد دلمون، بلد دلمون مقدس،
بلد دلمون نقي،
بلد دلمون مغمور بالنور، متميز بالإشعاع،



أنكي . . إله الميـاه العذبة السومري

يوم أُقيم، الأول في دلمون، حيث استقر إنكي مع زوجته،
أصبح المكان هذا نقياً ومشعاً بالنور .
الغراب لا يصيح في دلمون، والحجل لا تصَوْصو،
الأسود لا تقتل أحداً،
والذئب لا يلتهم الحمل الوديع،
لم يكن الكلب يتقن إخضاع الغزلان،
ولم يكن الخنزير البري يأكل الحبوب،
لم تكن طيور السماء تأتي لتنقر شعير الأرملة وهو يجَفّف على السطح،
ولم تكن الحمامة تحني رأسها،
ولم يكن أي مريض العينين يشكو من مرض عينيه،
ولا مريض الرأس كان يشكو من مرض رأسه،
لم تكن أية امرأة عجوز تقول : إنني عجوز،
ولا الرجل العجوز يقول : إنني عجون(٤) .

كما يتخلل النص كيفية تعيين الإله إنكي ابنته ؛ لتكون الإلهة الحامية لدلمون، حيث جاء في النص :

"ويجيب الأب إنكي ابنته نين – سيكيلا،
ليقيم أوتو [إله الشمس] المستقر في السماء،
بإحضار المياه الحلوة من الأرض،
من مصادر المياه من الأرض،

دعيه يجعل دلمون تشرب المياه بوفرة،
فلتنتج أطيانك وحقولك قمحها،
لتتحول مدينتك إلى مرفأ الأرض) .

كما يذكر النص بأن "ننخرساك" قد نجحت في إنبات ثماني نبتات في أرض دلمون، وبعد أن أكل الإله "إنكي" تلك النبتات وقع مريضاً، فغضبت ننخرساك وانسحبت من صحبة الآلهة، وهددت بعدم العودة حتى يموت الإله إنكي ؛ إلا أن الثعلب المكار نجح في إقناع ننخرساك بالعودة، فوافقت على علاج الإله إنكي، وفعلت ذلك عبر إنجاب ثماني معبودات وإله ؛ قمن بعلاج أمراض الإله إنكي .

أما الإله الذي وجدته ننخرساك فهو "أنشاغ" الذي يقابله الإله "أنزاك"، إله دلمون الذي عثر على اسمه منقوشاً على الحجر في البحرين .

إن دراسة النص الآنف الذكر ؛ تعطي مدلولات كافية على أن أرض دلمون كانت أرضاً طاهرة ومقدسة ، وأنها الفردوس المنشود بالنسبة للسومريين، الذين حاولوا جاهدين الوصول إليها، فقد كان كل فرد سومري يسعى للوصول إلى أرض دلمون، كي يجد ضالته المنشـــودة فيها[٥] .

دلمون . . أرض الأحياء

أما صفة (الفردوس) ؛ فتتأكد على دلمون، لكونها موطن الآلهة، من أسطورة سومرية أخرى، هي الأصل السومري لأسطورة الطوفان

البابلية على الأرجح، والتي يلعب فيها (أتونابشتم) دور شخص يسمى "زيوسودرا" في الأسطورة السومرية، (وهو الناجي الوحيد من الطوفان)، وكان ملكاً ورعاً مطيعاً للآلهة، وكان حاكما على بلاد سومر من عاصمته "شروباك"، وهو الذي نفذ أوامر الآلهة مثل "أتونابشتم" — الذي هو نوح السومريين — في بناء الفُلْك، وإنقاذ نفسه ومن معه في الفلك من الطوفان . وقد منح من جراء عمله هذا "حياة مثل الآلهة" — أي الخلود — وتنفساً أبدياً، ثم (نقل إلى دلمون، المكان الذي تشرق فيه الشمس) . وهكذا تعيّن الأسطورة فردوس السومريين بأرض دلمون(٦) .

وفي أسطورة (جلجامش وأرض الحياة) أو (أرض الأحياء) السومرية، نعرف بأن جلجامش بعد أن عرف مصيره : الموت عاجلاً أم آجلاً ؛ قرر السفر إلى أرض الحياة . وعلى الرغم من أن هذه الأسطورة لا توضح الجهة التي سافر إليها جلجامش، لذلك يرى بعض الباحثين أن تكون وجهته نحو بلاد دلمون، لأنها أرض الحياة الأبدية وموطن الآلهة، والمكان الذي سيجد فيه "أتونابشتم"، صانع الفُلْك .

ويتذرع الباحثون، لتأكيد ذلك بفقرة وردت في أسطورة (جلجامش وأرض الحياة) تشير إلى (مكان) وسفينة مكان . وبسبب ذكر (مكان) بدلمون في العديد من النصوص المسمارية ؛ فمن المرجح أن تكون وجهة سفر جلجامش صوب دلمون(٧) .

إن دلمون التي توجه إليها جلجامش ورد ذكرها في أسطورة "جلجامش وأرض الأحياء" السومرية في هذا النص :

" إلى أرض الأحياء تاق السيد إلى السفر،

إلى أرض الأحياء تاق جلجامش إلى السفر،

فقال لخادمه أنكيدو : إن الختم والآجر[٨] لم يأتيا بالمصير المحتوم بعد .

ولسوف أدخل أرض الأحياء وأخلد لنفسي هناك ذكراً .

في الأماكن التي رُفعت فيها الأسماء سأرفع اسمي،

وفي الأماكن التي لم ترفع فيها الأسماء سأرفع اسم الآلهة" .

فأجابه أنكيدو :

" أخبر أوتو، البطل أوتو[٩]،

فتلك الأرض في رعاية أوتو،

أرض الأرز الوحشية في رعاية أوتو، بلِّغ أوتو" .

فرفع جلجامش بيديه جِدْياً تام البياض، وضغط إلى صدره جَدياً أسمر، قرباناً، وأمسك بيده صولجان سيادته الفضيّ، وتوجه بالقول إلى أوتو السماوي :

"أي أوتو، إني لداخل أرض الأحياء فكن نصيري . إني لداخل أرض الأرز فكن معيني" .

فأجابه أوتو :

" إنك لمقاتل نبيل حقاً . ولكن، ما هي بغيتك في تلك الأرض ؟

"أي أوتو، سأتوجه إليك بكلمة علّك تصغي إليّ، وكلام أُسمعك إياه علّك تنصت إليّ :

في مدينتي يموت الرجل كسير القلب،

يقضي الرجل حزين الفؤاد .
أنظر من فوق السور،
ترى الأجداث الميتة طافية في النهر،
وأرى أني سأغدو مثلها حقاً .
فالإنسانِ مهما علا، لن يبلغ السماء طولاً، ومهما اتسع، لن يغطي الأرض عرضاً .
وما دام الختم والآجر لم يأتيا بالمصير المحتوم بعد،
سأدخل أرض الأحياء، وأخلد لنفسي هناك ذكراً .
في الأماكن التي رفعت فيها الأسماء سأرفع اسمي،
وفي الأماكن التي لم ترفع فيهـا الأسماء سأرفع فيها اسـم الآلهة"[١٠] .

المكانة الاقتصادية لدلمون بالنسبة للسومريين

يبدو واضحاً أن ثراء دلمون، وتوفر المواد الأولية فيها، والتي يندر وجودها في العراق، دفع بالحكام العراقيين لتعزيز أواصر الصلة مع دلمون[١١]، فضلاً عن أن النشاطات الاقتصادية والتجارية الواسعة التي كانت تنفذ من خلال الرحلات البحرية، هي التي هيأت الفرصة أمام جزر البحرين لتحتل مركز الصدارة .

وتوضح لنا رسالة قديمة بعث بها تجار عراقيون أو وكلاؤهم، يقيمون في دلمون، أو كانوا يذهبون إليها لشراء التمور، بأن هذه البلاد

كانت غزيرة في إنتاج التمور ؛ بحيث تعمد إلى تصديرها . ففي جملة لتحية من مقدمة الرسالة يرِد هذا النص :

" أرجو الإله أنزاك والإلهة مس كيلاك، إلهة دلمون أن تحمي حياتك، ومن حولي الأخلامو(١٢) أخذوا التمور(١٣) .

والأخلامو، كما يتوقع البعض، قبائل كانت تسكن الساحل، ومن المتوقع أنهم كانوا يهاجمون بسفنهم سفناً أخرى محملة بالبضائع التجارية .

ومن ترنيمة دينية، يرِد فيها على لسان الإلهة عشتار : "في أور، بيت/معبد يعود لي" .

وتنقلنا معلومات هذا الجزء المقتبس من الترنيمة إلى علاقات تجارية متطورة بين بلاد سومر ودلمون . ففي مدينة (أور)، شيد معبد خاص بالدلمونيين، وهي إشارة واضحة إلى جالية دلمونية كبيرة كانت ترعى المصالح التجارية بين أور ودلمون .

ونظراً لأهمية الجالية، وأهمية نشاطاتها التجارية، فقد أحاطتها الإلهة عشتار بحمايتها .

وتتضح المعلومات الاقتصادية لدلمون ومكّان في نصوص دينية أخرى . ففي قصيدة سومرية عنوانها (إنكي ونظام العالم) نقرأ :

"بلاد مكّان ودلمون، توجهت بأبصارها إلى إنكي، وملئت قوارب دلمون، وحملت قوارب مكّان بكل سعتها . ونقلت قوارب ماكليوم(١٤) الذهب والفضة من مليوخا إلى نفَّر لأجل انليل، سيد العالم أجمع"(١٥) .

إن العديد من النصوص الكتابية التي تم اكتشافها في مدينة أور القديمة بالعراق، تبيّن العقود التجارية التي أبرمت بين تجار مدينة أور وتجار إقليم دلمون، إبان العصر السومري الحديث (٢١٥٠ — ١٩٥٠ ق.م) . وكشفت التنقيبات الآثارية عن الأوزان والمكاييل التي كان تجار دلمون يتعاملون بها مع تجار أور[١٦] .

وفي عهد الملك "أورنانشة"، مؤسس سلالة لجش في العراق القديم، في حدود عام ٢٤٥٠ ق.م، وصلنا نص يشير إلى الصلات التجارية بدلمون، وذكر النص : "وجلبت قوارب دلمون الخشب"[١٧] .

الخاتمة

منذ اكتشاف النصوص الخاصة بأرض دلمون، في منتصف القرن الماضي وحتى اليوم، وعلماء المسماريات والآثار منكبون على تحديد موقعها الجغرافي، وتبين لهم أنها تقع ما بين بلاد سومر وإقليمي "مكّان" و "ملوخا" . كما أنها كانت مركزاً لتكديس كثير من البضائع التي كانت تصدر منها إلى بلاد وادي الرافدين أو تستورد من هذه البلاد .

لذا، فإن مكان دلمون، لابد وأن يكون إبان العصر السومري القديم (٢٩٠٠ — ٢٣٥٠ ق.م) والعصر السومري الحديث (٢١٥٠ —

١٩٠٠ ق.م) ليس بعيداً عن جزر البحرين ؛ إن لم يكن هو البحرين بذاتها على الأرجح .

أما اسم "دلمون" ؛ فقد ظهر لأول مرة في إحدى حوليات الملك السومري "أورنانشة" عام ٢٤٥٠ ق.م ملك لكش في العراق القديم، وقد أشارت إحدى كتاباته الملكية بأنه جلب الخشب من إقليم دلمون .

ورجح بعض الباحثين أن موضع (الفردوس) في أرض دلمون، كانت فيه آلهة يعبدها العراقيون القدماء، وأن الإله إنكي وزوجته قد حلاً بها لقدسيتها، ولكونها أرض الخير والعطاء .

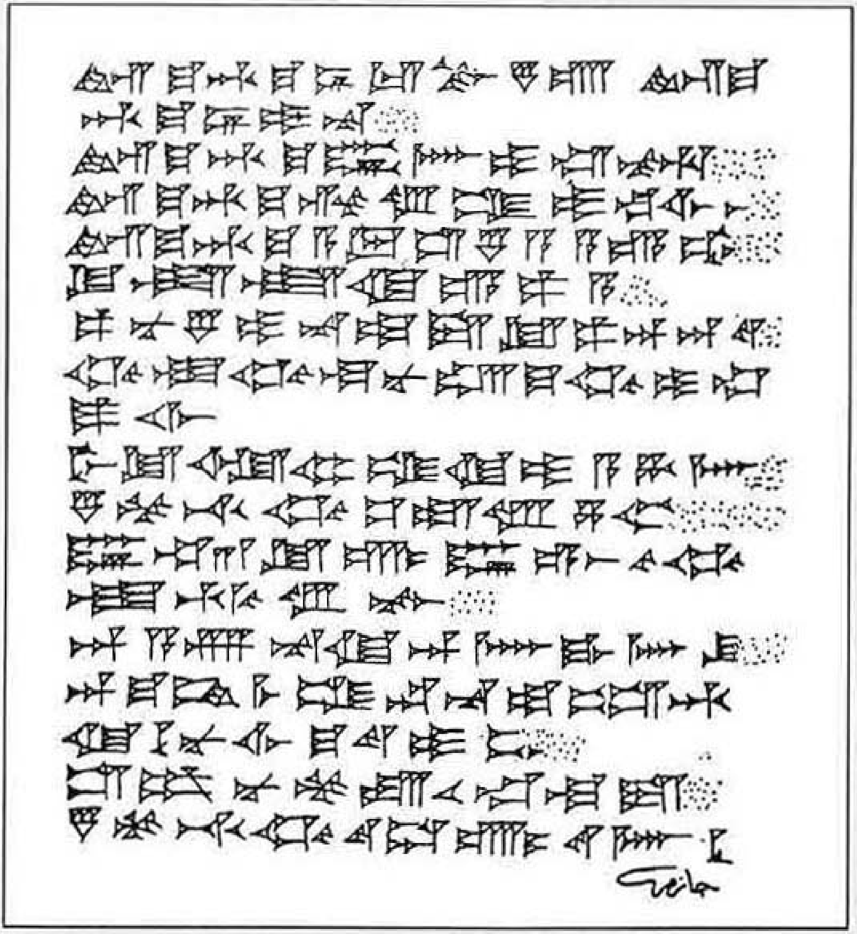
ولا عجب في أن رحلة البطل السومري جلجامش كانت إلى دلمون، سعياً إلى الخلود، لأن جميع أوصافها تطابق الجنان التي وردت في الكتب المقدسة . ووجد اسم الإله "أنزاك" في كتابة عثر عليها في البحرين .

ونظراً لكثرة المدافن التي عثر عليها في البحرين، والتي بلغ عددها أكثر من ١٧٣,٠٠٠ مدفن، فإن بعض الباحثين ذهبوا إلى أن جزر البحرين "دلمون" كانت مقابر للسومريين، باعتبارها تربة مقدسة .

كما أن التنقيبات والدراسات الحديثة التي أجريت في جزر البحرين، أثبتت الاتصال الروحي والحضاري ما بين بلاد سومر ودلمون، بدليل أن معظم اللقى الأثرية التي كشف عنها في جزر البحرين لها ما يماثلها في بلاد سومر . كما أن الكثير من أسماء الآلهة

التي جاء ذكرها في النصوص التي عثر عليها في جزر البحرين هي في الواقع آلهة عراقية، عبدت في أرض دلمون وسومر،من قبل جاليات دلمونية، كانت تسكن بلاد سومر، وهذا دليل أكيد على مكانة دلمون الروحية لدى السومرين، ولا عجب إذا ما اعتبروها (الفردوس) أو جنة عدن .

عبد الجبار محمود السامرائي
(باحث في التاريخ والتراث)
عضو اتحاد المؤرخين العرب



من كلام "أوتو – نبشم" إلى جلجامش يخبره فيه أن كل ما يعمله الإنسان زائل

الهوامش والإحالات

١ - د. فاضل عبد الواحد علي : (السومريون والأكديون)، ضمن كتاب (العراق في التاريخ)، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص٦٣ و٦٧ .

٢ - د. جواد علي : (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام)، جـ ١، دار العلم للملايين، بيروت، بغداد، ١٩٧٧، ١٩٧٨، ص٥٦٨ .

٣ - د. أحمد سوسة : (مفصّل العرب واليهود في التاريخ)، ط ٥، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨١، ص٤٢٨ .

٤ - مؤلف مجهول : (حضارة البحرين من دلمون إلى تايلوس)، مجلة (البحرين الثقافية)، العدد ٢١، يولو ١٩٩٩، ص١٠٩ .

٥ - د. منير يوسف طه : (جذور الحضارة : دلمون)، مجلة (آفاق عربية)، العدد التاسع، ربيع الأول - ربيع الثاني ١٤١٣هـ/أيلول (سبتمبر) ١٩٩٢م، ص٩١ .

٦ - Pritchard, J. : Ancient Near Eastern Texts [ANET] Princeton, 1969, P. 34.

٧ - د. رضا جواد الهاشمي : (المدخل لآثار الخليج العربي)، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، ١٩٨٠، ص٢٥ .

٨ - لا تتضح هنا علاقة الختم والآجرّ بالمصير المحتوم لكل إنسانٍ وهو الموت . فالختم يطبع على طين طري ويترك ليجف أو يشوى في الفرن متحولاً إلى فخار عليه صورة الختم . وربما كان المقصود أن لكل إنسان ساعة موت معلومة مطبوعة في لوح القدر . فنحن نعرف من نصوص سومرية وبابلية أخرى عن وجود الواح تدعى بألواح الأقدار ، يحتفظ بها عادة كبير الآلهة .

٩ - أوتـو : هو شمش البابلي، إله الشمس وحامي جلجامش .

١٠ - فراس السواح : (جلجامش . . ملحمة الرافدين الخالدة)، منشورات دار علاء الدين، ط ١، دمشق ١٩٩٦، ص٤١-٤٣ .

١١ – د. رضا جواد الهاشمي : مرجع سبق ذكره، ص٢٧ .

١٢ – الأخلامو : تسمية شاملة، وردت في الكتابات القديمة لجماعة من القبائل البدوية في شمال الجزيرة العربية، وقد ارتبطوا محلياً بالآراميين .

ينظر د. أحمد سوسة : مرجع سبق ذكره، ص١٦٠ .

١٣ – Luckenbill, D. D.,: [Ancient Records of Assyria and Babylonia [ARAB] Vol. I-II, Chicago, 1927, P. 36.

١٤ – ماكليوم : نوع من القوارب .

١٥ – Kramer : The Sumerians, P. 174 ff.

١٦ – د. منير يوسف طه : مرجع سبق ذكره، ص٨٨ .

١٧ – P. B. Cornwall : [The Letters from Dilmum], Jes, Vol. I, No. 4, P. 137 ff.

موقف بريطانيا

من محاولات التدخل الألماني



بقلم : فاطمة أ. الحميد



في منطقة الخليج العربي

خلال الفترة من ١٩٣٣ – ١٩٤٥م

إن فترة البحث تغطي بضع سنوات قبل الحرب العالمية الثانية إلى نهاية الحرب في عام ١٩٤٥م . والأوضاع السائدة في عام ١٩٣٣م كانت نتيجة تطورات جاءت في أعقاب هزيمة تكبدتها ألمانيا وتركيا في الحرب العالمية الأولى . وتنفيذاً لميثاق فرساي المؤرخ في ١٤ فبراير ١٩١٩م فقدت ألمانيا مستعمراتها في أفريقيا لمصلحة دول التحالف . ووفقاً لاتفاقية سايكس–بيكو المبرمة في لندن في مايو ١٩١٦م تم تقسيم الأراضي العربية المنزوعة من تركيا للمستعمرين الجدد دون إعطاء حق لشعوبها لتقرير مصيرهم .

واستخدم الاستعمار البريطاني الحجج التقليدية لتوطيد دعائمه كالحقوق التاريخية والمصالح الاقتصادية وحماية السكان المحليين وتقسيم مناطق النفوذ . الخ عن طريق الانتداب والحماية والحكم المباشر . وأعلنت بريطانيا في ٢ نوفمبر ١٩١٧م مساعدتها لإنشاء موطن لليهود في أرض فلسطين .

وفي عام ١٩١٩م كانت بريطانيا مستعدة لاحتلال إيران . لأنها تعرضت لاضطرابات انفصالية في الولايات الشمالية (كيلان وأذربيجان) وأرسلت روسيا البلشفية جنودها لمساعدة المتمردين . في حين كان الضباط الإنجليز يقومون بتدريب بعض الوحدات الإيرانية في بعض الأماكن . وأبرمت إيران اتفاقية الصداقة مع الاتحاد السوفييتي في ١٩٢١م بقصد التخلص من الطرفين . وسحب الاتحاد السوفييتي قواته من أيران بموجب الاتفاقية لكنه احتفظ بحقه لإرسال قواته مجدداً إذا واجه أي خطر من أية قوة خارجية قد تدخل إلى الأراضي الإيرانية . على كل تخلصت إيران من الروس والإنجليز على السواء آنئذ .

أصبح رضا خان الذي كان ضابطاً في الجيش الإيراني، رضا شاه بهلوي، وتولى العرش رسمياً في ديسمبر ١٩٢٥م . ونفذ الشاه رضا إصلاحات عديدة . وحل محل الإنجليز على الساحل الخليجي . لكنه عندما ألغى العقد مع شركة نفط الأنجلو-إيرانية ، رفع الإنجليز القضية إلى عصبة الأمم المتحدة . وفي النتيجة حصلت الشركة على تمديد مدة العقد لثلاثين سنة . وأنشأ الشاه جامعة طهران في عام ١٩٣٥م وجلب الشاه أخصائيين من الخارج ليقلل اعتماده على الإنجليز . وجاء إلى

إيران فريق أمريكي في العشرينيات لتنفيذ إصلاحات اقتصادية لكن الفريق فشل في جلب الاستثمارات الأمريكية . واضطر إلى الانسحاب . وكانت ألمانيا أكثر نشاطاً وفي بداية الثلاثينيات قام مدير ألماني بتنظيم البنك الوطني الإيراني . وعقب تولي هتلر السلطة في ألمانيا في عام ١٩٣٣م تدفق عدد من الأخصائيين الألمان إلى إيران . وسبّب تواجد الألمان في إيران مخاوف لدى الإنجليز عندما نشبت الحرب العالمية الثانية . وعندما قام هتلر بغزو الاتحاد السوفييتي في يوليو ١٩٤١م أرسلت كل من بريطانيا والاتحاد السوفييتي قواتهما إلى إيران انتهاكا لاستقلالها . وتنازل الشاه عن العرش لصالح ابنه محمد رضا شاه بهلوي وتوفي بعد ثلاثة أعوام في المنفى .

الرؤية العامة عن ألمانيا والخليج

لم تكن ألمانيا مهتمة بالأقاليم خارج حدودها قبل نهاية القرن التاسع عشر أي قبل عام ١٨٧١م عندما أنشئ الرايخ الثاني . وكانت المستعمرات آنئذ مقسمة بين الدول الاستعمارية وهي كل من بريطانيا وفرنسا وهولندا وبلجيكا . ولما اكتسبت ألمانيا قوة عسكرية وسياسية واقتصادية خشي منها المستعمرون خاصة بريطانيا . وحاولت هذه القوات أن تضع طوقاً على ألمانيا ضد طموحاتها التوسعية .

وكانت أول بادرة لألمانيا تجاه الخليج العربي ذات صبغة علمية وأكاديمية وليست عسكرية أو سياسية . وكانت عبارة عن إيفاد عالِم رحالة "كارستن نيبور" إلى الجزيرة العربية في عام ١٧٦١م . وعقب